كتاب

الإشاعة لأشراط الساعة

للإمام محمد بن عبد الرسول الحسيني الشهرزوري البرزنجي
المتوفى سنة ١٠١٣ هـ

موفق فوزي الجبر



دار النمير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

كتاب

الإشاعة لأشراط الساعة

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م بيروت

الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م دمشق

دار النمير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي
ص.ب ٥١٧٥ - هاتف: ٢٢٢٦٢٠٧

دار الهجرة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق الحلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب : ٥٢٩٩ - هاتف : ٢٢٢٤٧٢٧

كتاب

الإشاعة لأشراط الساعة

للإمام محمد بن عبد الرسول الحسيني الشهرزوري البرزنجي
المتوفى سنة ١٠١٣ هـ

موفق فوزي الجبر



دار النمير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق

الاهداء

إلىٰ أخي الرّاحل ، فريد

الذي طالما ذكراه لا تفارقني ،

مذ اختاره الله إلىٰ جواره

إلىٰ روحه الطاهرة

أُقدِّم هذا الكتاب

موفق فوزي الجبر

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أحمدك ربي كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، أنت المتفضل بالنعمة، ونحن نسارع بالكفران.

وأصلي وأسلِّم على خير خلقك وخاتم رسلك، سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فلقد طلب مني الأخ الأستاذ «طارق السعود» صاحب دار الهجرة أن أقوم بتحقيق مخطوطة «الإشاعة لإشراط الساعة» التي كان قد طما عليها غبار الزمن في مكتبته، فأحببت أن أساهم في هذا العمل الجليل الذي يهدف إلى تعريف الناس وتذكيرهم بإشراط الساعة والحساب والعذاب، وأن لا ينجرفوا وراء الشهوات، وأن يضعوا دائماً أمام أعينهم مخافة الله، فقمت بخدمة هذا الكتاب خدمة يسيرة متواضعة، أسأله أن يجعله خالصاً لوجهه، ويحقِّق النفع للأمة.

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة مخطوطة ونسخة مطبوعة.

وصف النسخة المخطوطة:

وهي نسخة المكتبة الظاهرية، وهي نسخة كاملة، محفوظة في ظاهرية دمشق برقم: /١٢١٧/ عام، كتبها أحمد بن أحمد الحرستي الحنفي، وتقع في ٩٦ ورقة، الخط واضح

مقروء إلا في بعض الصفحات نتيجة الرطوبة وظروف الخزن، في كل صفحة ٢٧ سطراً، كُتِب على الصفحة الأولىٰ العنوان وكتابات أخرىٰ، ومُهرت بختمين أحدهما: دار الكتب العربية بدمشق. والثاني: دار الكتب الظاهرية.

أما عملي في هذا الكتاب، فهو يتضمن ما يلي :

١ ـ اتخاذ المخطوطة أصلاً، وإثبات النص منها.

٢ ـ الاستعانة بالمطبوعة، لتقويم بعض العبارات وتصحيحها.

٣ ـ تعقّب الأوهام والسقطات التي سبق إليها قلم الناسخ، وبيان وجه الصواب.

٤ ـ تفسير الغريب، من مفردات الكتاب وعباراته.

٥ ـ تخريج الآيات الكريمة.

٦ ـ تخريج الأحاديث الشريفة من الكتب المشهورة.

٧ ـ عزو الكلام المقتبس إلى مصادره الأصلية.

وإنّني، إذ أدفع بهذا الكتاب إلى الطباعة، أجأر إلى الله أن يجعله من خالص أعمالي، وخيرها بركة وأجراً، وهو حسبي ونعم الوكيل.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

موفق فوزي الجبر
دمشق الفيحاء
٢٣ رمضان ١٤١١هـ
١٢ نيسان ١٩٩١م



الورقة الأولى من المخطوطة ويظهر فيها عنوان الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
أحمد من اوضح منهاج الحق ونصب عليه في كل شي دليلا، ووعد وعز الصدق
لمن اتخذه وكيلا ونظره به كفيلا، وجعل ابرهيم خليفة انه كان امة قانتا
واتخذه خليلا، وامره ببناء بيت يقصده من كل فج عميق من استطاع اليه
سبيلا تطبيقا للصورة على المعنى وتنويها بالمجاز الى الحقيقة وتمثيلا، وجعل
بدعوته من ذريته محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا سيدا ونبيا رسولا
فهو دعوة ابيه ابرهيم كما اخبر عنه في الصحيح ان دعاه كان مقبولا، احمده
على ان اتانا منه رسول امين بكتاب كريم، وانه عزيز حليم حريص علينا
بالمومنين روف رحيم، وانه لعلى خلق عظيم كما اخبر به العلي الحكيم
وامره باتباع ملة ابيه ابرهيم، وارسله بين يدي الساعة كالمحجة
والوسطى نذيرا، واخبر عن جميع الفتن والاشراط الكاينة قبلها فاسئل
به خبيرا فبلغ وبالغ وحذر امته الفتن عموما والدجال خصوصا
تحذيرا صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ووارثيه واخوانه واحبابه
وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال تعالى اقترب للناس حسابهم وهم
في غفلة معرضون، وقال تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب،
وقال تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون،
وقال تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جا اشراطها
الى غير ذلك من الايات واما الاحاديث فلا تكاد تنحصر كما سياتي بعضها
ان شا الله تعالى ولما كانت الدنيا لم تخلق للبقا ولم تكن دارا قارة
وانما هي منزل من منازل الاخرة جعلت للتزود منها الى الاخرة وهي
العرض على الله ولقائه وقد اذنت بالانصرام وولت حذا، كان حقا على
كل عالم ان يشيع اشراطها ويبث الاحاديث والاخبار الواردة فيها
بين الانام ويسردها مرة بعد اخرى على العوام فعسى ان ينتهوا عن
بعض الذنوب ويلين منهم بعض القلوب وينتبهوا من سنة
الغفلة ويغتنموا المهلة قبل الوصلة فدعاني ذلك الى ان اجمع فيها

سقط اوراقا

الورقة الثانية ويظهر فيها مقدمة المؤلف

وانه يقاتل الروم في الملحمة ويفتح القسطنطينية ويخرج الدجال في
[illegible] وينزل عيسى ويصلي خلفه وما سوى ذلك كله امور مظنونة
مشكوكة والله اعلم بحقيقة الحال ونعوذ بالله من الزيغ والخلل
[illegible] في المقال والحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على
[illegible] كمال في الغدو والآصال وعلى آله وصحبه خير صحب وآل
[illegible] الله لنا ولوالدينا واباءنا واخواننا طينا ودينا وصلبا وقلبا
[illegible] محمد اجمعين امين قال
[illegible] الفقير الى الله محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد العلوي الحسيني
[illegible] الشهرزوري البرزنجي ثم المدني عفا الله عنه تمتعا يوم الرجا
[illegible] تين حادي عشر شهر الله الحرام ذو القعدة من شهور سنة
[illegible] وسبعين بالمدينة المنورة [illegible] بالزقاق المعروف
[illegible] حامدا ومحليا ومسبلا [illegible] داعيا بالمغفرة
[illegible] جعلها الله ذخيرة ليوم المعاد بجاه سيد العباد
[illegible] كتابة هذه النسخة المباركة ان شاء الله تعالى
[illegible] شوال [illegible] الف وتسعة وسبعين
[illegible] المعترف بالعجز والتقصير الراجي رحمة
[illegible] خبير [illegible] محمد [illegible]
[illegible] اصلا
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الورقة الأخيرة من المخطوطة

ترجمة المؤلّف
الإمام محمد بن عبد الرسول الحسيني (*)
[١٠٤٠ـ١١٠٣هـ] [١٦٣٠ـ١٦٩١م]

هو إمام الأئمة الأعلام، وقدوة الفضلاء، وحجة الإسلام السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني الموسوي الشافعي الشهرزوري المدني. ولد ليلة الجمعة الزهراء ثاني عشر ربيع الأول في قرية «برزنج» عام أربعين بعد الألف من الهجرة النبوية.

نشأ في حجر والده ودلاله، وأخذ عن جماعة من الأساتذة الأفاضل، وتحلىٰ بلطائف المعاني وتتلمذ على يد الملا زيرك، والعلامة الملا شريف الصديقي الكوراني، ثم رحل إلىٰ ماردين وحلب واليمن ودمشق والروم ومصر وبغداد، وأخذ في هذه البلاد عن كثير من العلماء الأمجاد. وصحب العلامة الشيخ إبراهيم الكوراني، والعارف بالله الشيخ أحمد القشاشي، تصدَّر للتدريس في الروضة، وأنبت فيها أزهار فضائله الباهرة، وانتفع به الأنام من الخاص والعام.

وقد برع في التصانيف والتآليف التي أتىٰ فيها بالعجب العجاب، وسحر بحسن تحريرها الألباب، منها:

- أنوار السلسبيل في شرح أسماء التنزيل.
- الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي.
- المصطلح على ألفية السيوطي.

(*) أنظر ترجمته في:
سلك الدرر: ٤/ ٦٥، مشاهير الكرد: ٢/ ١٢٨، تاريخ السليمانية: ٢٧٧ ـ ٢٨٠، فهرس المصنفين: ٢٤٧، مخطوطات الدار: ١/ ٢٩٢، الأعلام: ٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

- مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود.
- الجاذب الغيبي إلى الجانب الغربي.
- خالص التلخيص.
- تحصيل الإمام.
- سداد الدين في الدرجات والنجاة للوالدين.

وغير ذلك مما يبلغ تسعين مؤلفاً ما بين مطول ومختصر، ومنظوم ومنثور.

توفي - رحمه الله تعالى - بالمدينة المنورة سنة مائة وثلاثة بعد الألف من الهجرة النبوية ظهر يوم الاثنين في داره بزقاق القشاشي، وكان له مشهد عظيم، ودفن بالبقيع في المقبرة الشهيرة بمقبرة السادة البرزنجيين بين قبة سيدنا العباس وأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه. آمين.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب[1].

أحمد من أوضح منهاج الحق، ونصب عليه في كلِّ شيء دليلاً، ووعد الصدق لمن اتَّخذه وكيلاً، ورضي به كفيلاً، وجعل إبراهيم خليفة، إنّه كان أمة قانتاً واتخذه خليلاً، وأمره ببناء بيت يقصده من كلِّ فج عميق من استطاع إليه سبيلاً[2]، تطبيقاً للصورة علىٰ المعنىٰ وتنويهاً بالمجاز إلىٰ الحقيقة وتمثيلاً، هداه علماً علىٰ طي بساط هذه النشأة وليبلو المؤمنين، ويضلّ من يشاء تضليلاً[3]، وجعل بدعوته من ذريته محمداًﷺ عبداً سيّداً ونبيّاً رسولاً، فهو دعوة أبيه إبراهيم، كما أخبر عنه في الصحيح أن دعاءه كان مقبولاً.

أحمده على أن أتانا منه رسول أمين بكتاب كريم، وأنّه غفورٌ رحيمٌ، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنّه لعلىٰ خُلقٍ عظيم كما أخبر به العليّ الحكيم[4] وأمره باتباع ملة أبية إبراهيم، فأرسله بين يدي الساعة كالمُسَبِّحَةِ والوسطىٰ نذيراً، وأخبر عن جميع الفتن والأشراط الكائنة قبلها، فاسأل به خبيراً، فبلغَ وبَالَغ وحذَّر أمته الفتن عموماً والدّجّال خصوصاً تحذيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وورائه وإخوانه وأحبائه وسلّم تسليماً كثيراً.

---

(١) ساقطة من المطبوعة ومثبتة من المخطوطة.

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٨]. و﴿وَلله عَلىٰ النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٨].

(٣) العبارة: «هداه علماً على... تضليلاً» ساقطة من المخطوطة ومثبتة من المطبوعة.

(٤) حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، [القلم: ٥].

أما بعد،

[فإنّي لمّا رأيتُ الحافظ جلال الدّين أبا الفضل عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي ذكر في خطبة كتابه الذي ألّفه في بيان حال البرزخ المسمّىٰ بـ «شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ في القبور» وما نصه، وأرجو إن كان في الأجل فسحة أن أضم إليه كتاباً إن شاء الله تعالىٰ في أشراط الساعة، وآخر في أحوال البعث والقيامة وصفة الجنة والنار علىٰ وجه الاستيعاب أيضاً، حقق الله ذلك بمنّه وكرمه، انتهىٰ.

ووجدته قد ألّف في أحوال البعث وما بعده كتاباً وسمّاه «البدور السافرة في أمور الآخرة» ولم أجد له كتاباً في أشراط الساعة، إمّا لعدم تأليفه أو لانعدامه، أو لغير ذلك. فأحببت أن أؤلف[1] في أشراط الساعة كتاباً مستوعباً لها كما أراد الحافظ السّيوطي، فيكون برزخاً بين كتابيه: شرح الصدور والبدور والسافرة، أو مقدمة لهما، وتوكلت في ذلك على الله تعالىٰ مستعيناً، فأقول[2]]: قد قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[3] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعة قَرِيب﴾[4] وقال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعة أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[5].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وأمّا الأحاديث فلا تكاد تنحصر كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى. ولمّا كانت الدنيا لم تخلق للبقاء، ولم تكن دار إقامة، وإنما هي منزل من منازل الآخرة، جعلت للتزود منها إلىٰ الآخرة، والتهييء للعرض على الله [ولقائه][6]، وقد آذنت بالانصرام، وولت حذاء كان حقاً علىٰ كل عالم أن يشيع أشراطاً، ويبث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام، ويسردها مرة بعد أخرىٰ على العوام، فعسىٰ أن ينتهوا عن بعض الذنوب، وتلين منهم بعض القلوب، وينتهوا من سنة الغفلة، ويغتنموا المهلة قبل

---

(١) أي أن أصنف وأكتب في هذا الموضوع.

(٢) العبارة بين القوسين المربعين ساقطة من المخطوطة.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢.

(٤) سورة الشورىٰ، الآية: ١٧.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٦) وردت في المطبوعة «بقاءه» والصواب ما أثبته عن المخطوطة.

[الوصلة][1]. [[2]فدعاني ذلك إلىٰ أن أبسط فيها القول بعض البسط، ولو أدىٰ إلىٰ التكرار]، وأن أجمع فيها أوراقاً علىٰ سبيل الاختصار تبصرة لأهل الاغترار، وتذكرة لأولي الأبصار، ووسيلة إلى رضا الجبار، وذريعة إلىٰ دار القرار، والله أسأل أن يخلص نيتي، ويحسن طويتي، فإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوىٰ[3]، وأن ينفع به عامة المؤمنين، وأن يغفر لي ولآبائي ولإخواني طِيناً وديناً أجمعين آمين.

وسمّيته [الإشاعة لإشراط الساعة] وأرجو من النبي الشفاعة مع قلة البضاعة فأقول: وفي ميدان نِعَمِهِ أجول، لا بدَّ من مقدمة.

هي لمّا كان أمر الساعة شديداً وهولها مزيداً وأمدها بعيداً، فإنّ الله في ذلك اليوم يحكم بين الأولين والآخرين، ويقضي للمؤمنين على الكافرين، ويميّز بين المخلصين والمنافقين، كما قال تعالىٰ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾[6] وأنّها لا تجيء إلاّ بغتة كما قال تعالى[7]، وقد استأثر بعِلْمِهَا[8] ولم يعلمها أحداً من خلقه، وعَلِمَها النبي ﷺ، ونهاه عن الإخبار بها تهويلاً لشأنها وتعظيماً لأمرها، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها وضيرها[9] أكبر من خيرها، فأكثر النبيّ ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها وما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، [ليكون][10]أهل كل قرن على حذر منها متهيئين لها بالأعمال [الصالحة][11] غير [منهمكين][12]في الشهوات واللذات، فانقسمت الأمارات إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) وردتْ في المطبوعة «الوهلة» وفي المخطوطة «الوصلة» والصحيح ما أثبت.

(٢) العبارة ساقطة من المخطوطة، وأثباتها أوْلىٰ لزيادة فهم المعنىٰ.

(٣) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ، أنظر: [البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: ١]. والجملة: «ولكل امرىء ما نوىٰ» ساقطة من المخطوطة ومثبتة من المطبوعة.

(٤) سورة هود، الآية ١٠٣.

(٥) سورة القمر، الآية ٤٦.

(٦) سورة الرحمن، الآية: ٣٢.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(٩) شرّها.

(١٠) وردت في المطبوعة «لكون» والصواب ما أثبته من المخطوطة.

(١١) في المطبوعة «الصالحات» والصحيح ما أثبته. (١٢) «منهمكي» في المطبوعة والصواب ما تم إثباته.

ـ قسم ظهر وانقضىٰ وهي الأمارات البعيدة.

ـ وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال يتزايد ويتكامل حتى إذا بلغ الغاية ظهر.

ـ القسم الثالث، وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة، وإنها تتتابع كنظام [خرز][1] انقطع سلكها.

فلنذكر كل قسم في باب على [حدة][2]، وهذا ترتيب لم أره لغيري، ولعلّه أقرب إلىٰ الضبط، وأنفع للعوام إن شاء الله تعالىٰ.

تنبيه:

المقصود الأصلي من تأليف هذا حفظ بعض الأحاديث النبوية علىٰ المسلمين رجاء شفاعتهﷺ، فلذا ترانا إذا سقنا الروايات مساقاً واحداً لفهم العامة نكر عليه بسرد أحاديثها، فقد يظن من لا خبرة له أنه تكرار، وقد نوردها في موضعين لمناسبتها لكل منهما فليعلم ذلك لئلا يساء بالمؤلف الظن، وبالله التوفيق.

---

(١) وردت في المخطوطة «فرز» والصواب ما تم إثباته من المطبوعة.

(٢) في المطبوعة «حدته» والصحيح ما أثبته من المخطوطة.

الباب الأول

في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت

وهي كثيرة، فمنها موت النبيّ ﷺ؛ وهو من أعظم المصائب في الدين بل أعظمها، ومن ثم قال [النبيّ] ﷺ[1]: «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر [موتي][2]» رواه ابن سعد عن عطاء بن أبي رباح.

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعزَّ بمصيبته بي عن مصيبته فإنه لن يصاب أحد من أمتي من بعدي بمثل مصيبته بي». رواه الطبراني في الأوسط[3].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها ذكرت وفاة النبيّ ﷺ فقالت: «يا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها من مصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ». رواه البيهقي[4].

وهو أول من[5] فتح باب الاختلاف حيث قالوا: منا أمير ومنكم أمير، عن عوف بن مالك رفعه قال: «أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح [بيت][6] المقدس...» الحديث.

وروى الطبراني[7] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا

---

(١) لفظة «النبيّ» ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «مصيبة» والصواب ما أثبت.

(٣) ٣/ ٢٢٠.

(٤) شعب الإيمان: ١/ ١٩٢.

(٥) أضفتها لاتمام المعنى.

(٦) وردت في المطبوعة «مبيت» والصحيح ما أثبته.

(٧) ٢/ ١٣٢.

عبد الله بن عمرو، ست خصال كائنة فيكم قبض نبيّكم . . . . » الحديث .

وروىٰ نعيم عن حذيفة رضي الله عنه حديثاً طويلاً منه، فقال: . . . هيهات هيهات ، والذي بعثني بالحق ليزيدونها يا حذيفة خصالاً ستاً ، أولهن موتي ، [قلت][1] : إنا لله وإنا إليه راجعون . . . » الحديث .

وفي الصحيح ، ما نفضنا أيدينا من تراب قبر[2] رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا .

ـ ومنها قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ففي صحيح البخاري أن عمر سأل حذيفة رضي الله عنهما عن الفتنة التي كموج البحر، فقال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أيفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا بل يكسر، قال: ذاك أحرىٰ أن لا يغلق، وفيه أن الباب هو عمر.

وروىٰ الخطيب في الرواة عن مالك أن عمر دخل على امرأته أم كلثوم بنت [علي][3]، فوجدها تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: هذا اليهودي يقول: إنك باب من أبواب جهنم، فقال عمر: ما شاء الله، ثم خرج فأرسل إلى اليهودي فجاءه فسأله عن قوله، فقال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لا ينسلخ [ذو][4] الحجة حتى تدخل الجنة، فقال: ما هذا؟ مرة في الجنة، ومرة في النار، فقال: إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها، فإذا مت اقتحموا.

وفي صحيح البخاري أن أبا وائل قال: قلنا لحذيفة، أعلم عمر من الباب قال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فل: فهبنا أن نسأله وأمرنا م .روتاً فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر.

---

(١) وردت في المخطوطة «قلنا» والصواب ما أثبته من المطبوعة .

(٢) لفظة «قبر» ساقطة من المخطوطة .

(٣) وردت في المخطوطة« عبدالله» والصواب ما أثبته .

(٤) في المطبوعة «ذي» والصحيح ما أثبته من المخطوطة .

وحاصل معنىٰ هذه الأحاديث أنهﷺ شبَّه مدة حياة عمر بحصن منيع فيه أهل الإسلام[1]، وشبه شخص عمر باب ذلك الحصن، وفهم ذلك عمر وسأل حذيفة أيموت أم يقتل؟ فأخبره أنه يقتل، فقال: ذاك أحرىٰ أن لا يغلق.

ورأىٰ عمر رضي الله عنه في المنام أن ديكاً أحمر نقره نقرتين أو ثلاثاً بين السرّة والثنة[2] فقالت أسماء بنت عميس أم عبد الله بن جعفر: قولوا له فليوص فإنه يقتله رجل من الأعاجم، وكانت تعبر[3] الرؤيا.

وروىٰ أبو يعلىٰ والحاكم البيهقي[4] عن أبي رافع، قالوا: كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة ابن شعبة، وكان يصنع الرحى، وكان المغيرة يستغله[5] كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليَّ، فكلِّمْه يخفف عني، قال: اتق الله وأحسن إلىٰ مولاك، ومنه نية عمر أن يلقىٰ المغيرة فيكلّمه فيخفف عنه.

وفي رواية أنه كلمه في أمره، ووصىٰ به خيراً، وهو لا يدري، فغضب العبد، وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري فأضمر على قتله، فاصطنع خنجراً له رأسان، وشحذه وسمّه ثم أتى به الهرمزان، فقال: كيف ترىٰ هذا؟ قال: أرىٰ أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته، فتحيّن[6] أبو لؤلؤة فجاء في صلاة الغداة، فخرج عمر بدرته يوقظ الناس لصلاة الصبح، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم فيقول: أقيموا صفوفكم، فذهب يقول كما كان يقول، فقام أبو لؤلؤة وراء عمر، فلما كبّر طعنه ثلاث طعنات، طعنة في كتفه، وأخرىٰ في خاصرته، وأخرىٰ تحت سرته بين الثنة والسرة.

ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وعن وهب بن مرة رضي الله عنه، **قال:** سمعت رسول اللهﷺ ذكر فتنة، فقربها،

---

(١) وردت «أهل الإيمان» وسياق الكلام يتطلب ما أثبته.

(٢) منطقة تقع تحت الجذع.

(٣) تفسر الأحلام منه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

(٤) أنظر: المستدرك: ٣/ ١٤٥، شعب الإيمان: ٢/ ١٦٥.

(٥) يعطيه أجره.

(٦) انتهز الفرصة.

فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان رضي الله عنه.

[وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ][1] لعثمان: إنّ الله مقمصك قميصاً، أي موليك الخلافة، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه، حتى تلقاني[2].

[وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عثمان إنك تلي الخلافة من بعدي، وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها، وصم في ذلك اليوم، تفطر عندي» رواه ابن عدي وابن عساكر][3].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال».

[وزاد][4] ابن عساكر في روايته: «والذي نفسي بيده، ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلاّ تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره».

وسبب قتله بالاختصار أنهم انتقدوا بعض الأمور منها: أنّه ولّى محمد ابن أبي بكر مصر، [فلمّا كان في بعض الطريق][5] فإذا بغلام عثمان على ناقته متوجهاً نحو مصر، فأتوا به فسألوه عن الخبر فلم يخبرهم، ففتشوه فلقوا معه كتاباً إلى العامل بمصر يأمره فيه بقتله، فرجع إلى المدينة فاجتمع عليه أربعة آلاف من أوباش مصر، [ورئيسهم ابن عديس وابن تميم][6] وغيرهما، وسألوه عن الكتاب والغلام، فقال: لا علم لي به، فقالوا: إن هذا فعل مروان، وعرفوا خطه، وقالوا: فادفعه إلينا، فلم يفعل، فأرادوه على أن يعزل نفسه، فلم يفعل امتثالاً للحديث المار إن الله مقمصك قميصاً، [وكانوا لما هاجموا المدينة كان عثمان يخرج ويصلي بالناس، وهم يصلون خلفه شهراً، ثم خرج في آخر جمعة خرج فيها، فحصبوه حتى وقع عن المنبر، ولم يقدر أن يصلي بهم، فصلى

---

(١) هذه العبارة ساقطة من المطبوعة ومثبتة من المخطوطة.
(٢) «حتى تلقاني» هذه الجملة ساقطة من المطبوعة.
(٣) هذا الحديث ساقط من المخطوطة.
(٤) وردت في المطبوعة «زاد» بدون الواو العاطفة.
(٥) في المطبوعة: «فلما كان عليه في بعض الطرق» والصواب ما أثبته.
(٦) هذه الجملة ساقطة من المخطوطة.

بهم يومئذ أبو أمامة سهل بن حنيف فمنعوه وكان يصلي ابن عديس تارة وكنانة بن بشر أخرىٰ، فبقوا على ذلك عشرة أيام، وكان طلحة يصلي بهم، وأكثر ما كان، فصلىٰ بهم عليّ رضي الله عنه، وهو الذي صلىٰ بهم العيد، فحاصروه قبل عشرة آيام، وقيل: أربعين يوماً، ويمكن الجمع بأن ثلاثين يوماً كان يخرج للصلاة، وعشرة شددوا عليه الحصار، ومنعوه من الخروج للصلاة][1] فجاءت الأنصار إلى الباب، وقالوا: يا أمير المؤمنين إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال: لا حاجة لي في ذلك، كفوا إن رسول اللهﷺ عهد إليّ عهداً، وأنا صائر إليه، وجاء عليّ كرّم الله وجهه في جماعة من بني هاشم، يريد نصرة، فقال: كل من لي عهد في ذمته يكف [عن][2] القتال، فأخذ علي عمامته، [ورمىٰ][3] بها في صحن داره، وقال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ﴾[4] ومنعوه الماء العذب، فأرسل علي الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر في فئته من بني هاشم بثلاث قرب من الماء، فحالوا دونهم، فحملوا عليهم حتى جرح الحسن أو الحسين بن عليّ، [وسال][5] الدم على وجهه، وأوصلوه الماء، فلما رأوا ذلك خافوا بني هاشم، وتركوا الباب، ونقبوا[6] البيت من ظهره، وكان عنده في الدار عبيده الكثيرون، فأرادوا أن يمنعوا عنه، فقال: من أغمد سيفه فهو حر؟ ومنعهم من ذلك، وكان ممن دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر، فذكر له بعض مناقبه في الإسلام، ويقول: أنشدك الله! ألم تعلم كذا! ألم تعلم كذا؟ وكل ذلك يقول محمد: نعم، ثم قال له: لو رأى أبو بكر مكانك هذا مني لساءه ذلك، فخرج محمد، ودخل عليه جماعة فقتلوه في أواسط أيام التشريق، والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين من الهجرة عن ثمان وثمانين سنة من العمر، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، ورأىٰ في ليلته يوم قتل فيه النبيﷺ قال له: «يا عثمان أفطر عندنا» فأصبح صائماً، وقتل وهو صائم.

روىٰ ابن منيع في مسنده من طريق النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة امرأة

---

(١) الكلام المقوس ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «على» والصحيح ما أثبته.

(٣) في المخطوطة «فرمىٰ».

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٥) في المخطوطة «فسال».

(٦) قال الفيومي في المصباح المنير: «نقبت الحائط ونحوه من باب قتل، خرقته». مادة: [نقب].

عثمان، قالت: لمّا حصر عثمان ظل صائماً، فلمّا كان عند الإفطار سألهم الماء العذب، فمنعوه، فبات فلمّا كان في السحر[1]، قال: إنّ رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف، ومعه دلو من ماء، فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتىٰ رويت، ثم قال: ازدد، فشربت حتى تملأت.

وروىٰ الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن مهاجر بن حبيب، قال: بعث عثمان إلى عبد الله بن سلام، وهو محصور، فقال له: ارفع رأسك ترىٰ هذه الكوة، فإن رسول الله ﷺ أشرف منها هذه الليلة، فقال: يا عثمان أحصروك؟ قلت: نعم، فأدلىٰ دلواً، فشربت منه فإني أجد برده على كبدي، ثم قال لي: إن شئت دعوت الله فينصرك عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت الفطر عنده، فقتل في يومه.

وفي تنوير الحوالك للسيوطي معزواً لابن باطيش في كتاب (مزيل الشبهات) عن عبد الله بن سلام، أتيتُ عثمان وهو محصور، فقال: مرحباً يا أخي، رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة، فقال: ياعثمان حصروك، قلت: نعم، قال: عطّشوك، قلت: نعم، فأدلى دلواً فيه ماء، فشربت حتىٰ رويت، وحتى أني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، فقال: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده، فقتل ذلك اليوم.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت صوتاً يوم قتل عثمان، أبشر يا ابن عفان [بروح][2] وريحان، أبشر يا ابن عفان برب غير غضبان، أبشر يا ابن عفان بغفران ورضوان، فالتفت فلم أرَ أحداً. رواه أبو نعيم.

وروىٰ الطبراني[3] وأبو نعيم عن سهل بن حبيش قال: دفنا عثمان ليلاً فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم، حتى كدنا أن نتفرق، فنادىٰ منادٍ: لا روع عليكم أثبتوا فإنّا جئنا لنشهده معكم، فكان يقول: هم والله الملائكة.

---

(١) قبيل الصبح.

(٢) وردت في المطبوعة «يروح» وهو تصحيف والصواب ما أثبته.

(٣)١/ ٢٦٠.

وروىٰ أبو نعيم عن عروة قال: مكث عثمان في حش كوكب ثلاثاً لا يدفنوه حتى هتف بهم هاتف: ادفنوه ولا تصلوا عليه، فإن الله قد صلّىٰ عليه، وكان الذين خرجوا عليه عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر أحد رؤوس الخوارج وآخرون ساروا بأهل مصر، واجتمع عليهم خلق من أوباش الناس، وقتل عبد الرحمن هذا وأصحابه بعد عام أو عامين بجبل لبنان.

وقد روىٰ البيهقي[1] وأبو نعيم أن النبيﷺ قال: «يخرج أناس يمرقون[2] من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون في جبل لبنان». أورده السيوطي في الخصائص.

وروىٰ أبو نعيم عن عثمان بن مرة عن أمه قالت: سمعت الجن تنوح علىٰ عثمان فوق مسجد رسول اللهﷺ ثلاث ليال، فكان مما قالوا:

ليلـــة الحـصبـة إذ	يرمون بالصخر الصلاب
ثـــم جـــاؤوا بكـرة	يبغـون صقراً كالشهاب
زينهـم فـي الحـي والـ	مجلس فكاك الرقاب][3]

وكان عليٌّ حين قُتل في أرض له، فجاءه الخبر فدهش من شدة ما سمع، فجاء ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وسبَّ عبدالله بن جعفر وابن الزبير، وقال: أيقتل عثمان وأنتم أحياء؟ فاعتذروا إليه[4] بأنهم ما علموا، وصح أنه أشرف من كوة، فقال لعلي رضي الله [عنه][5]: يا أبا الحسن ما هذا الذي ركب متني، فقال: أصبر يا أبا عبدالله، فوالله ما غبت عن رسول اللهﷺ حين كنا على أحد، فتحرك الجبل، ونحن عليه، فقال: اثبت أحد، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد، وايم الله لتقتلن ولأقتلن معك أي بعدك، وليقتلن طلحة والزبير، وصح أنه استشهد جماعة من الصحابة منهم عليّ وطلحة والزبير على أنه اشترى الجنة من النبيّﷺ مرات، فشهدوا

(١) انظر: شعب الإيمان ٣/٢٢٠.

(٢) قال الفيومي في المصباح المنير: «مرق السهم من الرمية مروقاً من باب خرج منه من غير مداخله...» مادة: [مرق].

(٣) هذا الكلام كله المحصور بين قوسين مربعين ساقط من المخطوطة.

(٤) «إليه» ساقطة من المطبوعة.

(٥) وردت في المخطوطة «عنها» وهذا تصحيف.

له، فقال الخارجون عليه: صدقوا ولكنك غيّرت، فقال: ويلكم! كيف يغيّر من هذا حاله، ثم ذكر أنهم سيقولون ذلك غيره أيضاً، وكان كذلك فإنهم قالوا في عليّ حين خرجت عليه الخوارج، فاستشهد الصحابة في خصوصياته، فشهدوا له، فقالوا: صدقوا، ولكنّك غيّرت.

ومنها وقعة الجمل:

روى الحاكم[1] عن عليّ وطلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للزبير: «أتحب علياً أما إنك ستخرج عليه، وتقاتله، وأنت له ظالم».

وروىٰ هو وأحمد[2] عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال لها: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب.

[وروىٰ ابن أبي شيبة][3] والبزار بسند رجال له ثقات عن ابن عباس [والحاكم من حديث قيس بن أبي حازم][4] أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيّتكن صاحبة الجمل الأَدْيَبْ[تسير][5] أو تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلىٰ كثيرة، وتنجو بعدما كادت.

وروىٰ أحمد والطبراني[6] عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي: «سيكون بينك وبين عائشة أمر ما قال: فأنا أشقاهما يا رسول الله، فقال: ولكن إذا كان ذلك فارددها إلىٰ مأمنها».

وروىٰ نعيم بن حماد في الفتن بسند صحيح عن طاووس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن تنبحها كذا وكذا، فضحكت عائشة متعجبة، فقال: انظري، لا تكوني أنتِ يا حميراء».

---

(١) انظر: المستدرك: ٣/ ٧٥.
(٢) انظر: المسند: ٤/ ٢١٠.
(٣) هذه الجملة ساقطة من المخطوطة.
(٤) ساقطة من المخطوطة.
(٥) هذه الكلمة ساقطة من المخطوطة.
(٦) انظر: المسند: ٣/ ١٥٠، ٢/ ١٤٥.

وعن أم سلمة رضي الله تعالىٰ عنها قالت: ذكر النبيّ ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء، [أن لا تكوني أنتِ ثم التفت إلىٰ عليّ، فقال: إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها. رواه الحاكم[1] وصححه البيهقي.

وعن حذيفة إنه قال: لو حدثتكم أن بعض أمهات المؤمنين تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني، قالوا: سبحان الله، ومن يصدق بهذا قال: أتتكم الحمراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها. رواه الحاكم[2] وصححه البيهقي.

وقال: أخبر بهذا حذيفة، ومات قبل مسير عائشة][3]. وسبب ذلك، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: قد جمع عمر بن شِبة في كتاب (أخبار البصرة) قصة الجمل مطوَّلة، وها أنا ألخصها، وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن، انتهىٰ فنذكر حاصله هنا مختصراً، وهو أنه لما كان الغد من قتل عثمان، خرج عليّ رضي الله عنه، ومعه سفيان الثقفي، فدخل المسجد فإذا جماعة على طلحة، فخرج أبو جهم بن حذيفة، فقال: يا عليّ ألا ترىٰ، فلم يتكلم ودخل بيته، فأتىٰ بثريد[4] فأكل، ثم قال: يقتل ابن عمي، ويغلب على ملكه، فخرج فأتاه الناس، وهو في سوق المدينة، فقالوا: ابسط يدك نبايعك، فقال: حتى يتشاور الناس، فقال بعضهم: لئن رجع الناس إلىٰ أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة، فأخذ الأشتر بيده فبايعوه، وذهب إلى بيت المال ففتحه، فلما تسَامع الناس، تركوا طلحة فلم يعدلوا به طلحة ولا غيره، ثم أرسل إلىٰ طلحة والزبير فبايعاه ثم إنهما ندما على خذلان عثمان، فطلبوا أن يقتل قتلة عثمان فلم يجبهما، وذلك لأن قاتله كان غير معلوم، وكان ينتظر أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، ثم استأذناه في العمرة، فأخذ عليهما العهود، وأذن لهما فلقيا عائشة فاتفقا معها علىٰ الطلب بدم عثمان. وكان يعلىٰ بن أمية عامل عثمان على صنعاء، وكان عظيم الشأن عنده، وكان متمولاً، فقَدِم حاجّاً فأعانهما بأربعمائة ألف، وحمل سبعين رجلاً من قريش، واشترىٰ لعائشة جملاً يقال له: «عسكر» بثمانين ديناراً،

---

(١) انظر: المستدرك: ٣/ ١٣٦.

(٢) انظر: المستدرك: ٣/ ١٨٥.

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٤) الثريد: خبز مفتت ومبلل بالمرق.

وكان عليّ رضي الله عنه يقول: أتدرون بمن ابتليت بأطوع الناس في الناس عائشة، وأدهىٰ الناس طلحة، وأشد الناس الزبير، وأثرىٰ الناس يعلىٰ بن أمية، فتوجهوا إلىٰ البصرة، فنزلوا بعض مياه بني عامر، فنبحت الكلاب، فقالت عائشة: أي ماء هذا؟ قالوا: الحَوْأب أي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها همزة، ثم موحدة بوزن كوكب[1]. قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال لها الزبير: بل تقدمين، فيراكِ المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. [قالت: ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب. رواه أحمد[2] وأبو يعلىٰ والبزار والحاكم[3] والبيهقي وأبو نعيم عن قيس، قال: لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فذكره][4]. فقدموا البصرة، فتعجَّب الناس، وسألوهم عن مسيرهم، فذكروا أنهم خرجوا غضباً لعثمان، وتوبة لما صنعوا من خذلانه، وقبضوا على عامل عليّ عليها [ابن حنيف][5]، وأقبل عليّ لما سمع بخروجهم من المدينة، ومعه تسعمائة راكب، فنزل بذي قار[6]، فبلغه أن أهل البصرة اجتمعوا لطلحة والزبير، فشق ذلك على أصحابه، فقال: والذي لا إلٓه غيره لنظهرن علىٰ أهل البصرة، ولنقتلن طلحة والزبير، وبعث ابنه الحسن وعماراً إلى أهل الكوفة يستفزهم فدخلا المسجد، وصعدا المنبر، وكان الحسن في أعلىٰ المنبر، وقام عمار أسفل منه، فتكلم عمار، وقال: إن أمير المؤمنين بعثنا إليكم يستفزكم فإن أمنا قد [سارت][7] إلىٰ البصرة، والله إني أقول لكم هذا ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلانا ليعلم إياه نطيع أو إياها، وقال الحسن: إن أمير المؤمنين يقول: إني ذاكر الله رجلاً وعىٰ الله حقاً إلا نفر فإن كنت مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ مني والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني ثم نكثا ولم [استأثـر][8] بمال، ولا

---

(١) ذكره الفيروزآبادي في القاموس: «موضع بالبصرة» وقال الدميري: «نهر بقرب البصرة».

(٢) انظر: المسند: ٤/ ٩٥.

(٣) انظر: المستدرك: ٣/ ٢١٠.

(٤) هذه العبارة ساقطة من المخطوطة.

(٥) في المخطوطة «ابن الأحنف» والصواب ما أثبته.

(٦) موضع جرت فيه معركة بين العرب والفرس.

(٧) في المخطوطة «سارت» والصحيح ما أثبته.

(٨) في المطبوعة «استأثر» والصواب ما أثبته.

بدلت حكماً، فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل، ولما قدم قام إليه قيس بن سعد بن عبادة وابن [الكوا][1]، فقالا: أخبرنا عن مسيرك هذا أوصية أوصاك به رسول الله ﷺ أم رأي رأيته، فقال: أما والله لئن كنت أول من صدّق رسول الله ﷺ فلا أكون أول من كذب عليه والله لأن يكون عهد من رسول الله ﷺ [2] إلى فلان ولكن ما مات رسول الله فجأة ولا قتل قتلاً، ولقد مكث في مرضه أياماً وليالي كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، ولقد تركني وهو يرىٰ مكاني، وما كنت غائباً ولو عهد إليّ شيئاً لقمت به حتى أن امرأة من نسائه عارضت في ذلك، فقالت: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر فليصلِّ بالناس، فقال: إنكن [صواحب][3] يوسف، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا، فإذا رسول الله قد ولاه أمر ديننا فوليناه أمر دنيانا، فبايعته في المسلمين، ووفيت بيعته ثم بايعت عمر، ووفيت بيعته، ثم بايعت عثمان، ووفيت بيعته، فعدا الناس عليه فقتلوه، وأنا معتزل عنهم ثم ولوني ولولا الخشية على الدين ما أجبتهم ثم وثب فيها من ليس سابقته كسابقتي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي، يعني معاوية، قالوا: صدقت، فأخبرنا عن قتالك لهذين صاحباك في بدر وحديبية وأُحد، وأخواك في الدين، والسابقة والهجرة، يعني طلحة والزبير. فقال: إنهما بايعاني بالمدينة وخلعاني بالبصرة، ولو أن رجلاً ممَّن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه [ولو أن رجلاً ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه][4] ثم دعاهم ثلاثة أيام حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح، وذلك أن قتلة عثمان كانوا متفرقين في العسكرين، فخشوا أن [يصطلحوا][5] على قتلهم، فأنشبوا الحرب، فتساب صبيان العسكرين، ثم تراموا ثم تبعهم العبيد ثم السفهاء، فصلىٰ عليّ ركعتين، ودعا[6] ربه ثم قال: إن ظهرتم علىٰ القوم فلا تطلبوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، وانظروا ما حضرت به الحرب من آنية

---

(١) في المخطوطة «اللوا».

(٢) لفظة الصلاة على النبي ساقطة من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «صاحب» والصواب ما أثبته.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

(٥) وردت في المخطوطة «يصطلحوا» والأولىٰ ما أثبت.

(٦) في المطبوعة «فصلى ركعتين دعا ربه» والصحيح ما أثبت ليتم فهم الجملة.

فاقبضوه، وما كان سوىٰ ذلك فهو لورثتهم، ونادىٰ علي الزبير، وقال: تعال ولك الأمان، فخلا به، وقال: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ: وأنت لا ويدي لتقاتلنه، وأنت له ظالم، ثم ليُنصرنَّ عليك، قال: لقد [ذكّـرتني][1] شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا أقاتلك، فقال له ابنه: ما جئت للقتال، إنما جئت للصلح، فأعتق غلامك، ووقف فلما رأىٰ الحرب نشبت، وآيس من الصلح، خرج عن العسكرين، فغلب أصحاب أمير المؤمنين علي، وبلغت القتلىٰ ثلاثة عشر ألفاً، [وقتل طلحة.

روىٰ الحاكم عن ثور بن مجزأة قال: مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: ممَّن أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين عليّ، فقال: ابسط يديك أبايعك، فبسطت يدي فبايعني، [فقال][2] هذا بيعة علي، وفاضت نفسه، فأتيت علياً، فأخبرته، فقال: الله أكبر صدق رسول الله ﷺ، أبىٰ الله أن يُدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه][3]، ثم جمع الناس وبايعهم.

وانتهىٰ عبدالله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة، وهي في الهودج فقال: يا أم المؤمنين أتعلمين أني أتيتكِ عندما قتل عثمان، فقلت: ما تأمرينني، فقلت: الزم علياً، فسكتت، فقال: اعقروا الجمل فعقروه، فنزل محمد بنْ أبي بكر أخوها، ورجل آخر فاحتملا هودجها فوضعاه بين يدي عليّ [وأنه كالقنفذ من السهام، فسألها محمد هل أصابك شيء منها، فقالت لا، وأمر عليّ كرَّم الله وجهه أخاها محمداً وعماراً أن يضربا عليها قبة، ففعلا فجاء إليها عليّ مسلِّماً، فقال: كيف أنتِ يا أم؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك، وجاء وجوه الناس والأعيان يسلمون عليها، فلما كان الليل دخلت البصرة ومعها أخوها، ونزلت في دار عبد الله بن خليد، وهي أعظم دار بالبصرة على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة العبدري، وهي أم طلحة الطلحات، وأقام عليّ رضي الله عنه بظاهر البصرة ثلاثاً ثم دخلها، فبايعه أهلها أجمعون حتى الجرحىٰ، وعرض على أبي بكرة إمارة البصرة، فامتنع وأشار عليه بابن عباس رضي الله عنهما، فولّى عليها ابن عباس ثم جاء إلىٰ أم المؤمنين رضي الله عنها فاستأذن عليها، ودخل وسلَّم

---

(١) وردت في المطبوعة «ذلرتني»، والصواب ما أثبته.

(٢) وردت في المخطوطة «وقال»، والصحيح ما أثبته.

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

عليها، [فردَّت][1] السلام، ورحَّبت به، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة، وأن يجردهما من ثيابهما، ولما رأت الخروج من البصرة بعث إليها عليّ رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا من الجيش الذي معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، وأرسل معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيَّر معها أخاها محمداً، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليّ، فوقف على الباب، وحضر الناس، وخرجت من الدار في الهودج، فودّعت الناس، ودعت لهم، وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وأنه لمن الأخيار، فقال عليّ رضي الله عنه: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك وأنها لزوجة نبيكمﷺ في الدنيا والآخرة، وسار معها مشيعاً أميالاً، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم. ذكر هذا الفضل الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه، وهذا ما ملخصه، وفعل ذلك معها إكراماً لرسول اللهﷺ لقوله المار: إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها وأداء لحق الأمومة فإنها أم المؤمنين بنص الكتاب العزيز، فتلطف بها غاية التلطف ولم يعنفها ولم يوبخها بل أكرمها وردّها وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة، فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذاك ثم رجعت إلى المدينة][2] ولمّا ولى الزبير تبعه عمرو بن [الجرموز][3]، فقتله وجاء بسيفه إلى عليّ فأخذه فنظر إليه، وقال: أما والله لربَّ كربة قد فرجها صاحب هذا السيف على وجه رسول اللهﷺ، واستأذن عليه ابن الجرموز، فأبطأ عليه الإذن، فقال: أنا قاتل الزبير، فقال: أبقتل ابن صفية يفتخر، فليتبوأ مقعده[4] بالنار، إنه حواري رسول اللهﷺ[5]، سمعت رسول اللهﷺ يقول: قاتل ابن صفية في النار، وجاء عمر بن طلحة علياً، فقال: مرحباً يا ابن أخي، إني لم أقبض مالكم لآخذه، ولكن خفت عليه من السفهاء، انطلق فخذ مالك إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من

---

(١) وردت في المخطوطة «وردّت».

(٢) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «جرموز» والصحيح ما أثبت.

(٤) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة، وأثبتها ليتم فهم معنى الجملة.

(٥) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة وأثبتها لإيجاب وضعها

غل إخوانا على سرر متقابلين﴾[1]ثم أمّر ابن عباس على البصرة، ورجع إلى الكوفة.

عن عروة قال: قلت لعائشة: من كان أحب الناس إلى رسول اللهﷺ؟ قالت: عليّ ابن أبي طالب، قلت: ما سبب خروجكِ عليه؟ قالت: لِمَ تزوج أبوك أمك؟ قلت: ذلك من قدر الله، قالت: وكان ذلك من قدر الله، وذكر لها مرة يوم الجمل، قالت: والناس يقولون يوم الجمل! قالوا: نعم، قالت: وددت أني جلست كما جلس غيري، فكان أحب إليّ من أن أكون ولدت من رسول الله عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

[وعن أبي بكرة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «يخرج قوم هلكى لا يفلحون قائدهم امرأة قائدهم في الجنة» رواه البزار والبيهقي][2].

وعن أبي [البختري][3] قال: سئل عن أهل الجمل أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

ومنها وقعة صفين:

وقد صرّح ، لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة.

وعن عطاء بن السائب قال: حدثني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[4].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

(٢) هذا الحديث الموضوع بين قوسين مربعين ساقط من المخطوطة.

(٣) في المطبوعة «البحتري» وهو تصحيف.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

قال عطاء: فبلغني أنه قتل مع معاوية يوم صفين، [وسببها][1] بالاختصار، إنه لما قتل عثمان، وبويع عليّ أرسل إلى معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون، وينعزل عن العمل، وكان عاملاً لعمر ثم لعثمان على الشام، وكان يرجو أن يبقيه عليّ على عمله، وقد كان الحسن بن عليّ وابن عباس وغيرهما أشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يأخذ له البيعة ثم [يقول][2] فيه ما شاء، فقال: هيهات لو علمت أن المداهنة تسعني في دين الله لفعلت، ولكن الله لم يرضَ لأهل القرآن بالمداهنة، فبلغ معاوية فحلف أنه لا يلي لعلي عملاً أبداً، وكان عمرو بن العاص على مصر، فعزله أيضاً، فاجتمع عمرو ومعاوية، واتفقا على الخروج.

وقد روى الطبراني عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص [معاً][3] ففرّقوا بينهما» وكان شداد إذا رآهما جالسين على فراش جلس بينهما، ولما فرغ عليّ من الجمل، ورجع إلى الكوفة، أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فامتنع، فقال له أبو مسلم الخولاني: أنتَ تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله، قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه، فأتوا علياً فقولوا له أن يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب أهل الشام، فأرسل إليه معاوية أبا مسلم يطلب بدم عثمان وإنه وليه وابن عمه، قال: يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكمهم إليّ، فتجهز معاوية من الشام وعليّ من الكوفة فالتقيا بصفين فتقاتلوا قتالاً شديداً حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفاً، فلما رأى أصحاب معاوية منهم العجز، قال عمرو لمعاوية: أرسلوا إلى عليّ بالمصحف، وادعوه إلى كتاب [الله][4] فإنّ علياً يجيبكم إلى ذلك، ففعلوا فقال عليّ رضي الله عنه: نعم نحن أحق بالإجابة إلى كتاب الله، فقال [النفر][5] الذين صاروا بعد ذلك خوارج ياأمير المؤمنين ما ننظر من هؤلاء، ألا نمشي عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا،

---

(١) وردت في المخطوطة «وسببه» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «يفعل».

(٣) في المطبوعة «جميعاً».

(٤) ساقطة من المخطوطة.

(٥) وردت في المطبوعة «القراء» والصحيح ما أثبته.

فقال سهل بن [حنيف][1]: يا أيها الناس اتهموا رأيكم، فآل الأمر إلىٰ التحكيم، فحكم عليّ أبا موسىٰ بعد أن أراد أن يحكم ابن عباس فمنعه أهل الكوفة، وحكم معاوية عمرو ابن العاص، فاتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه، وكان عمرو داهية، فقدَّم أبا موسىٰ، فخلع علياً، ثم قام عمرو فقال: إن أبا موسىٰ خلع علياً وإني نصبت معاوية، فاختلف الناس وأخذ أبو موسىٰ يسبّ عمراً، ويقول: إنك غدرت فرجع عليّ إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام، ثم تجهز عليّ لقتال أهل الشام مرة بعد أخرىٰ فشغله أمر الخوارج ثم تجهَّز في سنة تسع وثلاثين فلم يتهيأ ذلك لافتراق آراء أهل العراق عليه، ثم وقع الجد منه في ذلك سنة[2] أربعين، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة، وكانوا أربعين ألفاً بايعوه على الموت، [فقُتل][3] عليّ، وكان ما قدّر الله.

[وعن عروة بن رويم، قال: جاء أعرابي إلى النبيّ ﷺ فقال: صارعني فقام إليه معاوية فقال: أنا أصارعك، فقال النبيّ ﷺ: لن يغلب معاوية أبداً، فصرع الأعرابي، فلما كان يوم صفين قال عليّ كرَّم الله وجهه: لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية. رواه ابن عساكر][4].

وعن يزيد بن الأصم قال: سئل عليّ عن قتلىٰ يوم صفين؟ فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصير الأمر إليّ وإلى معاوية.

وعن [المسيب][5] بن نجية قال: أخذ عليّ بيدي يوم صفين، فوقف على قتلىٰ أصحاب معاوية فقال: يرحمكم الله، ثم مال إلى قتلى أصحابه فترحَّم عليهم بمثل ما ترحَّم على أصحاب معاوية، فقلت: يا أمير المؤمنين استحللت دماءهم ثم تترحَّم عليهم؟ قال: إن الله جعل قتلنا إياهم كفارة لذنوبهم.

وعنه كرَّم الله وجهه قال: من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجا، وما أحسن ما

(١) وردت في المخطوطة «حيف» وهو تحريف.

(٢) وردت هذه العبارة هكذا «في ذلك في سنة أربعين. . .» فتم حذف «في» للتكرار.

(٣) وردت في المطبوعة «فنتل» وهو تصحيف.

(٤) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٥) وردت في المطبوعة «المسبب» وهو تصحيف.

أخرج ابن عساكر قال: جاء رجل إلى أبي زرعة الرازي فقال: إني أبغض معاوية قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق، فقال أبو زرعة: رب معاوية رب رحيم، وخصمه خصم كريم، فما دخولك بينهما.

ومنها وقعة [النهروان][1]:

عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول اللهﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إن رسول اللهﷺ أمرنا بقتال [الناكثين][2] والقاسطين والمارقين فقد نازلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين. رواه ابن جرير.

وفي رواية أبي صادق عنه عهد إلينا رسول اللهﷺ أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم ـ يعني أهل الجمل ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين فلم أرهم بعد.

وروىٰ الزبير بن بكار في الموفقيات عن عليّ رضي الله عنه أنه أوصىٰ حين ضربه ابن ملجم في وصيته أن رسول اللهﷺ أخبرني بما يكون من اختلاف أمته بعده وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، وأخبرني بهذا الذي أصابني وأخبرني أنه يملك معاوية وابنه يزيد ثم يصير إلى بني مروان يتوارثونها، وإن هذا الأمر صائر إلى بني أمية إلى بني العباس، وأراني التربة التي يقتل به الحسين][3].

وعن أبي سعيد مرفوعاً[4] أنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد وثمود.

وعن أبي ذر نحوه، وزاد: هم شر الخلق والخليقة.

---

(١) وردت بالمخطوطة «نهروان» بدون تعريف وقد رأيتُ تعريفها أقوى.

(٢) في المطبوعة «الناكشين» بالشين، والصواب بالثاء.

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٤) لفظة «مرفوعا» ساقطة من المخطوطة.

وعن عليّ نحوه، وزاد: فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة.

وعن أنس نحوه، وزاد: طوبىٰ لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه، من قاتلهم كان أولىٰ بالله منهم سيماهم التحليق.

وعن عليّ أيضاً نحوه، وزاد: لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضىٰ لهم علىٰ لسان نبيهم لنكلوا عن العمل، وآية ذلك، أن فيهم رجلاً له عضد ليس فيه ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات [بيض][1].

وعن أبي سعيد تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين فيقتلها أولىٰ الطائفتين بالحق.

أقول: وفي هذا دليل على أن أصحاب معاوية ما خرجوا عن الإسلام، بل لم يفسقوا لأنهم مجتهدون وأنهم مخطئون في اجتهادهم، وإن أمير المؤمنين علياً وأصحابه كانوا أولىٰ بالحق لأنه الذي قتلهم، وقد صرح به في رواية ابن عمرو يقتهلم عليّ بن أبي طالب والأحاديث في الخوارج كثيرة لا تكاد تنحصر.

وسبب وقعتهم بالاختصار إنهم لما حكموا الحكمين، قالت القراء: كفر عليّ وكفر معاوية فاعتزلوا أمير المؤمنين، ونزلوا بحروراء بضعة عشر ألفاً، فأرسل إليهم ابن عباس يناشدهم الله ارجعوا إلى خليفتكم فبمَ نقضتم عليه في قسمة أو قضاء، قالوا: نخاف أن ندخل في الفتنة، قال: فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل، فرجع بعضهم إلى الطاعة.

وقال بعضهم: نكون علىٰ ناحيتنا فإن قبل القضية من التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين، وإن نقضها قاتلنا معه، فساروا حتى قطعوا النهر، وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس، فقال أصحابهم ما على هذا فارقنا علياً فلما بلغ علياً صنعهم، وكان متجهزاً إلى الشام، قام فقال: أتسيرون إلى عدوكم أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم في ديارهم؟ فقالوا: بل نرجع إليهم، فقال: ابسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا [ينجو][2] منهم عشرة، فكان كذلك فقال كذلك، فقال: اطلبوا رجلاً صفته

---

(١) وردت بالمطبوعة «أبيض» والصواب ما أثبته.

(٢) وردت في المخطوطة «يفر» وهو تصحيف..

كذا وكذا فطلبوه فلم يجدوه ثم طلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكره رسول الله ﷺ، فقال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم، فقال عليّ: كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لصاصاً جرادين.

وروى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[١] كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم يخرج مع المسيح الدجال.

وعن [ابن عمر][٢]: من قتله الحرورية فهو شهيد.

وعن الحسن قال: لما قتل علي الحرورية، قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون، قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، قيل: فما هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها [وصمّوا][٣] من بقايا هؤلاء القرامطة، وهم الباطنية والإسماعيلية، وفتنتهم مشهورة أهلكوا العباد، وأفسدوا البلاد، وستأتي الإشارة إليهم.

ومنها نزول أمير المؤمنين الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهما:

روى نعيم عن سفيان قال: أتيت الحسن بن علي رضي الله عنه بعد رجوعه إلى المدينة فقلت له: يا هلاك المؤمنين فكان مما احتج به علي [أنه][٤]: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم[٥]، ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع، وهو معاوية، فعلمت أن أمر الله واقع.

[وروى الديلمي عن الحسن بن عليّ قال: سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية][٦].

---

(١) جمع ترقوة. قال الفيومي: «وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين...» مادة: [ترق].

(٢) وردت في المطبوعة «ابن عمرو» والصواب ما أثبت.

(٣) وردت في المخطوطة والمطبوعة «ضموا» بالضاد، والصحيح ما أثبته.

(٤) وردت في المطبوعة «أن» والصواب ما أثبته.

(٥) حلقة الدبر.

(٦) هذا الحديث من المخطوطة.

قال في النهاية: السرم [الدبر][١]، والضخم العظيم، ومعناه الشديد الذي يملك الأرض كلها، أهو على حقيقته فإن معاوية دعا عليه النبيﷺ أن لا يشبع الله بطنه فلم يشبع بعد.

[روى مسلم والبيهقي[٢] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: «ادع لي معاوية، فقلت: إنه يأكل، فقال: في الثالثة لا أشبع الله بطنه، فما شبع بطنه أبداً».

أورده السيوطي في الخصائص.

وقد كان سليمان بن عبد الملك من بني أمية كذلك يأكل ولا يشبع فيحتمل أن يكون المراد في الحديث والله أعلم][٣].

وعن عامر بن ياسر قال: إذا رأيتم الشام قد اجتمع أمره على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة.

وروى ابن عساكر والطبراني عن عائشة أن النبيﷺ قال لمعاوية: إنّ الله ولاّك أمر هذه الأمة فانظر ما أنت صانع؟ قالت أم حبيبة: أويعطي الله أخي يا رسول الله قال: نعم، وفيها هنات هنات وهنات.

وروى أحمد[٤] عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل، قال معاوية: فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول النبيﷺ حتى ابتليت][٥].

وسببه أنه لما رجع عليّ من قتال الخوارج وتجهز للشام، كما مر، قتل في [السابع][٦] عشر شهر رمضان، وهو خارج لصلاة الصبح قتله أشقى الآخرين اللعين عبد الرحمن

---

(١) وردت في المطبوعة «الدير» بالياء. وهو تصحيف.
(٢) انظر: شعب الإيمان: ٤/ ١١٥.
(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.
(٤) انظر: المسند: ٤/ ٢٠٥.
(٥) هذا الحديث ساقط من المخطوطة.
(٦) وردت في المخطوطة «سابع» والصواب «السابع».

ابن ملجم ضربه بسيف مسموم على جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة السابع عشر من[1] رمضان سنة أربعين فبويع للحسن بالخلافة، فسار الحسن إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال يريد الشام، وخرج إليه معاوية يريد الكوفة، وأرسل عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن رضي الله عنه يطلب الصلح، فقال الحسن: إني أحقن دماء المسلمين، وأنزل عن الخلافة لمعاوية، ولكن إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ـ أي جبلنا على الكرم والتوسعة ـ على أتباعنا صار لنا عادة فلا نقدر على القلة وإن هذه الأمة قد عانت في دمائها أي العسكرين الشامي والعراقي قد قتل بعضهم من بعض فلا يكفون إلا بالصفح وعدم الانتقام قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فكتب إليه معاوية أن اطلب ما شئت واشرط فإني أوفي لك بذلك، وأرسل إليه ورقاً بياضاً وختم في أسفله، وقال: اكتب فيه ما شئت فشرط الحسن أشياء منها: أن يكون له بيت مال الكوفة، وأن يكون له [خراج][2] [دار][3] أبي جرد، وأن تكون الخلافة بعد معاوية له ولأخيه الحسين.

وفي رواية: تكون للمسلمين يولون من شاؤوا وأن لا يتعرض لأهل العراق ولا ينتقم منهم فنزل الحسن، وبايعه، فقال معاوية: تكلم يا حسن، فقام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه، وإني تركته حقناً لدماء المسلمين، وطلباً لما عند الله فشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول للحسن: إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين يكون بينهما قتلة عظيمة، وسميت تلك السنة سنة الجماعة لاجتماع الناس ورفع القتال بينهم.

وعن الحارث قال: لما رجع عليّ من صفين علم أنه لا يملك أبداً فتكلم بأشياء كان لا يتكلم بها، وحدَّث بأحاديث كان لا يحدّث بها، وقال فيما يقول: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تنزل عن كواهلها كالحنظل ومنها

---

(١) هذا الحرف ساقط من المخطوطة والمطبوعة وإثباته أولى.

(٢) وردت في المخطوطة «خرج» والصواب ما أثبته

(٣) وردت في المطبوعة «مجرد».

ملك بني أمية يزيد بن معاوية، ومن بعده المشتمل على الفتن العظام كقطع الليل المظلم.

عن عمران بن الحصين قال: أبغض الناس إلى رسول الله بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة.

وعن أبي ذر مرفوعاً: إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً[1]، ومال الله دخلاً[2]، وكتاب الله دغلاً[3]، وفي روايته: ومال الله بخلاً، وكتاب الله ثقلاً[4] وفي رواية: إذا بلغ بنو العاصي ثلاثين رجلاً اتخذوا [دين الله دخلاً][5] إلخ.

وعن ابن الموهب أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان، فقال له: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله إن مؤنتي لعظيمة وإني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة، فلما أدبر مروان وابن عباس جالس مع معاوية على السرير، فقال معاوية: يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: إذا بلغ بنو الحَكَم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة رجل، كان هلاكهم أسرع من أول ثمرة، فقال ابن عباس: اللهم نعم، وذكر مروان حاجة له، فردّ مروان عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فيها، فلما أدبر عبد الملك، قال معاوية: يا ابن عباس: أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا! فقال: أبو الجبابرة الأربعة، فقال ابن عباس: اللهم نعم. رواه البيهقي][6].

وعن عليّ كرم الله وجهه قال: لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية.

وعن عمران بن جابر الحنفي ـ وكان أحد الوفد ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل[7]لبني أمية ثلاث مرات.

---

(١) الخول: الخدم والحشم.

(٢) قال الفيومي: «الدخل ما يدخل على الإنسان في عقاره وتجارته» مادة: [دخل].

(٣) إدخال فيه ما يخالفه ويفسده.

(٤) الإفساد.

(٥) ساقطة من المخطوطة.

(٦) ساقط من المخطوطة.

(٧) ساقطة من المخطوطة.

وعن محمد بن كعب القرظي قال: لعن رسول الله ﷺ الحَكَم وما ولد إلا الصالحين منهم، وهم قليل.

وعن عمرو بن مرة الجهني قال: استأذن الحكم بن أبي العاصي على رسول الله ﷺ فعرف صوته، فقال: ائذنوا له حية أو ولد حية لعنة الله عليه وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم، قلت: وهذا الاستثناء إشارة إلى عمر بن عبد العزيز وأمثاله فهم يشرفون في الدنيا، يوضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلائق.

وعن زهير بن [الأرقم][1] قال: كان الحكم بن أبي العاصي يجلس إلى رسول الله ﷺ وينقل كلامه إلى قريش فلعنه رسول الله ﷺ وما يخرج من صلبه إلىٰ يوم القيامة.

وعن عبد الله بن الزبير أنه قال وهو على المنبر: ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاصي وولده ملعونون على لسان محمد ﷺ.

وعنه وهو يطوف: ورب هذه البنية لعن رسول الله ﷺ الحكم وما ولد.

وعن أبي يحيى النخعي قال: كنت بين الحسن والحسين ومروان يتشاتمان، فجعل الحسن يكف الحسين، فقال مروان: أهل [البيت][2] ملعونون، فغضب الحسن، وقال: أقلت أهل بيتي ملعونون؟ فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه، وأنت في صلب أبيك. وفي لفظ: لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت صلبه.

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت في النوم بني الحَكم ينزون على منبري كما تنزوي القردة، قال: فما رئي النبي ﷺ ضاحكاً متجمعاً حتى توفي. رواه أبو يعلىٰ والحكم والبيهقي.

وعن ابن المسيب قال: رأى النبي ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك فأُوحي إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه. رواه البيهقي.

---

(١) وردت في المخطوطة «الأقمر» والصواب ما أثبته.

(٢) في المطبوعة «بيت» والصواب ما أثبت.

وعن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما قال: إن رسول اللهﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[1] ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] يملكها بنو أمية. قال القاسم بن القيم بن الفضل: فحسبنا مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. رواه الترمذي[3] والحاكم والبيهقي.

وعن الزهري وعطاء الخراساني أن النبيﷺ قال للحكم: كأني أنظر إلى بنيك يصعدون منبري وينزلون. رواه الفاكهي.

وعن جبير بن مطعم قال: كنا مع النبيﷺ فمرَّ الحَكَم بن أبي العاصي فقال النبيﷺ: ويل لأمتي مما في صلب هذا.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: ليرعفن جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا فرعف عمرو بن سعيد بن العاصي على منبر النبيﷺ حتى سال الدم على درج المنبر[4].

وعن ابن عمر: قال: هجرت الرواح إلى رسول اللهﷺ فجاء الحسن فقال له رسول اللهﷺ: ادنُ فلم يزل يدنيه حتىٰ التقم أذنيه فبينما النبيﷺ يساره إذ رفع رأسه كالفزع، فإذا قرع بسيفه الباب، فقال لعليّ: اذهب فقدّه كما تقاد الشاة إلى حالبها، فإذا عليّ يُدخل الحكم بن أبي العاصي آخذاً بأذنه، ولها زنمة حتى أوقفه بين يدي النبيﷺ فلعنه نبي الله ثلاثاً ثم قال: أجلسه ناحية، حتى راح إليه قوم من المهاجرين والأنصار، ثم دعاه فلعنه، ثم قال: إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء، فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل أن يكون هذا منه، قال: بلىٰ، وبعضكم يومئذ شيعته، ثم إنهﷺ نفاه إلىٰ الطائف، فكان هناك حياته، ولم يردّه أبو بكر ولا عمر، فردّه عثمانُ في خلافته، وهذا أحد الأمور التي انتقدوها عليه، وهم

(١) سورة الكوثر، الآية: ١.

(٢) سورة القدر، الآيات ١، ٢، ٣.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٣/ ٥٥، المستدرك: ٢/ ٢١٢، شعب الإيمان: ١/ ١٦٥.

(٤) ساقط من المخطوطة.

صاروا سبب قتله، فكانت دولتهم مقتضية لمفاسد كثيرة ومظالم لا تعد ولا تحصىٰ، فمما وقع في زمن يزيد.

مقتل الحسن بن علي رضي الله عنهما:

وسببه أن يزيد بن معاوية أرسل إلى زوجة الحسن جعدة الكندية أنها تُسمّه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم، ففعلت، فمرض أربعين يوماً، وجهد به أخوه الحسين أن يخبره عمن سمّه فأبىٰ، وقال: الله أشد نقمة وأجد كبدي تقطع، وإني لعارف من أين دهيت - أي يشير إلىٰ أنه من قبل يزيد [1]- فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء، ثم قال: أقسم عليك ألا تريق في أمري محجمة دم، ومن كلامه له: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك، فيخرجوك، والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة، وقد كنت طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله ﷺ فأجابت: فإذا مت فاطلب منها. وما أظن القوم - يعني بني أمية - إلا سيمنعوك فإن فعلوا فلا تراجعهم، وادفني عند أمي فاطمة بالبقيع، فمات [رضي الله عنه][2]، بعد أربعين يوماً، والأكثرون أنه سنة خمسين فلما مات سأل الحسين عائشة رضي الله عنها، فقالت: نعم وكرامة، فمنعهم مروان، وكان أميراً بالمدينة من جهة معاوية ومن معه من بني أمية، فلبس الحسين ومن معه السلاح، وقالوا: نقاتل. وقال أبو هريرة: والله لا يمنعه إلا ظالم، والله إنه لابن رسول الله ﷺ ثم قال أبو هريرة للحسين: لا تكن أول من ترك وصية أخيك فقد أوصاك بعدم القتال، فما زال به حتى ردّه ودفنوه بالبقيع عند أمه، وأرسلت جعدة إلى يزيد تطلبه ما وعدها به، فأبى ولم يتزوجها.

مقتل الحسين [رضي الله عنه][3]:

عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أمسك يا معاذ وأحص، فلمّا بلغت خمساً، يعني من الخلفاء، قال: يزيد، لا بارك الله في يزيد نعى إليّ الحسين، وأتيت

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المخطوطة «رحمة الله تعالى».

(٣) لفظة «رضي الله عنه» ساقطة من المخطوطة.

بتربته وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلّط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعاً، قلت في هذا ذم للذين بايعوه، وأخرجوه ثم أسلموه إلى العدو، ولم يمنعوه واهاً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف يقتل خلفي، وخلف الخلف، أمسك يا معاذ، قال: فلما بلغت عشرة، قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته الحديث، وقوله: فلمّا بلغت عشرة يحتمل عشرة مع الخلفاء الراشدين، وحينئذ فهو الوليد بن عبد الملك لأن الخلفاء أربعة والخامس معاوية والسادس يزيد والسابع ابنه معاوية والثامن ابن الزبير أو مروان والتاسع عبد الملك والعاشر الوليد ابنه، وإن كان عشرة بعد يزيد، فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لأنه تولى بعد الوليد هذا سليمان أخوه وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك، فهؤلاء أربعة إذا انضموا إلى الخمسة يكونون تسعة والعاشر الوليد بن يزيد ويؤيد هذا الثاني قوله: يبوء بدمه رجل من أهل بيته لأنه قتله ابن عمه يزيد بن الوليد، وكذا قوله: سلّ الله سيفه فلا إغماد له لأنهم اختلفوا فقتل بعضهم فغلب عليهم بنو العباس، ومن ثم قال الزهري: إن تولى الوليد ابن يزيد فهو هو وإلا فهو الوليد بن عبد الملك وجاء من [طرق][1] صحح الحاكم بعضها أن جبريل، وفي رواية ملك القطر جاء إلى النبيﷺ فأخبره أن الحسين مقتول وأراه من تربة الأرض التي يقتل فيها فأعطاه لأم سلمة وأخبرها أن يوم قتله يتحول دماً فكان كذلك وشمﷺ ذلك، فقيل: ريح كرب وبلاء.

وسببه أنه لما مات الحسن أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل الشام، وجاء [حاجّاً][2] فأراد أن يأخذها له من أهل الحجاز من المهاجرين والأنصار فامتنعوا، وقالوا: إن كان لك رغبة فيها فهي لك، وإن سئمتها فردّها على المسلمين، فلمّا مات معاوية، وبويع يزيد بالشام وغيرها أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين فهرب الحسين إلى مكة خوفاً على نفسه فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، [فنهاه][3] ابن عباس، وذكر له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه وأمره أن لا يذهب بأهله

---

(١) وردت في المطبوعة «طريق».

(٢) وردت في المخطوطة «حج».

(٣) في المطبوعة «فيهاه» وهو تصحيف.

فأبى، فبكى ابن عباس، وقال: واحسيناه. وقال له ابن عمر نحو ذلك، فأبىٰ فقبل بين عينيه، وقال: أستودعك الله من قتيل، وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبقَ بمكة أحد إلا حزن، ولمّا بلغ أخاه محمد بن الحنفية بكىٰ حتى ملأ طستاً بين يديه، وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً أو أكثر، وأرسل إليه يزيد بن زياد وحرَّضه على قتله وأخذوا مسلم بن عقيل فقتلوه، وتفرّق المبايعون، وسار الحسين غير عالم بذلك، فلقي الفرزدق[1] فسأله، فقال: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء، ولما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع، فقالت إخوة مسلم بن عقيل: والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء[2] فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فلمّا وصلوا إليه طلبوا منه النزول على حكم ابن زياد والمبايعة ليزيد، فقال: دعوني أذهب إلى يزيد فأبىٰ ابن زياد إلا النزول على حكمه فقال: والله لا نزلت على حكمه أبداً، فقاتلوه، وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له والمبايعين له، فلعنه الله على قاتليه مرة وعلى خاذليه مائة مرة حيث جعلوا آل بيت رسول الله فداء لأنفسهم قاتلهم الله ما أغدرهم وأخذلهم، ومن ثم قال لهم أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه: والله لو قدرت لبعتكم بأهل الشام. صرف الدرهم بالدينار كل عشرة منكم واحد منهم فحارب [رضي الله عنه][3] ذلك العدد الكثير، ومعه من أهله نيف[4] وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً، ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه فلما بلغ القتلىٰ من أهله خمسين نادىٰ أما ذابٌ يذبّ عن حريم رسول الله ﷺ فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جدّه ﷺ، فقاتل بين يديه حتىٰ قتل، ثم [في][5] أصحابه، وبقىٰ بمفرده فحمل عليهم حملة عمه حمزة وأبيه عليّ، وقتل كثيراً من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه

---

(١) شاعر أموي مجيد، ويعد من أصحاب النقائض مع جرير والأخطل، أغلب شعره في الهجاء، وقد طرق في معظم الفنون الشعرية.

(٢) قال ياقوت الحموي في معجمه: [٤/ ٤٤٥]: «كربلاء مدينة بالعراق، وفيها قتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما».

(٣) وردت في المطبوعة «عليه السلام».

(٤) النيف: تطلق من واحد إلى ثلاث.

(٥) وردت في المخطوطة «فني» وهو تحريف.

وبين حريمه، فصاح [رضي الله عنه][(١)] كفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فكفّوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح لأنه طعن إحدىٰ وثلاثين طعنة، وضرب أربعاً وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش، فسقط إلىٰ الأرض، وحزوا رأسه الشريف يوم الجمعة عاشر محرم عام إحدىٰ وستين، ولما وضعه قاتله بين يدي اللعين ابن زياد أنشد متبجحاً شعراً:

أوقـر ركـابي فضـة وذهبـاً ... أنـي قتلـت ملكاً [محجبا][(٢)]

قتلـت خيـر الناس أماً وأباً ... وخيرهـم إذ ينسبـون نسبـا

فأمر بضرب عنقه، وقال: إذا علمت إنه كذلك فلم قتلته، والظاهر أنه ما قتله إلا لأنه مدحه لا لأنه قتله، ويدل لذلك أنه جعل الرأس الشريف في طست، وجعل يضرب ثناياه الشريفة بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره، فبكىٰ أنس رضي الله عنه، وقال: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وقال زيد بن أرقم: ارفع قضيبك، فوالله لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبّل الشفتين، وبكىٰ فأغلظ عليه اللعين ابن زياد وهدده بالقتل فقال: لأحدثك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنىٰ، وحسيناً هذا على فخذه اليسرىٰ، ثم وضع يده الكريمة على يافوخهما، ثم قال: اللهم إني استودعتك إياهما وصالح المؤمنين، فكيف كانت وديعة النبي عندك يا ابن زياد؟ وقد انتقم الله منه.

فقد روىٰ الترمذي بسند صحيح أن رأس ابن زياد لما قتل وضع موضع رأس الحسين، وإذا حيّة عظيمة، قد جاءت، فتفرق الناس عنها، فتخللت الرؤوس حتى جاءت ابن زياد، فجعلت تدخل من فمه وتخرج من منخريه، وتخرج من فمه، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً، ولما دخل قصر الإمارة بالكوفة أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان، ثم أنزل وجهزه مع رؤوس أصحابه وسبايا آل الحسين على أقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤوس إلى يزيد لعنه الله، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس أول منزل جعلوا يشربون على الرأس، فخرجت

---

(١) في المطبوعة «عليه السلام».

(٢) وردت في المطبوعة «محبا».

عليهم يد من الحائط، فكتبت سطراً بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس، ثم عادوا وأخذوه ولما قدموا به على يزيد أقام الحريم على درج الجامع حيث تقام الأسارىٰ والسبي، ومما ظهر يوم قتله أن السماء أمطرت دماً، وأن أوانيهم ملئت دماً، وانكسفت الشمس، ورؤيت النجوم، واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب ضربت بعضها بعضاً وأنه لم يرفع جمر إلا رؤي تحته دم عبيط وأن [الـورس][1] انقلب دماً، وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، وقتل معه من إخوته وبنيه وبني أخيه الحسن، ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً.

وقال الحسن البصري: وما كان على وجه الأرض لهم يومئذ شبيه، وأنشدوا:

أعين [أبكـي][2] بعبرة وعـويل وانـدبـي إن نـدبت آل الرسول
سبعـــة منهـم لصلـب علـــي قــد أبيــدوا وتسعــة لعقيــل

ومنها وقعة الحرّة:

روىٰ عمر بن شِبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده ليكونن بالمدينة ملحمة يقال لها: «الحالقة» لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، فاخرجوا من المدينة، ولو على قدر بريد.

وروىٰ أيضاً: ويل للعرب من شر قد اقترب على رأس الستين تصير [الأمانة][3] غنيمة والصدقة غرامة والشهادة بالمعرفة والحكم بالهوىٰ. رواه الحاكم.

وكان أبو هريرة يقول: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان، يشير إلى قولهﷺ هلاك أمتي على أيدي أغيلمة[4] من قريش، فإن يزيد فيها تولىٰ.

---

(١) وردت في المطبوعة «الرؤوس» وهو تصحيف.
(٢) في المطبوعة «بكى» والصحيح ما أثبت.
(٣) وردت في المخطوطة «الإمامة» والصواب ما أثبته.
(٤) جمع غلام.

وعن أيوب بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال[1]: قال رسول الله ﷺ: يقتل بحرة زهرة خيار أمتي أبي عبيدة، لا يزال هذا الدين قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية.

وعن أبي العالية قال: كنا بالشام مع أبي ذر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أول رجل يغيّر سنتي رجل من بني فلان ـ يعني بني أمية ـ فقال يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية أنا هو؟ قال: لا.

[وقد أخرج أبو يعلىٰ عن أبي عبيدة مرفوعاً: لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجلٌ من بني أمية يقال له: يزيد.

وأخرج الروياني عن أبي الدرداء مرفوعاً: أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد][2].

وسبب هذه الوقعة أن معاوية لما أراد أن [يأخذ][3] البيعة ليزيد من أكابر أهل الحجاز كابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر، أرسل إليهم في ذلك، فلم يجيبوه، فأرسل إلى ابن عمر بمائة ألف درهم فأخذها، فدسّ إليه رجلاً، فقال له: ما يمنعك أن تبايع.له إن ذاك لذاك يعني عطاء المال للمبايعة، فقال: إن ديني إذاً عندي لرخيص لا أبايع أميرين أبداً، وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فأجابه بكلام غليظ، وأرسل إلى عبد الله ابن الزبير فأجابه بنحو ذلك، فظن أنهم لا يرضون بخلافةيزيد ولا يبايعونه، فلما احتضر معاوية قال لابنه يزيد: لقد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس، ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز، فإن رابك منهم أمر فوجه إليهم مسلم ابن عقبة فإني قد جرَّبته، ورأيت نصيحته، فلما مات وصار أمر الحسين إلى ما ذكر ابن

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) الكلام بين قوسين مربعين ساقط من المخطوطة.

(٣) في المخطوطة «أخذ».

الزبير، أظهر الخلاف على يزيد والتجأ إلى مكة، وقام أهل المدينة فشاركوا ابن الزبير في الخلاف، وخلعوا يزيد بعد أن بايعوه، وحاصروا بني أمية الذين كانوا بالمدينة، فأرسل مروان إنا حصر، ومنعنا الماء العذب، فواغوثاه! ، فوجه إليهم مسلم بن عقيل المري في اثني عشر ألفاً، وقيل: عشرين ألفاً، وقال: ادعهم ثلاثاً، فإن رجعوا وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت فأبحها للجيش ثلاثاً -أجهز على جريحهم، واتبع منهزمهم، فتوجه إليهم، فوصل في ذي الحجة سنة ثلاث وستين فحاربوه، وكان الأمير على الأنصار عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعلى قريش عبدالله بن مطيع وعلى غيرهم، من القبائل، معقل بن سنان الأشجعي، وكانوا اتخذوا خندقاً فلما رآهم أهل الشام خافوهم وكرهوا قتالهم، فأدخل بنو حارثة قوماً من الشاميين من جانبة الخندق، فلما سمعوا التكبير في جوف المدينة خافوا على أهلهم، فتركوا القتال، ودخلوا المدينة فكانت الهزيمة، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس، ووقعوا على النساء، وقاتل عبدالله بن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة، وبعث برأسه إلى يزيد، وقتل من وجوه الناس أكثر من سبعمائة من قريش ومن أخلاط الناس من الموالي والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وسبوا الذرية واستباحوا الفروج وأحبلوا أكثر من ألف امرأة من الزنا، وسُمي أولادهم «أولاد الحرة» وربطوا الخيل بسواري المسجد الشريف، وجالت الخيل فيه وراثت وبالت بين القبر الشريف والمنبر وتعطل المسجد الشريف ثلاثة أيام لم يُصلَّ فيه، وكان ابن المسيب في المسجد تلك الأيام يسمع من القبر الشريف الأذان والإقامة، وكانوا يضحكون منه، ويقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون يصلي وذلك لأنه جاؤوا به ليبايع يزيد على أنه عبد قن ليزيد في طاعة الله ومعصيته كما بايع الناس فقال: بل على كتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر، فأمر بقتله، فقال بعض الناس: دعوه فإنه مجنون، فتركوه، وكل من أبى أن يبايع على أنه عبد ليزيد في طاعة الله ومعصيته أمر بقتله، ودخلت طائفة[1] بيت أبي سعيد الخدري، فأخذوا ما فيه من المتاع، ودخلت طائفة أخرى فلم يجدوا شيئاً فاضجعوه ومعطوا لحيته خصلة خصلة، ولم يتعرض لعلي ابن الحسين زين العابدين لأن يزيد وصاه به، وقال: إنه لم يدخل في شيء من أمرهم،

---

(١) قال الفيومي: «الطائفة من الناس الجماعة، وأقلها ثلاثة وربما أطلقت على الواحد والاثنين» [مادة: طوف].

وسموا مسلماً هذا مسرفا لإسرافه في القتل والفساد ثم توجه إلى ابن الزبير فإنه قال له يزيد: إذا فرغت من أمر المدينة فتوجه إلى مكة، وكان مريضاً فمات في الطريق، وكان من غاية جهله وضلاله يقول: اللهم إني لم أعمل بعد شهادة أن لا إلّه إلا الله أرجىٰ لي من قتل أهل المدينة، ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي، ثم نادىٰ الحصين[1] بن نمير وقال له: أمير المؤمنين - يعني يزيد - ولاك بعدي فأسرع السير ولاتؤخر ابن الزبير، وأمره أن ينصب المجانيق على مكة، [وقال][2]: إن تعوذوا بالبيت فارمه فذهب وحاصر مكة أربعاً وستين يوماً، وجرى فيها قتال شديد، ورمىٰ البيت بالمجانيق وأخذ رجل قبساً في رأس رمح فطارت به الريح فأحرق البيت فجاءهم نعي يزيد، وكان بين الحرة وموته ثلاثة أشهر، وقيل دونه واجترأ أهل مكة وأهل المدينة على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته، فنكس عنها، فقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا، ومضىٰ ذلك الجيش حتى دخل الشام، فبويع لابن الزبير بالحجاز، ، وبايع أهل الآفاق كلها لمعاوية بن يزيد، [مقام يزيد][3]وكان رجلاً صالحاً فيه [دين وعقل][4]، [فقال: أيها الناس إن جدي معاوية نازع هذا الأمر كله، وخاض في دماء المسلمين حتى غلب عليه، ثم مات، فالله أعلم بما هو صائر إليه، وإن ابن يزيد نازع هذا الأمر أهله، وقتل أولاد رسول الله ﷺ وأهل الحرمين ونصب المجانيق على الكعبة، ثم مات فالله أعلم بما هو صائر إليه وإنكم قلدتموني هذا الأمر، فوالله لا أذهب بإثمه وتذهبون بنعيمه ولا أدخل في شيء من دماء المسلمين وأموالهم، فلزم بيته إلىٰ أن مات بعد أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر وهو آخر من تولىٰ من بني أبي سفيان][5]، [فأقام فيها أربعين يوماً، قيل أقام فيها خمسة أشهر وأياماً، وخلع نفسه وذكر غير واحد أن معاوية ابن يزيد لما نازع نفسه صعد المنبر، وجلس طويلاً ثم حمد الله تعالىٰ، وأثنىٰ عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ثم ذكر النبي ﷺ بأحسن ما يذكر به ثم قال: «أيها الناس لست أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني

---

(١) وردت في المطبوعة «حصين».

(٢) في المخطوطة «قال» بدون الواو العاطفة.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

(٥) ساقطة من المطبوعة.

أعلم إنكم تكرهوننا أيضاً لأنا بلينا بكم وبليتم بنا إلا أن جدي معاوية نازع في هذا الأمر من كان أولىٰ به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظيم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأخوه زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته وجعله لها بعلاً [1] باختياره وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيديّ شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة تربية الرسول وابنا فاطمة البتول من الشجرة الطاهرة الزاكية، فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدي الأمور، فلما جاء القدر المحتوم واخترمته أيدي المنون فبقي مرتهناً بعمله فريداً في قبره، ووجد ما قدمت يداه ورأىٰ ما ركبه واعتداه ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد فتقلد أمركم لهوىٰ كان أبوه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ فركب هواه، واستحسن خطاه وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله ﷺ فقلّت مدته وانقطع خبره وضاجع عمله وصار حليف حفرته ورهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له على الحزن عليه فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له، هل عوقب بإساءته وجوزيَ بعمله، وذلك ظني. ثم اختنقته العبر[2]، فبكىٰ طويلاً وعلا نحيبه ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني الله حملت قدرته متقلداً أوزاركم وألقاه بتبعاتكم شأنكم وأمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولُّوه، وخلعت بيعتي من أعناقكم، والسلام».

فقال له مروان بن الحكم ـ وكان تحت المنبر آسنة عمرية ـ: يا أبا ليلىٰ آعد عني آعن ديني تخدعني، فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها ائتني برجال مثل رجال عمر علىٰ أنه ما كان حين جعلها شورىٰ وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوماً، والله لئن كانت الخلافة مغنماً، لقد نال أبي منها مغرماً ومآثماً، ولئن كانت شراً فحسبه منها ما أصابه، ثم نزل فدخل عليه آقاربه وأمه فوجدوه يبكي، فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك ثم قال: ويلي إن لم يرحمني ربي ثم إن

(١) زوجاً.

(٢) الدموع.

بني أمية قالوا لمعلمه عمر، والمقصوص أنت هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة، وزيَّنت له حب عليّ وأولاده، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق، وقال ما قال فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب عليّ، فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات وتوفي معاوية بن يزيد بعد خلعه نفسه بأربعين يوماً وقيل: تسعين ليلة، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وقيل: إحدىٰ وعشرين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: عشرين سنة، ويقال: لما احتضر قيل له: أما تستخلف؟ فأبىٰ وقال: ما أصبت من حلاوتها شيئاً فَلِمَ أتحمل مرارتها، ولم يعقب رحمه الله ورحم له][1].

كان قتل الحسين ووقعة الحرة [وقتل ابن الزبير][2] ورمي الكعبة بالمنجنيق [واستحلال الحرم][3] من شنائع يزيد.

قال ابن حجر في شرح [الهمزية][4]: «ولا عجب فإن يزيد بلغ من قبائح الفسق والإخلال بالتقوىٰ مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه.

بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعاً وعلماً يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده، وإن لم تثبت عند غيره كالغزالي، وبالغ ابن العربي المالكي فقال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جده أي لأن البيعة سبقت ليزيد، وهو باغ عليه لأن كثيرين قدموا عليها مختارين على أن أباه قد استخلفه ومع الاستخلاف لا يشترط ذلك، ولا شك أن أباه قد صار خليفة حقاً بنزول الحسن له واجتماع الناس عليه، ويرد بأن هذا إنما هو بعد استقرار الأحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الإمام الجائر، أما قبل ذلك فكان الأمر منوطاً بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضي الله تعالى عنه اقتضى جواز أو وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم عنها الآذان، [ويزيد][5] لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه،

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) في المطبوعة «الهمزة» والصواب ما أثبت.

(٥) وردت في المطبوعة «يزل» والصواب ما أثبته.

والمبايعون له مكرهون على البيعة، وغايته أمر يزيد إن لم يكن كافراً، أنه [جائر][1]فاسق متغلب، وحرمة الخروج على الجائر محلها بعد استقرار الأمور وانقضاء تلك الأعصار، انتهىٰ.

قلت: .وأيضاً فإن يزيد كان فاسقاً جاهلاً، وشرط الاستخلاف ابتداء العلم بالأحكام والعدالة، وقولهم: (إن الإمام الأعظم لا ينعزل بالفسق) إنما هو دوماً لا ابتداء. فإنه يمنع من البيعة، وأما [تغلب[2] يزيد] فإنما حصل بعد قتل الحسين بل وبعد الحرة، حيث قتل أكثر من يستحق الخلافة على أن أهل مكة لم يبايعوه وأصروا مع ابن الزبير علىٰ القتال زمنه وزمن [ابنه][3] معاوية ثم بعد معاوية بن يزيد، بايع أهل الآفاق كلها لابن الزبير، وانتظم له ملك الحجاز واليمن ومصر والعراق والشرق كله وجميع بلاد [الشام][4] حتى دمشق، لم يتخلَّف عن بيعته إلا بنو أمية ومن يهوى هواهم، وكانوا بفلسطين حتى أن مروان همَّ بالرحلة إلى مكة ليبايعه، فمنعه بنو أمية، وبايعوه بالخلافة، وخرج بها أطاعه إلى دمشق، وقاتل الضحاك بن قيس المبايع لابن الزبير فاقتتلوا بمرج راهط[5]، فقتل الضحاك وغلب مروان على الشام، ثم توجه إلى مصر فحاصر عامل ابن الزبير بهاحتى غلب عليها في ربيع الآخر سنة خمس وستين، ومات في تلك السنة، فكانت مدته ستة أشهر، وعهد إلى ابنه عبد الملك، فقام مقامه، وكمل له ملك الشام ومصر والمغرب، ولابن الزبير ملك اليمن والحجاز والعراق والمشرق إلا أن المختار بن أبي عبيد غلب على الكوفة، وكان يدعو إلى المهدي من أهل البيت، ويقول: إنه محمد بن الحنفية، فأقام على ذلك نحو السنتين، ثم سار إليه مصعب بن الزبير أمير البصرة لأخيه عبدالله بن الزبير فحاصره حتى قتل في شهر رمضان في سنة سبع وستين، وانتظم أمر العراق كله لابن الزبير، فدام ذلك إلى سنة إحدىٰ وسبعين، وسار عبد الملك إلى مصعب وقاتله حتى قتله في جمادىٰ منها، وملك العراق كله، ولم يبقَ مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط، فجهز إليه عبد الملك الشقي

---

(١) في المطبوعة «جائز» بالزاي، والصواب ما تم إثباته.

(٢) في المطبوعة «تعلب» بالعين، والصواب ما تم إثباته.

(٣) في المطبوعة «أبيه» والصواب ما أثبته.

(٤) في المطبوعة «الشلام».

(٥) قال ياقوت الحموي في معجمه [٥/ ١٠١]: «مرج راهط ناحية من نواحي دمشق».

الحجاج بن يوسف الثقفي فحاصره في سنة اثنتين وسبعين إلى أن قتل عبدالله بن الزبير في جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وسبعين، وكان مجموع مدة ابن الزبير تسع سنين وشيء، ثم اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ثم بعده على ابنه الوليد ثم ابنه سليمان ثم عمر ابن عبد العزيز ثم ابنه الآخر يزيد ثم ابنه الآخر هشام فهؤلاء كلهم أولاد عبد الملك إلا عمر فإنه ابن أخيه عبد العزيز ثم بعد هشام تولى ابن أخيه [الوليد][1] بن يزيد، فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله، وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان، ولما مات ولّي أخوه إبراهيم فغلبه مروان، واختل أمرهم حتى غلب على الملك بنو العباس، وقتلوهم أشد قتلة، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ومنها خراب المدينة:

[أخرج ابن شيبة][2] عن أبي هريرة: ليخرجن أهل المدينة من المدينة أعمر ما كانت نصفاً زهواً ونصفاً رطباً[3].

قيل: من يخرجهم؟ قال: أمراء السوء.

وروىٰ أحمد برجال الصحيح أن النبيﷺ صعد أُحداً فأقبل على المدينة فقال: «ويل أمّها قرية يدعها أهلها كأينع ما تكون».

وروى[4] ابن شبة عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتاباً لكعب: ليفشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها، وهي مذللة وتبولها السنانير على قطائف الخز ما يروعها شيء، وحتى تخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء.

وفي الموطأ: لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيقذي أي يبول على بعض سواري المسجد.

ورواه ابن شبة، ولفظه: فيقذي على سواري المسجد والمنبر.

---

(١) وردت في المطبوعة «الوليدين» وهو تصحيف.

(٢) في المطبوعة «خرج شبه» والصواب ما أثبت.

(٣) في المطبوعة «نصف هواً ونصف زبطاً» وهو تحريف.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

قال القاضي عياض: إن هذا جرىٰ في العصر الأول، وإنها تركت أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا. أما الدين فلكثرة العلماء بها، وأما الدنيا فلعمارتها، واتساع حال أهلها.

وذكر الأخباريون أنه رحل عنها أكثر أهلها، وبقيت ثمارها للعوافي وخلت مدة، ثم تراجعوا، قال: وقد حكىٰ قوم كثيرون: أنهم رأوا ما أنذر بهﷺ من تقذية الكلاب علىٰ سواري مسجدها، انتهىٰ.

وقال النووي: الظاهر المختار أن الترك لها يكون آخر الزمان.

قال السيد السمهوري في تاريخها: إنه ورد ما يقضي أن الترك لها يكون متعدداً.

فقد روى ابن شبة: ليخرجنَّ أهل المدينة منها ثم ليعودن إليها ثم ليخرجن منها ثم لا يعودون إليها.

ورویٰ أيضاً عن عمر مرفوعاً: يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها ثم تمتلىء وتبنىٰ ثم يخرجون منها ولا يعودون إليها أبداً.

قال: فالظاهر أن ما ذكره القاضي عياض هو ترك الأول، وسببه كائنة الحرة كما في حديث أبي هريرة: يخرجهم أمراء السوء. وأنه بقي الترك الذي يكون آخر الزمان، انتهىٰ.

قلت: ويؤيد ما ذكره ما في رواية شريح السابقة: ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها.

فإن خروجهم عنها آخر الزمان يكون للهجرة إلى بيت المقدس طلباً للجهاد لا للفزع، نعم يمكن أن يقال إن ذلك يقع في زمن السفياني أيضاً، وهو من أمراء السوء، وهو في آخر الزمان، لكن إذا ثبت التعدد سهل الأمر بأن يقال: يخرجون منها ثلاث مرات، وإنما ذكر في الحديث مرتين إيجازاً واختصاراً.

وبالجملة فقد وقع ذلك في زمن يزيد، وهو من جملة قبائحه الشنيعة، ولا بد من وقوعها مرة أخرى في آخر الزمان، كما صرَّحت به الأحاديث الصحيحة، وسيأتي إن شاء الله هذا الترك الثاني في القسم الثالث، وبالله التوفيق.

ومنها الفتن التي وقعت في زمن بني مروان قتل ابن الزبير وهدم الكعبة وتولية الحجاج:

فإنه قتل مائة ألف وعشرين ألفاً وأربعة آلاف نفس حرام، غير ما قتله في المحاربات وأهان جماعة من الصحابة وختمهم في رقابهم إهانة منهم أنس خادم النبيﷺ، ودسّ علىٰ ابن عمر من ضربه بحربة مسمومة فقتله إلى غير ذلك من القبائح، ولا شك أنه سيئة من سيئات عبد الملك فإنه كان أميراً له على العراق [وعلىٰ الحجاز][1].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: قال عليّ لرجل: لا متَّ حتى تدرك [فتى][2] ثقيف قيل: ما فتىٰ ثقيف؟ قال: ليقالن له يوم القيامة: اكفنا [زاوية][3] من زوايا جهنم رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه. رواه البيهقي في الدلائل[4].

ومنها قتل زيد بن علي بن الحسين وصلبه وحرقه بالنار وقتل ولده يحيى في زمانهم:

فشربوا الخمر، وصلّوا بالناس [سكارى][5]، وتقديمهم الجواري في المحراب وغير ذلك من أنواع القبائح، بل نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء[6] أن الوليد بن يزيد عزم على الحج لأجل أن يشرب فوق ظهر الكعبة، فقتل قبل أن يبلغ مراده.

عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف: ألم يكن فيما تقرأ قاتلوا في الله في آخر مرة كما قاتلتم أول مرة؟ قال: متى ذاك؟ قال: إذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو مخزوم الوزراء، رواه الخطيب.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «فتن» والصواب ما أثبته.

(٣) وردت في المطبوعة «زوايه» وهو تحريف.

(٤) أنظر الدلائل: ٣/ ٢٣٥.

(٥) وردت في المخطوطة «سكرانين» والسديد ما تم إثباته.

(٦) أنظر: تاريخ الخلفاء: ٢٤١.

وقد مرَّ لعنهم على لسان نبيهمﷺ هذا، [وطرق][1] السلامة والورع السكوت عنهم والاشتغال بعيوب النفس، وبذكر الله تعالىٰ، فإن الاشتغال بهم باب عظيم من أبواب الشيطان، ولقد أحسن من قال:

لعمـرك إن فـي ذنبي لشغـلا ... بنفسي عـن ذنـوب بنـي أميـة
عـلى ربـي حسـابهـم تنـاهـىٰ ... إليـه علـم ذلـك لا إليـه
وليس [بضاري][2] ما قـد أتـوه ... إذا مـا اللـه يغفـر مـا لـديـه

ومنها دولة بني العباس:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إذا أقبلت رايات ولد العباس من عقبات خراسان جاؤوا بنعي الإسلام، فمن سار تحت [لوائه][3] لم تنله شفاعتي يوم القيامة» رواه أبو نعيم في الحلية[4].

وعن أبي أمامة قال: ستخرج رايات من المشرق لبني العباس أولها مثبور وآخرها مثبور، لا تنصروهم لا ينصرهم الله من مشىٰ تحت راية من راياتهم أدخله الله تعالى النار يوم القيامة ألا إنهم شرار خلق الله وأتباعهم شرار خلق الله يزعمون أنهم مني، وما هم مني. رواه الطبراني[5].

وعن ثوبان وعن مكحول مرسلاً وعن عليّ موصولاً: ما لي ولبني العباس شيّعوا أمتي وسفكوا دماءها، ولبسوا ثياب السواد ألبسهم [الله][6] ثياب النار.

رواه الطبراني[7]

لكن قد روىٰ السهروردي وغيره بسند جيد أن جبريل نزل لابساً السواد، فقال: يا

---

(١) في المطبوعة «طريق».
(٢) في المطبوعة «بغائري».
(٣) في المطبوعة لوائهم والصواب ما تم إثباته، لأن حقها الأفراد.
(٤) أنظر الحلية: ٢/ ١٢٥.
(٥)٢/ ٢١٣.
(٦) ساقطة من المخطوطة.
(٧)٣/ ٢١٥.

محمد هذه ثياب بني عمك العباس، فدعا لهمﷺ، وقال: [اللهم][1] اغفر للعباس وولده، فتحمل الأحاديث الأولى إن صحت على شرارهم، وهذا وأمثاله على خيارهم على أن هذا [أصح][2] وله شواهد.

ومنها الفتن التي وقعت في زمنهم قتال أهل المدينة وقتل محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وقتل أخيه إبراهيم بن عبد الله، وقتل جماعة كثيرة من العلويين، وحبس الإمام جعفر الصادق في زمن المنصور، وموت الإمام موسى الكاظم في الحبس في زمن الرشيد، وإدخال الفلسفة في الإسلام، ونصرة الاعتزال في زمن المأمون، وقتل كثير من العلماء وتكليفهم القول بخلق القرآن، وضرب الإمام أحمد ابن حنبل في زمنه وزمن المعتصم والواثق وغيرهم.

ولم تتفق الكلمة في زمنهم، ولم تصف له الخلافة فكان أول من رجع عن الاعتزال منهم، ونصر السنة المتوكل فإنه رأى في المنام النبيﷺ على تل وحوله خلق كثير وهو ينادي بأعلى صوته: ألا إن محمد بن إدريس الشافعي ترك فيكم علماً نفيساً، فاتبعوه تهتدوا، فانتقل إلى مذهب الشافعي، وعيّن من بيت المال اثني عشر ألفاً لنشر حديث رسول اللهﷺ، ثم لا زالوا في التناقص إلى أن بقي لهم من الخلافة مجرد الاسم، وغلب آل سلجوق على معظم البلاد، فكان آخرهم بالعراق [المستعصم][3] الذي قتله التتار، ثم انتقلوا إلى مصر، وكان زمانهم مشحوناً بالعلماء في كل فن من التفسير والحديث والنحو واللغة والقراءة والفقه والكلام والتاريخ وغير ذلك، حتى أن زمان الرشيد كان يسمى «عرمس الدهر».

ومنها فتنة الفاطمية واستيلاؤهم على المغرب ومصر نحواً من ثلاثمائة سنة وإظهارهم الرفض، ونصرهم مذهب الباطنية، وإلحادهم في الدين، وكان استيلاؤهم على جزيرة الفسطاط سنة ثمان وثلاثمائة، وكان انتزاعها منهم على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر في سنة أربع وستين وأربعمائة، فرحم الله روحه وجزاه عن الإسلام خيراً.

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «صح» والصواب ما أثبت.

(٣) وردت في المخطوطة «المعتصم» وهو تصحيف.

ومن فتن هؤلاء أن الحاكم منهم بنى داراً، وفرشها وأجلس الفقهاء والمحدثين فيها ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل الفقهاء والمحدثين، وأن الطاهر بن الحاكم جمع ألفين وستمائة وستين جارية مزينات بحليهن في قصر، وأمر ببناء أبوابه إلى أن متن كلهن، وبعد ستة أشهر أضرم عليهن النار فأحرقهن بثيابهن وحليهن. فلا رحمه الله ولا رحم من خلفه.

ذكر السيوطي في حسن المحاضرة[1] قال ابن أبي حجلة: الحاكم قتل من العلماء ما لا يحصى، وأمر بسب الصحابة وأمر بكتب ذلك على أبواب المساجد والشوارع ثم محاه مدة، وهدم قمامة، وبنى مكانها مسجداً ثم أعادها كما كانت، وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها، ونهى عن أكل الملوخية والجرجير، وعلّل تحريمها بكون معاوية يميل إلى الملوخية وعائشة إلى الجرجير، ونهى عن بيع الرطب ثم جمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه، وكان مقدار النفقة على إحراقه خمسمائة دينار، ونهى عن بيع العنب، وقلب خمسة آلاف ألف جرة من جرار العسل في البحر وكسر جراره، وأمرالنصارى واليهود بالدخول في الإسلام كرهاً ثم أمرهم بالعود إلى أديانهم، فارتد منهم في سبعة أيام ستة آلاف، وخرَّب كنائسهم ثم أعادها، وادعى الربوبية، وكتب باسم الحاكم الرحمن الرحيم، واجتمع له كثير من الجهال، وبذل لهم المال ونادوه باسم الإله فكانوا إذا رأوه قالوا: يا واحد يا أحد يا مُحيي يا مميت. وصنف له بعض الباطنية كتاباً ذكر فيه أن روح آدم انتقل إلى عليّ ثم إليه، وقُرِىء هذا الكتاب بجامع القاهرة، وسير هذا المصنف إلى جبال الشام، فنزل بوادي التيم وناحية بانياس واستمال الناس وأعطاهم المال، وأباح لهم الخمر والزنا ودعاهم إلى معتقد الحاكم فأضل منهم خلقاً كثيراً، وفي وادي التيم إلى يومنا هذا قرى كثيرة يعتقدون رجوع الحاكم، وأنه يعود ويمهد الأرض هذا كلامه ملخصاً. واستمروا بها ظالمين إلى أن أبادهم الله على أيدي السلاطين الأكراد الأيوبية، وتولى هؤلاء أيضاً قريباً من مائتي سنة من سنة أربع وستين وأربعمائة إلى سنة ثمان وأربعين وستمائة آخرهم الملك المعظم توران شاه قتله أتباعهم الأتراك، وتولى أولئك أيضاً من هذه السنة إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ثم استولى على الأمر أتباعهم الجراكسة إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ثم غلبهم ملوك بني عثمان إلى يومنا هذا،

---

(١) انظر حسن المحاضرة: ١/ ١٧٥.

فالمُلك والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

ومنها فتنة القرامطة وإهانتهم الدين واستحلالهم الحرم، وستأتي الإشارة إليهم فيما بعد ومنها قتال الترك وفتنتهم وهم التتار.

فقد روى الستة إلا النسائي: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذُلْف[1] الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة.

وفي رواية للبخاري[2]: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوز وكرمان قوماً من الأعاجم حمر الوجوه. وفي لفظ له: عراض الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة. ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر [وفي لفظ له عراض الوجوه][3].

قولهم: نعالهم الشعر على ظاهره.

[قال البيهقي: وقد وقع ذلك فإن قوماً من الخوارج قد خرجوا بناحية الري، وكانت نعالهم الشعر، وقوتلوا، ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى، بل][4] ويحتمل أن يكون من جلود مشعرة غير مدبوغة، ويحتمل أن المراد وفور شعرهم حتى يطؤوها بأقدامهم.

قال المناوي في تخريج المصابيح: وحمر الوجوه بيض الوجوه مشرّبة بحمرة، وذلف الأنوف بالذال المعجمة في رواية الجمهور.

قال صاحب المشارق: وهو الصواب، ويروىٰ بالمهملة، وهو بضم الدال وسكون اللام جمع أدنف كأحمر وحمر ومعناه: فطس الأنوف كما في الرواية الأخرى أي قصارها مع انبطاح، وقيل غلظ أرنبة الأنف قاله النووي.

والمَجانّ بفتح الميم وتشديد النون جمع مِجن بكسر الميم، وهو الترس والمُطْرَقة بضم

---

(١) أي قصار الأنوف، أفطس.

(٢) انظر كتاب الجهاد، باب: قتال الترك، رقم: ٢٧٦٩، ٢٧٧٠، وباب: قتال الذين ينتعلون الشعر، رقم: ٢٧٧١.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

الميم وسكون الطاء، وحكي فتح الطاء وتشديد الراء.

قال النووي: الأول هو المشهور في الرواية وكتب اللغة، ومعناه أن وجوههم عريضة كما في الرواية الأخرى ووجناتهم ناتئة كالترس المطرقة، وخوز ضبطه في النهاية بالخاء والزاي المعجمتين مضافاً إلى كرمان قال: وهو جبل معروف وهو من [بلاد][1] الأهواز من عراق العجم بحيث قيل إنه صنف منهم، وكرمان صقع معروف في العجم.

قال السخاوي: وهي بلدة معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند.

قال في النهاية: ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس.

وصوَّبه الدارقطني قال: وروي خواز وكرمان، وقيل: إذا أضيف فبالراء وإذا عطف فبالزاي المعجمة.

وورد: اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتي ملكهم بنو قنطوراء. الحديث، زاد في رواية: فإنهم أصحاب بأس شديد وغنائمهم قليلة.

قال النووي: هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ، فقد عرف حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ، وقاتلهم المسلمون مرات.

قال السخاوي في القناعة: ومن المرات التي قاتل فيها المسلمون الترك في دولة بني أمية، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدود إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شيء، وكَثُر السبي منهم لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ثم غلبت الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم ثم كانت الملوك السامانيةمن الترك فملكوا بلاد العجم ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلْجوق، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، وكان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي، وأتباع هؤلاء، وهم بيت أيوب، واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم بالديار المصرية والشامية والحجازية، وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغزو فخرَّبوا البلاد، وفتكوا في العباد ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتار

---

(١) وردت في المطبوعة «بلاء» بالهمز، والصواب ما أثبته.

بعد الستمائة، فكان خروج جنكيزخان، واستعرت الدنيا بهم ناراً لا سيما المشرق بأسره حتى لم يبقَ بلد منه حتى دخله شرهم ثم كان خراب بغداد، وقتل الخليفة المستعصم على أيديهم، أي وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد الذي رثاه مصلح الدين السعدي الشيرازي بالقصيدة الفارسية التي مطلعها.

آسما تراجاي ان باشدكه كريه برزمين　　　بزوال ملك مستعصم أمير المؤمنين

ومعناه: حق للسماء أن تبكي على الأرض لزوال ملك المستعصم أمير المؤمنين في سنة ست وخمسين وستمائة.

قال التاج السبكي في طبقاته: لم يكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار، فإنهم خربوا المساجد وحرقوا المصاحف والكتب وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، وبقروا بطونهن فأخرجوا أولادهن وقتلوهم.

قال السخاوي: ثم لم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم الأمير تيمور الأعرج، فطرق الديار الشامية، وعاث فيها وحرق دمشق حتى جعلها خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن مات وتفرّق بنوه في البلاد.

وظهر بجميع ذلك مصداق قولهﷺ: «إن أول من يسلب أمتي ملكها بني قنطوراء».

قال في القناعة: وقنطوراء بالمد والقصر قيل: كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فولدت له أولاداً، فانتشر منهم الترك. حكاه ابن الأثير واستبعده وجزم به المجد في القاموس.

ومصداق ما روى الخطيب عن عليّ رضي الله عنه: تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بني العباس، وهي الزوراء يكون فيها حرب مفظعة تسبى فيها النساء، وتذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم.

قال: وإسناده شديد الضعف.

قال الحافظ السيوطي في الجامع الكبير: وقعت هذه الحرب بعد موت الخطيب بأكثر

من مائتي سنة، وذلك مما يقوي الحديث.

وقال ابن مسعود: كأنّي بالترك، وقد أتتكم على براذين[1] مخرمة الآذان حتى تربطها بشط الفرات. وفي حديث آخر: يلحقون أهل الشام بمنابت الشيخ كأني أنظر إليهم، وقد ربطوا خيولهم بسواري المسجد.

فائدة: قال السخاوي في القناعة: أسند الحاكم صاحب الصحيح في مستدركه إلى محمد بن يحيى أبي بكر الصولي النحوي قال: أول من مدح الترك من شعراء العرب علي ابن عباس الرومي حيث يقول:

إذا ثبتوا فسد من حديد ... تخال عيوننا فيه بحارا

وإن برزوا فنيران تلظى ... على الأعداء يضرمها استعارا

ومنها نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرىٰ: كما أخبر بهﷺ.

روى البخاري والحاكم في المستدرك[2] عن أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى [تخرج][3]نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والحاكم وصححه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «ليت شعري متى تخرج نار من جبل وراق تضيء لها أعناق[النجب][4] ببصرى كضوء النهار.

وروى الطبراني[5] بسنده عن عاصم بن عدي الأنصاري قال: سألنا رسول اللهﷺ حدثان ما قدم، أي أول ما قدم المدينة، قال: أين حبس سيل؟ قلنا: لا ندري، فمر بي رجل من بني سليم، فقلت: من أين جئت؟ قال: حبس سيل فدعوت بنعلي فانحدرت إلى رسول اللهﷺ فقلت: يا رسول الله سألتنا عن حبس سيل، فقلنا: لا علم

---

(١) قال في المنجد: «البراذين جمع برذونة»، وهي دابة الحمل الثقيل.

(٢) البخاري في كتاب الفتن، باب: خروج النار، رقم: ٦٧٠١.

(٣) وردت في المطبوعة «خُرج» وهو تصحيف.

(٤) وردت في المطبوعة «البخت» والصواب ما أثبت.

(٥) ١/١٣٣.

لنا به، وإنه مرَّ بي هذا الرجل فسألته، فزعم أنه من أهله فسأله رسول الله ﷺ فقال: أين أهلك؟ فقال: بحبس سيل، فقال: أخرج أهلك فإنه يوشك أن تخرج منها نار تضيء أعناق الإبل ببصرى.

وروى هو وأبو يعلى والإمام أحمد من رواية رافع بن [بشر][1] السلمي عن أبيه، قال الحافظ الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة، قال: يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير بطيئة الإبل [تسهر][2] النهار وتقيم الليل. الحديث.

وفي مسند الفردوس عن عمر: لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء أعناق الإبل ببصرى.

قال نور الدين السيد علي السمهودي في تاريخ المدينة: وقد ظهرت هذه النار بالمدينة، واشتهرت اشتهار بلغ حد التواتر، وتقدمها زلازل مهولة، وأشفق أهل المدينة منها غاية الإشفاق والتجأوا إلى النبي ﷺ، وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة وآخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة، أي فيكون قبل قتل [المستعصم][3]، وخراب بغداد بسنتين، قال: لكنها كانت خفيفة، واشتدت يوم الثلاثاء وظهرت ظهوراً عظيماً ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه في الثلث الأخير منها حدثت زلزلة عظيمة انزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت بقية الليل إلى يوم الجمعة، ولها دوي أعظم من الرعد، [فَتَمَوَّجَتْ الأرض وتَحَرَّكَتْ الجدران][4]، حتى وقع في يوم واحد دون ليلته ثمان عشرة حركة، فسكنت ضحى يوم الجمعة، ولما كان نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشى الأفق سواده، فلما تراكمت الظلمات، وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهر بقريظة بطرف الحرة ترى في صفة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومنائر، وترى رجالاً يقودونها لا تمر على جبل إلا [دكّته][5] وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر

---

(١) وردت في المخطوطة «بسر» والصحيح ما أثبته.

(٢) وردت في المطبوعة «تسي» والصحيح ما أثبته.

(٣) وردت في المخطوطة «المعتصم» وهو تصحيف.

(٤) وردت في المطبوعة «فتموج الأرض وتحرك الجدران» وأظن ما أثبت الصحيح.

(٥) وردت في المطبوعة «أدركته».

أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور من بين يديه، وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، [وانتهت][1] النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد، [وشوهد][2] لهذه [النار][3] غليان كغليان البحر، وقال بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في [الهواء][4] من نحو خمسة أيام، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى.

وقال القاضي سنان: وطلعت إلى الأمير ـ أي أمير المدينة ـ وكان عز الدين مينف، وقلت له: قد أحاط بنا العذاب فارجع إلى الله تعالى، قال: فأعتق كل مماليكه ورد على الناس [مظالمهم][5]، وأبطل المكس، ثم هبط الأمير إلى النبيﷺ، وبات في المسجد ليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار وحتى أهل النخيل، وباتوا يتضرعون ويبكون، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤوسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيّهم، فصرف الله عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال، فسارت من مخرجها وسارت ببحر عظيم من النار وأخذت في وادي أحيلين، وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم، واستمرت مدة ثلاثة أشهر.

قال المطري: وكانت تذيب الحجر، ولا تحرق الشجر.

وذكر القسطلاني: أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادي الشظاة، وهي تسحق ما ولاها وتذيب ما لاقاها من الشجرالأخضر والحصا من قوة الحر وإن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال، فحالت دونها، فوقفت، وإن طرفها الغربي وهو الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له: [وعرة][6] على قرب من شرقي جبل أحد، ومضت في الشظاة التي في طرفه وادي حمزة، ثم استمرت حتى استقرت تجاه حرم النبيﷺ فطفئت.

---

(١) في المخطوطة «فأنهت».
(٢) في المطبوعة «شددهد» وهو تصحيف.
(٣) ساقطة من المخطوطة.
(٤) وردت في المخطوطة «الهوىٰ».
(٥) وردت في المطبوعة «مطالبهم».
(٦) وردت في المطبوعة «وعيرة» والصحيح ما أثبته.

قال: وأخبرني من اعتمد عليه أنه عاين حجراً ضخماً من حجارة الحرة كان بعضه خارجاً عن حد الحرم فعلقت بها خرج منه، فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت.

قال: وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطري أنها كانت تحرق الحجر دون الشجر وأن رجلاً مدَّ إليها نبلاً فأحرقت النصل ولم تحرق الخشب، فإن المطري لم يدرك هذه النار.

وقال المؤرخون: وإستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال، وتسير سيراً ذريعاً في وادٍ يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامتان ونصف، هي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك، فإذا خمد اسودَّ بعد أن كان أحمر، ولم يزل [يجتمع][1] من هذه النار الحجارة المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى جهة جبل [وعرة][2]، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك ولا كسد ذي القرنين يعجز عن وصفه، [ولا ملك][3] لإنسان فيه ولا دابة.

وقال العماد بن كثير: أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي، قال: أخبرني والدي صفي الدين مدرِّس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بلدة بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار مصداق قولهﷺ وقد كان إقبال هذه النار من جهة مشرق المدينة في جهة طريق السوارقية، وهناك حبس سيل، فإنه بين [حرّة][4] بني سليم والسوارقية، وبعد انطفاء النار في هذه السنة احترق مسجد النبيﷺ، وزادت دجلة زيادة عظيمة، فغرق أكثر بغداد [وانهدمت][5] دار الوزير، وكان ذلك إنذاراً لهم.

وفي السنة التي تلي هذه السنة وقعت الطامة الكبرى، وهي أخذ التتار لبغداد،

---

(١) وردت في المطبوعة «يجمع» والصواب ما أثبته.

(٢) وردت في المطبوعة «وعيرة» والصحيح ما تم إثباته.

(٣) في المطبوعة «ولامك» وهو تصحيف.

(٤) في المطبوعة «عرة» وهو تحريف.

(٥) في المطبوعة «نهدمت».

وقتل الخليفة [المستعصم][1] وبذل السيف ببغداد نيفاً وثلاثين يوماً، وأخرجت الكتب فأُلقيت تحت أرجل الدواب، وشوهد بالمدينة النظامية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللبن، وخلت بغداد من أهلها واستولى عليها الحريق، واحترقت دار الخلافة وعمَّ الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وتربة الرصافة مدفن ولاة الخلافة، ورؤي على بعض حيطانها مكتوباً شعر:

إن تـرد عـبرة فهـذه بنـو العبـا ... س دارت عليهـم الـدائـرات
استبيح الحريـم إذ قتـل الأحيـا ... ء منهـم وأحـرق الأمـوات

وقال بعضهم شعراً:

سبحـان مـن أصبحـت مشيئتـه ... جـاريـة فـي الـورىٰ بمقـدار
فـي سنـة أغـرق العـراق وقـد ... أحـرق أرض الحجـاز بالنـار

ثم كَثُر الموت [والفناء][2] ببغداد، وطوي بساط الخلافة منها، فلله الأمر من قبل ومن بعد يعزّ من يشاء ويذل من يشاء.

ومنها ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وإظهار الطعن واللعن على جناب الصحابة الكرام:

وهذا أعظم الفتن وأشد المحن وموت السنن.

فقد روىٰ الدارقطني عن فضيل بن مرزوق عن أبي الحجاف داود بن أبي عوف عن محمد بن عمر بن الحسين عن زينب ـ يعني بنت علي بن أبي طالب ـ عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنه ﷺ قال لعلي: «يا أبا الحسن أما إنك وشيعتك في الجنة، وإن قوماً يزعمون أنهم يحبونك، يصغرون الإسلام ثم يرفضونه ويلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية، لهم نبز يقال الرافضة، فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون».

وأخرجه من طريق أبي الحجاف عن أبي جعفر الباقر عن فاطمة الصغرى عن فاطمة

---

(١) في المخطوطة «المعتصم» وهو تصحيف.
(٢) وردت في المخطوطة «الفنىٰ» وهو تحريف.

الكبرى عن النبي ﷺ.

ثم قال الدارقطني: ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة كتبناها في مسند فاطمة رضي الله عنها وتقصَّيناها هناك.

ثم أخرج عن أم سلمة رضي الله عنها نحوه.

وزادت في آخره: «قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم؛ قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف الأول».

وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي وابن الجوزي، وفي سنده محمد ابن حجادة[1] ثقة غال في التشيع، روى له الشيخان، ورواه ابن أبي عاصم في السنة وابن شاهين وابن بشران والحاكم في الكنى وخيثمة بن سليمان الطرابلسي في فضائل الصحابة، واللالكائي في السنة كلهم عن عليّ كرّم الله وجهه قال: قال لي رسول الله ﷺ: أنت وشيعتك في الجنة، وسيأتي قوم لهم نبز أي لقب يقال لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون.

زاد ابن أبي عاصم وابن شاهين في روايتهما: «قلت: يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال: يقرظونك أي يمدحونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم».

وفي رواية ابن بشران والحاكم: «ينتحلون حبك يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم».

وفي رواية خيثمة واللالكائي به قال عليّ: سيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا، تكون علينا مارقة وآية ذلك أنهم يشتمون[2] أبا بكر وعمر.

وفي لفظ اللالكائي: لهم نبز يسمون الرافضة، يعرفون به ينتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر.

وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فإذا رأيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون.

---

(١) وردت في المطبوعة «حجارة» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المخطوطة «يسبون».

. ولفظ الطبراني بإسناد حسن عنه كنت عند النبيﷺ وعنده عليّ فقالﷺ: «سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت، لهم نبز يسمون الرافضة، فاقتلوهم فإنهم مشركون».

وأخرج أيضاً من طريق أهل البيت عن عليّ رضي الله عنه مرفوعاً: يظهر في أمتي آخر الزمان قوم يسمون [الرافضة][٣] يرفضون الإسلام.

وروى خشيش وابن أبي عاصم والأصبهاني عنه كرَّم الله وجهه قال: يهلك فينا أهل[٢] البيت فريقان [محب مفرط وباهت مفتر][٣] وفي لفظ: يهلك فيَّ رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس فيَّ ومبغض مفرط يحمله شنآني على أن يبهتني.

ورواه أحمد في مسنده بهذا اللفظ.

وفي رواية: يحبني قوم حتى يدخلهم حبي النار، وكل محب لنا غال، وفي لفظ: يقتل في آخر الزمان كل من على رأي عليّ وحسن. وفي لفظ: كل من على رأي حسن وأبي حسن، وذلك إذا أفرطوا فيَّ كما أفرطت النصارى في عيسى بن مريم فانثالوا على ولدي فأطاعوهم طلباً للدنيا.

وأخرج محمد بن سوقة عنه كرَّم الله وجهه قال: تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا، وصح أن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها، ومن فتن هذه الطائفة أنهم قتلوا العلماء بأكثر البلاد بل ونبشوا قبورهم واستهانوا[٤] بكثير من مشاهد هذه الأمة[٥] حين استولوا على بغداد وولاية[٦] شيراز وغيرها وناهيك أن شيراز كان دار العلم والسنة والآن صار معدن الرفض وحصر هؤلاء العبادة والدين في السب وضموا إلى الصحابة والسلف الصالح وأئمة المذاهب، فلم

---

(١) ساقطة من المخطوطة.
(٢) وردت في المطبوعة «أهلي» والصواب ما أثبته.
(٣) العبارة ساقطة من المخطوطة.
(٤) وردت في المخطوطة «أهانوا» والصواب ما أثبته.
(٥) وردت في المخطوطة «الأئمة» وهو تصحيف.
(٦) وردت في المطبوعة «ولارو» وهو تحريف.

يتركوا أحداً من أهل السنة والجماعة حياً وميتاً إلا وسبوه على المنابر والمنائر ويدعون أنهم شيعة عليّ وينتحلون حب أهل البيت وليسوا من ذلك في شيء فإن من علامة المحب الاقتداء بمن يحبه وأدنى صفاته كرم الله وجهه الزهد في الدنيا وعدم شق عصا الإسلام.

وعن موسى بن علي بن الحسين ابن عليّ عليهم السلام وكان فاضلاً عن أبيه عن جده قال: إنما شيعتنا من أطاع الله تعالى وعمل مثل أعمالنا.

وقد ورد غير ما حديث في مدح شيعته وإنهم يدخلون الجنة معه منها ما مر ومنها ما رواه الإمام عليّ بن موسى الرضى عن آبائه عن عليّ عليهم السلام[1] أن رسول الله ﷺ قال له: «أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض [رواء مرويين، مبيضة وجوهكم، وإن عدوكم يردون عليّ الحوض ظماء مقمحين»][2] أخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف.

وما روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[3] قال النبي ﷺ: [لعلي]: هو أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين، فقال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك فقد بيّن ﷺ عدوه وأن من لم يفعل ذلك، فهو من شيعته لا من عدوه وقد بيّن عليّ كرّم الله وجهه صفات شيعته وعلاماتهم حتى لا يلتبس بهم مدع[4].

فقد روى الدينوري وابن عساكر عن المدائني قال: نظر عليّ بن أبي طالب إلى قوم ببابه فقال لقنبر: يا قنبر من هؤلاء؟ قال: هؤلاء شيعتك، قال: وما لي لا أرى فيهم سيما الشيعة؟ قال: وما سيما الشيعة؟ قال: خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظمأ عمش العيون من البكاء.

وقد صح عنه كرّم الله وجهه قوله: لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن.

---

(١) وردت في المخطوطة «رضوان الله».

(٢) هذه العبارة ساقطة من المطبوعة.

(٣) سورة البينة، الآية: ٨.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

وروى صاحب المطالب العالية عن نوف البكالي أن أمير المؤمنين علياً كرّم الله وجهه خرج يَوْمُ[1] المسجد، وقد أقبل إليه جندب بن نضير بن نصير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام ابن عباد بن خيثم، وكان من أصحاب البرانس المتعبدين فأفضى عليٌّ وهم معه إلى نفر فأسرعوا إليه قياماً وسلَّموا عليه فردَّ التحية، ثم قال: من القوم؟ فقالوا: أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم: خيراً ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرىٰ فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا، فأمسك القوم حياء فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له: ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين فسكت، فقال همام، وكان عبداً مجتهداً: أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم قال: فسأنبئكم جميعاً، ووضع يده على منكب همام وقال: شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل الناطقون بالصواب، مأكولهم القوت، وملبوسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، نجعوا لله بطاعته، وخضعوا إليه بعبادته، مضوا غاضين أبصارهم، عما حرم الله عليهم، موقفين أسماعهم على العلم بدينهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء، رضاء عن الله بالقضاء فلولا الآجال التي كتب الله تعالى لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى لقاء الله تعالى والثواب، وخوفاً من أليم العقاب، عظم الخالق في أنفسهم، وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون، وهم والنار كمن رآها فهم فيها يعذبون، صبروا أياماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وطلبتهم فاعجزوها، أما الليل فصافون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة، وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يمجدون جباراً عظيماً، ويجأرون إليه في فكاك رقابهم. هذا ليلهم، فأما نهارهم فحكماء علماء، بررة أتقياء، براهم خوف بارئهم، فهم تحسبهم مرضى، أو قد خولطوا أو ما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربهم، وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، ترى لأحدهم قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في

---

(١) في المطبوعة «يوم».

يقين، وحرصاً على علم وفهماً في فقه وعلماً في حلم، وكيساً في قصد وقصداً في غناء، وتجملاً في فاقه، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عبادة، ورحمةً لمجهود، وإعطاء في حق، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، واعتصاماً في شهوة، لا يغره ما جهله، ولا يدع إحصاء ما عمله، يستبطىء نفسه في العمل، وهو من صالح عمله على وجل، يصبح وشغله الذكر، ويمسي وهمه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، رغبته فيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العمل بالعمل، والحلم[1] بالعلم دائماً نشاطه بعيداً كسله قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقعاً أجله، خاشعاً قلبه[2]، ذاكراً ربه، قانعة نفسه، محرزاً دينه كاظماً غيظه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، بيناً صبره كثيراً ذكره لا يعمل شيئاً من الخير رياء، ولا يتركه حياء أولئك شيعتنا، وأحبتنا ومنا ومعنا إلا ما شوقاً إليهم.

فصاح همام صيحة، فوقع مغشياً عليه، فحرّكوه فإذا هو قد فارق الدنيا، فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين، ومن معه رحمه الله فهؤلاء هم شيعته لا من لا يعلم من دينه إلا حلق اللحية، أو قصها وتعمير القدرة بالتنباك، ومصها وسب الشيخين[1]، وبغضهما ورفع النصير المنجم، وخفضهما والطعن على الصحابة، والصدر الأول، والتمسك بأكاذيب ما عليها معول، ونسبة أم المؤمنين الصدّيقة عائشة المبرأة في عشر آيات[2] من القرآن إلى الفاحشة، ولنعم ما قال زين العابدين علي بن الحسين السجاد رضي الله عنه لجماعة نالوا من الصحابة عنده: هل أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً؟ الآية[3] قالوا: لا قال: هل أنتم من الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟ الآية[4] قالوا: لا. قال: فأنا أشهد بين يدي الله يوم القيامة إنكم لستم من الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فممن أنتم نسأل الله العفو والعافية في الدارين، ونعوذ به من الخذلان والمكر والاستدراج، ومن يضلل الله فما له من هاد.

---

(١) يقصد بهما أبي بكر وعمر بن الخطاب.

(٢) وردت في المطبوعة «بضع عشرة آية».

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم . . .﴾ [آل عمران: ١٩٥].

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿. . . ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا﴾ [الحشر: ٩].

.ومنها خروج دجالين كذابين كلهم يدعي أنه رسول الله كما أخبر بهﷺ.

فقد روى أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان، وهو طرف من حديث أخرجه [مسلم][1] عن ثوبان أنهﷺ قال: «سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ وأنا خاتم النبيين، لا نبيّ بعدي» وفي رواية البخاري[2]: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله».

ولأحمد وأبي يعلىٰ من حديث عبدالله بن عمرو: بين يدي الساعة ثلاثون دجالاً كذّاباً.

وفي حديث علي عند أحمد نحوه.

وفي حديث ابن مسعود عند الطبراني نحوه.

وفي حديث سمرة: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذّاباً آخرهم الأعور الدجال. أخرجه أحمد والطبراني وأصله عند الترمذي وصححه.

وفي حديث ابن الزبير: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذّاباً، منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة يعني مسلمة.

وفي حديث عبدالله بن عمرو: ثلاثون كذّاباً أو أكثر قلت: ما آيتهم؟ قال: يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون سنتكم فإذا رأيتموهم فاجتنبوهم.

وفي رواية عبد الله بن عمرو عند الطبراني: لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذّاباً.

ونحوه عند أبي يعلى من حديث أنس.

قال الحافظ ابن حجر: وسندهما ضعيف وهو إن ثبت محمول على المبالغة لا على التحديد.

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) انظر كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام رقم: ٣٤١٣. ولفظه في الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة» وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا توجه المسلمان بسيفهما، رقم: ١٥٧.

وأما التحديد ففيما أخرجه أحمد عن حذيفة بسند جيد: سيكون في أمتي كذّابون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.

وهذا يدل على أن رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر ويؤيده حديث البخاري المار قريب من ثلاثين، قال: ويحتمل أن يكون ما ذكر من الثلاثين أو نحوها يدّعون النبوّة، ومن زاد عليهم كما في رواية أو أكثر، ورواية: سبعون يكون كذّاباً فقط لكن يدعون إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمدﷺ، قال: ويؤيده أن في حديث عليّ عند أحمد فقال عليّ لعبدالله بن الكوا: وإنك لمنهم. وابن الكوا لم يدع النبوة إنما كان يغلو في الرفض، انتهى.

قلت: ويؤيده أيضاً ما في حديث ابن عمرو المار، قلت: وما آيتهم؟ قال: يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها... الخ.

وقد كان منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة كما أخبر بهﷺ، [وقد مرَّ آنفاً في حديث الزبير، وكان من خبرهما كما ذكره البقاعي في (اللامعة المنيرة) أن النبيﷺ لمّا رجع من حجة الوداع، حصل له مرض عوفي منه، ثم مرض عن قريب مرض الموت، فطارت الأخبار في ذلك المرض الأول بأنهﷺ قد اشتكى فادّعى الكذّابان ما ادعيا، وفعلا من الشر ما فعلا، فبلغ النبيﷺ خبرهما وهو مريض بعد ما ضرب بعث أسامة رضي الله عنه فخرجﷺ عاصباً رأسه، فقال: «إني رأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأوّلهما الكذّابين الذين أنا بينهما صاحب اليمن وصاحب اليمامة»، فارتد العنسي في مذحج وكان صاحب شعبذة يظهر بها عجائب، وله شيطانان يخبرانه بغالب أسرار الناس، يقال لأحدهما «سحيق» وللآخر «شفيق»، وله منطق حلو، فغلب على اليمن في ناحية صنعاء، وهرب منها أمراؤهﷺ وكان يقال له «ذو الخمار» لأنه لا يزال متبرقعاً معمماً وقيل «ذو الحمار» بالمهملة لأنه كان له حمار معلّم يقال: اسجد لربك فيسجد، ويقال له: ابرك فيبرك، ولمّا سمع أهل نجران خبر الأسود أرسلوا إليه فدعوه إلى بلادهم فجاءهم فتبعوه وارتدوا عن الإسلام، ثم أخذ منهم ستمائة وسار بهم إلى صنعاء فغلب عليها، ونزل غمدان واستنزل الأبناء، وأما مسيلمة الكذّاب فخرج في بني حنيفة ونازعه قومه، فقال: «إني أشركت في الأمر

وجعل يسجع لهم بما يضاهي القرآن بزعمه فاستخفهم، فلمّا مالوا إليه أسقط عنهم الصلاة وأحلّ لهم الخمر والزنا، ونحو ذلك، وكثر أتباعه وكتب النبيﷺ إلى الأبناء في أمر الأسود، وكانوا قد ثبتوا على الإسلام، فقتله فيروز الديلمي غيلة بمواطأة زوجته المرزبانة، وقد كان قهرها على نكاحها، وكانت من الخيرات ومن عظماء أهل فارس، ونادوا بالأذان عند الصباح، فقالوا: نشهد أن الأسود كذّاب وشنوها غارة، فتراجع أصحاب النبيﷺ، وتفرق أصحابه فقتلوا منهم خلقاً، وجاء النبيﷺ خبر السماء بذلك، فأخبر الناس به قبل موته بيوم أو بليلة، وقيل: بخمسة أيام ثم وصل الكتاب بذلك بعد موتهﷺ بعشرة أيام، وكانت مدة الأسود أربعة أشهر، وأما مسيلمة فغزاه خالد بأمر أبي بكر رضي الله عنهما، وقتل منهم خَلقاً كثيراً، وصالح بقيتهم على ربع الخيل والسلاح، وقتل من الصحابة رضي الله عنهم خلق كثير من قراء القرآن، وكان ذلك سبب جمع أبي بكر القرآن في الصحف](١).

وكذا ابن الصياد إن قلنا: إنه ليس الدجال الكبير كما هو ظاهر حديث الجساسة التي رآها تميم الداري، وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، [وسيأتي بحقيقه](٢).

وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد [الأسدي في بني أسد بناحية خيبر وآزرهم غطفان](٣) وادّعى النبوّة، ثم تاب ورجع إلى الإسلام، كذا قال في فتح الباري.

لكن عند ابن عساكر من طرق أنه خرج في عهد النبيﷺ، فوجه إليه النبيّﷺ ضرار ابن الأزور، فأشجّوا طليحة وأخافوه، ثم جاءهم موت النبي ﷺ فارفض الناس إلى طليحة، واستطار أمره [فلم يقدروا عليه، حتى غزاه خالد بأمر أبي بكر رضي الله عنهما، فهزمه خالد فهرب منه إلى الشام إلى ملوك غسان! ثم رجع إلى الإسلام، وحسُن إسلامه](٤) فعلى هذا نسبة خروجه إلى زمان أبي بكر لاستطارة أمره فيه.

وتنبأت أيضاً سجاح بنت سويد بن يربوع في فرسان تغلب واتفقت تميم كلها على

(١) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.
(٢) ساقطة من المخطوطة.
(٣) ساقطة من المخطوطة.
(٤) ساقطة من المخطوطة.

نصرها، وفيهم رؤساء الناس كالأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ونظراؤهما، وفيها يقول عطارد بن حاجب:

أضحت نبيتنا أنثىٰ نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

فركبت على ذباب، وقتلت فيهم قتلاً ذريعاً، ثم قصدت اليمامة فلما سمع مسيلمة ضاق ذرعاً، وتحصَّن فأحاطت جيوشها به فاستشار وجوه قومه، فقالوا: الرأي تسلِّم الأمن إليها، وتنجو بنفسك، فقال: سأنظر في أمري، ثم أرسل إليها يقول: أمّا بعد. فإنه أُنزل عليك وحي وعليَّ وحي فهلمَّ نتدارس ما أُنزل علينا، فمن غلب صاحبه اتبعه الآخر، فأجابته إلى ما طلب، فضرب لها قبة من أدم، وأمر بالعود المندب فأحرق، وقال: كثروا لها الطيب، فإن المرأة إذا شمت الطيب تذكرت الباه، فانتهت إلى القبة وسألته عمّا أنزل فقال: ألم ترَ إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشي وأمات وأحيى، وإلىٰ الله المنتهى. قالت: ثم ماذا؟ قال: ألم ترَ أن الله خلقنا أفواجاً وجعل النساء لنا أزواجاً نولج فيهن إيلاجاً، ونخرج منهن إذا شئنا إخراجاً، فضحكت فأنشأ يقول:

ألا قومي إلى المخدع فقد هيىء لكِ المضجع
فإن شئتِ فرشناك وإن شئتي على أربع
وإن شئتي بثلثيه وإن شئتي به أجمع

قالت: بل به أجمع، قال: كذلك أمرت، وواقعها، فلما قام عنها، قالت: إن مثلي لا تنكح هكذا، فإنه وصمة على قومي، ولكني مُسْلِّمة إليك النبوَّة، فإذا سلَّمتها إليك فاخطبني إلى أوليائي، ففعلت واتبعته فتزوجها، وسألوه عن المهر؟ قال: قد وضعت عنكم صلاة العصر.

قال الرشاطي: فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلون صلاة العصر، ويقولون: مهر كريمة لنا لا نرده وفي ذلك قال الشاعر:

أن سجاح لاقت الكذّابا بنية فحلَّت الكتابا
وجعلت كعبتها قرابا أوقب فيه إبرة إيقابا

ثم رجعت إلى الإسلام في زمن معاوية وحسن إسلامها[١].

خرج المختار في زمن ابن الزبير وعبد الملك فإنه كان يدَّعي أنه يوحى إليه ويكتب في مكاتيبه، من المختار رسول الله ﷺ، وحكاياته ووقائعه وفتنته كثيرة شهيرة، عن عدي بن خالد أنه ﷺ قال: «أحذركم الدَّجالين الثلاثة قيل: يا رسول الله قد أخبرتنا عن الدَّجال الأعور وعن أكذب الكذَّابين، فمن الثالث؟ قال: رجل من قوم أولهم مثبور وآخرهم مثبور وعليهم اللعنة دائبة في فتنة يقال لها: الجارفة وهو الدَّجال الأكلس يأكل عباد الله بآل محمد، وهو أبعد الناس من سنته» رواه ابن خزيمة والحاكم والطبراني.

وعن أسماء: يخرج من ثقيف ثلاثة الذيال والكذَّاب والمبير[٢] رواه نعيم بن حماد.

وفي رواية: يخرج من ثقيف كذَّاب ومبير، قالوا: الكذَّاب هو المختار بن أبي عبيد، والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفيان.

وخرج المتنبي الشاعر المشهور ثم تاب.

وخرج جماعة في زمن بني العباس، منهم في أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بهبود[٣] لعنه الله، الذي أفسد في العراق، وأهان آل الرسول، وستأتي الإشارة إلى أحواله في أواخر هذا الباب، كان يدّعي أنه أُرسل إلى الخلق، فردَّ الرسالة وأنه مُطَّلعٌ على المغيبات.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى بن زكرويه القرمطي، ثم بعده أخوه الحسين، وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته وجاء ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر، وأنه المعني في السورة، ولقب غلاماً له «المطوق بالنور» فظهر علىٰ الشام وعاث وأفسد ودعا له الناس على المنابر، ثم قتل عليه[٤] لعنة الله تعالى.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي، الذي قلع الحجر الأسود وكان يقول:

أنا بالله وبالله أنا   يخلق الخلق وأفنيهم أنا

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «المنبر» وهو تصحيف.

(٣) وردت في المطبوعة «بهود».

(٤) وردت في كل من المخطوطة والمطبوعة «إلىٰ» والصحيح ما أثبته.

وستأتي الإشارة إلى فتنته.

وفي خلافة الراضي ظهر محمد بن علي الشلمغاني[1] المعروف بابن أبي العراق، وقد شاع عنه أنه يدَّعي الإلهية، وأنه يحيي الموتى فقتل وصلب، وقتل معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه، وامرأته تزعم[2] أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدَّعي أنه جبريل فضربوا فتعزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم.

وفي خلافة المستظهر في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ظهر رجل بنواحي نهاوند وادعى النبوة، وتبعه خلق فأخذ وقتل.

وخرج جماعة آخرون بالمغرب وغيرها في الرجال والنساء فمنهم رجل تسمى بلا وحرَّف الحديث المشهور «لا نبي بعدي» فجعله إخباراً منهﷺ بأن لا أي صاحب هذا الاسم نبي بعدي ويقول إلا لا في الحديث مبتدأ ونبي خبره.

[ومنهم][3] امرأة ادّعت النبوة، فذكروا لها الحديث، فقالت: إنما قال: لا نبي ولم يقل لا نبية إلى غير ذلك.

والحاصل أن عدد سبعة وعشرين قد تم أو كاد يتم، وأمّا مطلق الكذَّابين فلا حصر لهم، ومن هذا القسم من يدَّعي أنه مهدي، وهؤلاء أيضاً كثيرون، ومنهم من ادَّعى أنه صحابي رأى النبيﷺ كالمعمر المشهور والرتن الهندي[4]، ولا شك أن ما أخبر به الصادق لصادق وأن الدين لواقع.

ومنها فتح بيت المقدس

عن عوف بن مالك مرفوعاً: أعدد بين يدي الساعة ستاً: موتي، وفتح بيت المقدس

---

(١) وردت في المطبوعة «السلفاني» وهو تحريف.

(٢) في المطبوعة «يرعم» وهو تحريف.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) وردت في المطبوعة «بربن العدىٰ» وهو تصحيف.

وقد فتح مرتين مرة في زمن عمر، ومرة في زمن الأكراد الأيوبية فتحه[1] السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر، وكان من أعظم فتوح الإسلام ثم بعد موته رده بعض أولاده إلى النصارى، ثم استرده حفيده داود الملك الناصر، وأنشد في ذلك بعض الشعراء يهنيه:

المسجـد الأقصى لـه عـادة	سارت فصارت مثلاً سائرا
إذا غـدا بالكفر مستوطنا	أن يبعث اللـه لـه ناصرا
فناصـر طهـره أولا	وناصـر طهـره آخـرا

ومنها فتح المدائن

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنه لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذي في المدائن، ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق آمنة، لا تخاف شيئاً».

قال عدي: فقد رأيتهما جميعاً، وكان وقوعهما في زمن عمر رضي الله عنه.

ومنها هلاك العرب

أعني زوال ملكهم.

عن طلحة بن مالك قال: من اقتراب الساعة هلاك العرب، رواه الترمذي.

وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بني العباس، وقد مر.

ومنها كثرة المال وفيضه

روى الشيخان[2] عن أبي هريرة «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب،

---

(١) وردت في المطبوعة «فيتجه» وهو تحريف.

(٢) البخاري، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، رقم: ١٣٤٦. مسلم، كتاب الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم: ١٥٧.

[أي][1]لا حاجة لي فيه».

وهذا وقع في زمن عثمان، كثرت الفتوح حتى اقتسموا أموال الفرس والروم، ووقع في زمان عمر بن عبد العزيز، أن الرجل يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته، وسيقع في آخر الزمان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وسيأتي في القسم الثالث.

ومنها أن تزول الجبال عن أماكنها

روى الطبراني عن سمرة رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها».

نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء[2]، أن في سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل، سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين، وفي سنة ثلثمائة في خلافة المقتدر ساخ جبل بدينور في الأرض، وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى.

ومنها وقوع ثلاث خسوفات

عن أم سلمة رضي الله عنها «سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، قيل: أتخسف الأرض وفيهم الصالحون؟ قال: نعم، إذا أكثر أهلها[3]الخبث» رواه الطبراني.

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: اطَّلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات». فذكر منها ثلاث خسوفات خسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، رواه الستة إلا البخاري، وقد وقعت الخسوفات الثلاثة، [فوقع في خلافة سليمان بن عبد الملك، أنه ورد كتاب ابن هبيرة فيه أن ببخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة، من السماء، ودوي كالرعد القاصف أسقطت منه الحوامل، فنظروا فإذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة، ونزل أشخاص عظام رؤوسهم في السماء، وأرجلهم في الأرض وقائل يقول: يا أهل الأرض

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء: ٤٤٨.

(٣) وردت في المطبوعة «كثر الخبث».

اعتبروا بأهل السماء هذا صفوائيل الملك عصى الله فعذب، فلمّا طلع النهار أتى الناس إلى ذلك الموضع، فوجدوا خسفاً عظيماً لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود أثبت ذلك على قاضي بخارى بأربعين عدلاً، كذا في السكردان وفيه شيء لقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم لكن تجوزه قصة هاروت وماروت، والله قادر على كل شيء.

وفي سنة ثمان ومائتان خسف ثلاث عشرة قرية بالمغرب.

وفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة في شعبان وقعت زلزلة بغرناطة، وخسف بعدة أماكن وانهدم بعض ذكر ذلك في أنباء الغمر][1]. وفي خلافة المطيع في سنة ست وأربعين وثلثمائة وقع بالرّي وتواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد طالقان، ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين نفساً، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الريّ، واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتى، وتفجرت فيها المياه، وتقطع بالريّ جبل، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار، ثم خسف بها، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم، كذا نقله السيوطي عن ابن الجوزي.

وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسفت[2] قرية من أعمال بصرى.

وفي سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة خسف بلد بحيرة، وصار مكان البلد ماء أسود، خسف في زماننا بعدة قرى من ناحية أذربيجان وخراسان وغيرهما من ديار العجم، ولا تكاد تنحصر الخسوفات.

ومنها كثرة الزلازل وكثرة القتل والرجف

عن أبي هريرة رضي الله عنه «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل» رواه البخاري[3] وابن ماجة.

---

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «خسف» والصواب ما أثبته.

(٣) انظر البخاري كتاب الاستسقاء، باب: ما قيل في الزلازل والآيات، رقم: ٩٨٩.

وعند ابن عساكر عن عروة ابن رويم عن الأنصاري عنهﷺ: «يكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف عشرون ألفاً ثلاثون ألفاً يجعلها الله موعظة للمتقين، ورحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين».

وقد وقع في خلافة المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين زلزلة مهولة بدمشق، سقطت منها دور، وهلك تحتها خلق، وامتدت إلى إنطاكية فهدمتها، وإلى الجزيرة فأحرقتها، وإلى الموصل فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفاً.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها، وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان، وتقطعت الجبال، وتشققت الأرض بقدر ما يُدخل[1] الرجل في الشق، وكان بين الزلزلتين عشر سنين.

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين عمّت الزلازل الدنيا فأُخربت المدن والقلاع والقناطر، وسقط من أنطاكية جبل في البحر.

وفي خلافة المعتضد سنة مائتين وثمان وقعت في الديبل زلزلة عظيمة، هدَّمت عامة البلد، فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفاً.

وفي سنة أربعمائة وستين وقع بالرملة زلزلة هائلة خربتها، حتى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً، وبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون، فرجع الماء عليهم فأهلكهم.

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقعت زلزلة عظيمة، وماجت بغداد نحو عشر مرات، وتقطع بحلوان منها جبل.

وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة، فأخربت أماكن كثيرة وقلاعاً متعددة.

وفي سنة اثنتين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وشيراز وأنطاكية وطرابلس، وهلك خلق كثير، حتى أن معلّماً بحماة قام من المكتب ثم عاد، فوجد

---

(١) في المطبوعة «دخل» وهو تصحيف.

المكتب قد وقع على الصبيان فماتوا كلهم، ولم يأتِ أحد يسأل على ولده، لأن أهلهم ماتوا أيضاً، وهلك كل من في شيراز إلا امرأة وخادماً واحداً، وانشق تل في حران فظهر فيه بيوت وعمائر ونواويس، وانشق في اللاذقية موضع فظهر فيه صنم قائم في الماء، وخربت صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع بلاد الفرنج، وانفرق البحر إلى قبرص وقذف المراكب إلى ساحله وتعدى إلى ناحية الشرق، ومات خلق كثير.

قال صاحب «المرآة»: مات في هذه السنة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان، كذا في الشكردان[1].

وفي سنة اثنتين وستين وستمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة، وقد مرت الزلزلة الواقعة بالمدينة قبل خروج النار بها.

ووقعت في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بحيرة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها، فأهلكت خلائق كثيرة [والله يفعل ما يشاء][2].

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وقع بازرنكان زلزلة عظيمة، وهلك بسببها عالم كثير والله يفعل ما يشاء. فهذه هي الزلازل العظام والرجفات التي اعتني بنقلها في كتب التواريخ، وأما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر، وبالله التوفيق.

ومنها المسخ والقذف

عن ابن عمر مرفوعاً: «يكون في أمتي خسف وقذف» رواه أحمد ومسلم والحاكم[3] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف» رواه ابن ماجة.

وعن أبي أمامة: «ليبيتنّ أقوام من أمتي عن أكل ولهو ولعب، ثم ليصبحن قردة وخنازير» رواه الطبراني.

---

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) انظر: المستدرك: ٢/ ١٩٧.

وعن عائشة [رضي الله عنها][1]: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قيل: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كَثُر الخبث» رواه الترمذي.

وعن عبد الرحمن بن صحَّار عن أبيه: «لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل، حتى يقال: من بقي من بني فلان؟» رواه أحمد والبغوي وابن [قانع][2] والطبراني والحاكم وغيره.

وعن ابن عمر [رضي الله عنهما][3]: «يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» رواه الترمذي وابن ماجة.

أما الخسف فقد مر، وأما المسخ فقد وقع لأشخاص.

فقد صح الخبر عن غير واحد أن في زمن فاطمية مصر، كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء في قبة العباس، ويسبّون الشيخين والصحابة، فجاء رجل فقال: من يطعمني في محبة أبي بكر؟ فخرج إليه شيخ وأشار إليه أن اتبعني، فأخذه إلى بيته وقطع لسانه، ووضعه في يده، وقال: هذه لمحبة أبي بكر، فذهب الرجل إلى المسجد، وسلّم على رسول الله ﷺ والشيخين بقلبه، ورجع لسانه في يده، فقعد حزيناً عند باب المسجد، وغلبه النوم فرأى النبي ﷺ في منامه، ومعه أبو بكر فقال لأبي بكر: إن هذا قطعوا لسانه في محبتك، فردَّ عليه لسانه، قال: فأخرج لسانه من يده ووضعه في محله، فانتبه فإذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن، فلم يخبر أحداً بذلك، ورجع إلى بلاده، فلمّا كان العام القابل رجع إلى المدينة، ودخل القبة يوم عاشوراء، وطلب شيئاً لمحبة أبي بكر، فخرج إليه شاب وقال: اتبعني فتبعه فأدخله الدار التي قطع فيها لسانه، فأكرمه الشاب فقال الرجل: إني تعجبت من هذا البيت لقيت فيه العام الماضي مصيبة ومهانة، وهذه السنة لقيت ما أرى من الإكرام، فقال الشاب: كيف القصة فأخبره بالقصة [فانكب][4] على يديه ورجليه، وقال: ذلك أبي وقد مسخه الله قرداً، وكشف عن

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «قابع» والصواب ما أثبته.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(٤) وردت في المطبوعة «فاكب» وهو تحريف.

ستاره، فأراه قرداً مربوطاً فأحسن إليه وتاب عن مذهبه، وقال: اكتم عليّ أمر والدي.

ذكر هذه القصة السيد السمهودي وابن حجر في الزواجر والصواعق والقسطلاني في المواهب اللدنية وغيرهم.

وذكر في الزواجر أنه كان بحلب رجل سبّاب للشيخين فلمّا مات اتفق شباب على أن ينبشوا قبره، فلمّا نبشوه رأوه قد مسخ خنزيراً، فأخرجوه ثم أحرقوه بالنار، [ويقال: كل رافضي إلا ويمسخ في قبره خنزيراً والله أعلم][1].

وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء[2] أن في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر، ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماماً قام يصلي وأن شخصاً عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة، حتى فرغ، وحين سلَّم انقلب وجه العابث وجه خنزير، وهرب إلى غابة هنالك، وكتب بذلك محضراً.

وأما القذف فقد نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء[3] أن في سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداء وبيضاء، ووقع برد، ووزن البردة مائة وخمسون درهماً.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجمت قرية السويداء بالحجارة، وزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال.

وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد، واشتد الرعد والبرق، وسقط رمل وتراب كالمطر.

[وأخبرني ثقة أن في سنة نيف وستين بعد الألف مطرت حجارة سوداء كثيرة عريضة قدر بيض الدجاج وأكبر في الصيف، والسماء مصحية ببلاد الأكراد بين هيزان وكفرا، وكان يسمع لها حس من مسافة يوم.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء: ٤٤٩.

(٣) انظر تاريخ الخلفاء:

وفي وسط شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ورد كتاب إلى مصر من حماة يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد على صور حيوانات مختلفة، فيها سباع وحيّات وعقارب وطيور ومعز وبلشون، ورجال في أوساطهم حوابص، وإن ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة كذا في السكردان، والله يفعل ما يشاء[1].

ومنها الريح الحمراء أي الشديدة والأمور العظام

عن عليّ بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً، وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وآذى[2] صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً» رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن حوالة عن النبي ﷺ: «إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه إلى رأسك» رواه أبو داود والحاكم.

وهذا إن أريد بالخلافة النازلة إلى الأرض المقدسة مُلك بني أمية، فقد وقع من الأمور العظام ما سنذكر بعضها، وإن أريد خلافة المهدي فالمراد بها الآيات القريبة إلى الساعة كالدابة وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك.

أما الريح ففي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين في أول خلافة المتوكل هبت بالعراق ريح شديدة السموم، ولم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يوماً واتصلت بهمذان فأحرقت الزرع [والمواشي][3]، واتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «أدنى» وهو تصحيف.

(٣) وردت في المطبوعة «والموشي» وهو تحريف.

الطرقات، وأهلكت خلقاً عظيماً.

وفي سنة ثمانين ومائتين في شوال في خلافة المعتضد أصبحت الدنيا مظلمة إلى العصر، فهبت ريح سوداء فدامت إلى ثلث [الليل][1]، وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت [عامة][2] بلد [الدثيل][3].

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافته هبت ريح صفراء بالبصرة، ثم صارت خضراء، ثم صارت سوداء، وامتدت في [الأمصار][4].

وفي خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد، واشتد الرعد والبرق[5] حتى ظن أنها القيامة.

وفي خلافة المستظهر هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت الأنفاس، حتى لا يبصر الرجل يده، ونزل على الناس رمل، وأيقنو بالهلاك، ثم انجلى قليلاً وعاد إلى الصفر.

[وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة طلعت سحابة على بلد الموصل، فأمطرت ناراً وأحرقت ما نزلت عليه، وظهر بالعراق عقارب طيّارة، فقتلت خلقاً عظيماً ذكره ابن أبي حجلة][6].

وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة هبت ريح سوداء مظلمة بمكة عمت الدنيا، ووقع على الناس رمل أحمر، ووقع من الركن اليماني قطعة.

[وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة في ولاية الأشرف برسباي هبت بمصر ريح بزقة تحمل تراباً أصفر إلى الحمرة، وذلك قبل غروب الشمس فأحمر الأفق جداً، بحيث صار

---

(١) وردت في المطبوعة «البل» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «عاملة» وهو تحريف.

(٣) وردت في المطبوعة «الديل» وهو تحريف.

(٤) وردت في المطبوعة «الأمطار» بالطاء وهو تحريف.

(٥) وردت في المخطوطة «ابرق» وهو تحريف.

(٦) ساقطة من المخطوطة.

من لا يدري يظن أن بجواره حريقاً، وصارت البيوت كلها ملأى تراباً ناعماً جديداً، يدخل الأنوف والأمتعة، ثم لما تكامل غيبوبة الشفق، وعصفت الريح وكانت المعلقة فلو وصلت الأرض لكان أمراً مهولاً وكَثُر ضجيج الناس في الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار، إلى أن لطف الله بإدرار المطر، ولم تهب هذه الريح منذ ثلاثين سنة قبلها، وانتشرت حتى غطت الأهرام والجيزة والبحر، واشتدت حتى ظنوا أنها تدمر كل شيء، فدامت تلك الليلة ويومها إلى العصر، وكانت سبباً في هيف الزرع وغلاء السعر، ذكره الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر][1].

وأما الأمور العظام فوقع القحط الشديد مرات منها ما وقع في زمن الظاهر العبيدي بمصر الغلاء الذي لم يقع مثله منذ زمن يوسف عليه السلام، ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وقيل: بيع فيه الرغيف بخمسين ديناراً.

وفي زمن المستنصر العبيدي وقع بمصر أيضاً القحط سنين متوالية، حتىٰ أكل الناس بعضهم بعضاً، وبلغ الأردب من الحنطة مائة دينار، والأردب: أربعون صاعاً بصاع النبيﷺ وشيء، وبيع الكلب بخمسة دنانير والهرة بثلاثة دنانير.

وفي سنة خمس وأربعين في خلافة المقتفي العباسي جاء مطر باليمن كله دم، وصارت الأرض مرشوشة بالدم، وبقي أثره في ثياب الناس.

وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة [ظهر][2] كوكب كأنه دارة القمر ليلة التمام بشعاع عظيم، وهال الناس ذلك، وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوؤه[3]، وغاب.

وفي سنة ستين وأربعمائة في خلافة القائم غرق بالرملة خلق كثير.

وفي سنة ست وستين وأربعمائة في خلافة القائم كان الغرق العظيم[4] ببغداد، وزادت دجلة ثلاثين ذراعاً، ولم يقع مثل ذلك قط، وهلكت الأموال والأنفس

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «ظهو» وهو تحريف.

(٣) وردت في المخطوطة «صفرة» وهو تصحيف.

(٤) وردت في المخطوطة «الكبير» والصحيح ما أثبته.

والدواب، وركبت الناس في السفن وأقيمت الجمعة في [التيار][1] على ظهر الماء مرتين، وصارت بغداد كلها ملقة، وانهدم مائة ألف دار.

وفي سنة ثمانين وأربعمائة في خلافة المقتدر غلب [الأفرنج][2] على جميع جزيرة صقلية، وأسروا وسبوا ذراري المسلمين.

وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة في خلافة المستعصم ظهرت نار في أرض عدن، وكان [يطير][3] شررها في الليل إلى البحر، ويصعد منها دخان عظيم، في النهار.

وفي أيام المعتمد في سنة ست وستين ومائتين دخلت الزنج البصرة وأعمالها وخربوها، وبذلوا السيف وسبوا وهم من الخوارج الذين قتلهم أمير المؤمنين عليّ، وأعقب ذلك الوباء العظيم فمات خلق كثير لا يحصون، ثم أعقبه هزات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس، واستمر القتال مع الزنج إلى سنة سبعين.

قال الصولي: إنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة آدمي، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف، وكان له منبر في بلده يصعد عليه يسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة، وكان ينادي على المرأة العلوية في [عسكره][4] بدرهمين وثلاثة، وكان عند الواحد منهم العشرين من العلويات، يستخدمهن فقتل اللعين رئيس الزنج سنة سبعين، وكان اسمه يهبود، وكان يدّعي أنه أرسل إلى الخلق فردَّ الرسالة وإنه مطلع على المغيبات، ووقع في زمنه غلاء مفرط بالحجاز والعراق، وبلغ كُرّ[5] الحنطة ببغداد بمائة وخمسين ديناراً، والكُرّ ستة أحمال الحمير والبغال واثنا عشر وسقا[6]، وفي أيامه انبثق في نهر عيسى بثق، فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار، وفي زمنه ظهرت القرامطة بالكوفة، وهم نوع من الملاحدة وهم الباطنية يدعون أنه لا غسيل من الجنابة،

---

(١) وردت في المطبوعة «الطيار» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «الأفرانج».

(٣) وردت في المطبوعة «يظهر» وهو تحريف.

(٤) وردت في المطبوعة «عكره» والصواب ما أثبته.

(٥) قال الفيومي في مصباحيه: «الكُرُّ كيل معروف... وهو ستون قفيزاً، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف» [مادة: كر].

(٦) قال الأزهري: «الوسق ستون صاعاً بصاع النبيﷺ».

وأن الخمر حلال وأن الصوم في السنة يومان، ويزيدون في أذانهم محمد بن الحنفية رسول الله وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس وأشياء أخر.

وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة كان بمصر الغلاء المفرط، بحيث أكلوا الجيف والآدميين، وفشا أكل بني آدم واشتهر، وتعدوا إلى حفر القبور وأكل الموتى، وكثر الموت من الجوع بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره إلا على ميت أو قريب من الموت[1]، وهلك أهل القرى قاطبة، بحيث أن المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار، وتجد البيوت مفتحة وأهلها موتى، وصارت الطرق مزرعة للموتى ومأدبة بلحومهم للطير والسباع، وبيعت الأحرار والأولاد بالدراهم اليسيرة، واستمر ذلك سنتين.

قال أبو شامة في الذيل: إن العادلي الكبير في هذه السنة كفن من ماله في مدة يسيرة نحواً من مائتي ألف وعشرين ألف ميت، وقيل ثلثمائة ألف من الغرباء، وأكلت الكلاب والميتات في مصر وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير، حتى أن الوالد يشوي ولده ويأكله، وكثر في الناس هذا حتى صار لا ينكر عليهم، ثم صاروا يحتال بعضهم على بعض ويأكلون من يقدرون عليه، وإذا غلب القوي على الضعيف ذبحه وأكله، وفقد كثير من الأطباء يدعونهم إلى المرضى فيذبحونهم ويأكلونهم.

وفي سنة ثمان عشر وسبعمائة حصل بديار بكر والموصل وأربل وماردين والجزيرة وميافارقين وغيرها الغلاء العظيم، وخربت البلاد وبيع الأولاد وكثر الموت في الناس، حتى أنه مات من جزيرة ابن عمر خمسة عشر ألفاً بالجوع، وبيع من الأولاد نحو ثلاثة آلاف صبي، وكان يباع الصبي بنحو عشرة دراهم أو أكثر، ويشتريهم التتار ومات أكثر أهل ميافارقين، بحيث لم يبقَ من أسواقها غير ست حوانيت والموصل كان الغلاء بها أكثر من ماردين، وبيع بها الأولاد بحيث خلت الدور من أهلها، وأكلوا الجيف والميتات وباع رجل ولده باثني عشر درهماً، وقال: قد أنفقت في ختانه خمسين ديناراً، وكان المشترون يتحرجون من شراء أولاد المسلمين فكانت المرأة والصبية تجعل نفسها نصرانية وتقر بالنصرانية ليرغب فيها، وأهل أربل أكلوا النبات ثم قشور الشجر ثم الجيف وجاءهم الموت الذريع وجلا الباقي، ومات كثير منهم بالثلج.

---

(١)) وردت في المخطوطة «الميت» والصواب ما أثبته.

ذكر ذلك البرازلي وذيل الروضتين، وذكرت ملخصه. اللهم إنا نعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع][1].

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق.

وفي سنة اثنتين وأربعين وقع بجبل طائر أبيض دون الرخمة في رمضان، فصاح معاشر الناس اتقوا الله الله الله فصاح أربعين صوتاً، ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك، وكتب البريد بذلك وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه إلى غير ذلك من الأمور العظام التي وقعت.

ومنها انقطاع طريق الحج ورفع الحجر الأسود من الكعبة

عن أبي سعيد رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت» رواه الحاكم وصحَّحه البزار وأبو يعلى وابن حبان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما «لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن» رواه السجزي.

وهذان كلاهما قد وقعا، أما انقطاع طريق الحج ففي سنة عشرين وثلاثمائة انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين بسبب فتنة القرامطة [وفي سنة خمس وخمسين قطعت بنو سليم الطريق على الحجيج من أهل مصر، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها وعليها من الأمتعة ما لا يقوم كثرة، وبقي الحجاج في البوادي فهلك أكثرهم، وفي ثلاث وستين خروج بنو هلال وطائفة العرب على الحجاج، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وعطَّلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام، ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى أهل درب العراق وحدهم][2].

في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة رجع الحاج العراقي من الطريق اعترضهم الأصفر الأعرابي ومنعهم الجواز إلا بالباج، فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضاً أهل الشام ولا

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

اليمن، إنما حج أهل مصر فقط [وانقطع في زمن بني عثمان من طريق الشام سنتين في زمن الشيخ علوان الحموي.

وفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة انفرد المصريون بالحج ولم يحج أحد من بغداد وبلاد الشرق لعبث الأعراب بالفساد، وكذا في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

وفي سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحج ولم يحج أهل العراق لفساد الطريق بالأعراب.

وفي سنة سبع وأربعمائة انفرد المصريون أيضاً، ولم يحج أحد سواهم، وكذا في سنة ثمان وأربعمائة.

وفي سبع عشرة وأربعمائة انفرد المصريون أيضاً بالحج، ولم يحج غيرهم.

وفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة لم يحج أحد لا من المشرق ولا من مصر وغيرها إلا طائفة من خراسان حجوا من البحر.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة تعطّل الحج من الأقاليم بأسرها ومن السنة التي بعدها إلى سنة أربعين وأربعمائة لم يحج أحد غير أهل مصر، ذكر هذا كله السيوطي في حسن المحاضرة.

وذكر الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر أن في السنة الثالثة والرابعة والخامسة بعد الثمانمائة لم يحج أحد من طريق الشام، وذلك بعد أن طرق تيمور الشام، وعاث فيها][1]. أما رفع الحجر ففي خلافة المقتدر وذلك أن المقتدر سير الحاج مع منصور الديلمي إلى مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرامطي، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً، وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره، ثم اقتلعه، وأقام بها أحد عشر يوماً ثم رحلوا، وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة، ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبَوْا ردَّه، حتى أعيد في خلافة المطيع وقيل: إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملاً من مكة إلى هجر، فلمّا أعيد

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

حمل على قعود[1] هزيل فسمن.

قال محمد بن الربيع بن سليمان: كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب، وأنا أراه فعيل صبري، وقلت: ربي ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات، وصعد القرمطي المنبر وهو يقول:

أنا بالله وبالله أنا　　　يخلق الخلق وأفنيهم أنا

ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعد ذلك تقطع جسده بالجدري.

وقال محمد بن نافع الخزاعي: تأملت الحجر وهو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض، وطوله قدر عظم الذراع.

وأما هدم البيت كله وانقطاع الحج بالكلية، فإنما يكون في آخر الزمان والعياذ بالله، وكذلك رفع القرآن، وسيأتي في القسم الثالث إن شاء الله تعالى.

ومنها رضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط» رواه الديلمي.

وفي سنة ثلاث وتسعين[2] وخمسمائة انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل[3]، واهتزت الدور والأماكن، فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء، وظنوا أنه من أمارات القيامة.

وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم في السماء، وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل، وكان أمراً مزعجاً لم يعهد مثله.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في خلافة الراضي في ذي القعدة انقضت النجوم

---

(١) قال ابن فارس في مجمل اللغة [مادة قعد]: «الدابة المقتعدة الخاصة للركوب».

(٢) وردت في المخطوطة «سبعين» وهو تحريف.

(٣) في المخطوطة «أصوات هائلة».

سائر الليل انقضاضاً عظيماً ما رؤي مثله، وقد وقع بعد ذلك كثيراً أن النجوم والشهب انقضت وقتلت ناساً.

ومنها ظهور كوكب له ذنب

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان إذا كان حج الملوك تنزهاً والأغنياء للتجارة والمساكين للمسألة والقراء رياء وسمعة فعند ذلك يظهر نجم له ذنب» رواه ابن مردويه.

وهذا الكوكب قد ظهر مرات آخرها في سنة خمس وسبعين وألف في شهر جمادى الآخرة، وبقي شهراً أو أكثر، وكان يسير سيراً أسرع من القمر.

[فائدة:

جاء من بلاد النصارى إلى بلاد بني عثمان في سنة سبع وسبعين وألف في شهر جمادى الأولى، وأنا إذ ذاك شاهدت كتاباً منقوشاً فيه صورة حيوان طوله عشرون ذراعاً وسمكه خمسة أذرع، جسده جسد السمك له أربع قوائم، في يديه خمس أصابع كأصابع الأسد وفي رجليه مثل حافر الفرس، ورأسه رأس الثور، له أربع قرون، اثنان بين عينيه أسودان، واثنان أصفران بين أذنيه، وانحدب كل اثنين إلى جهة الآخر، وعلى فكه الأعلى خمس سنون أمثال الكلاليب العظام، وعلى فكه الأسفل أربعة كذلك، وله ذنب طويل كذنب السمك، وعلى كفله متصلاً مخلوق نصف إنسان عريان له أربع أيدي في كل واحدة خمس أصابع، وله ذؤابتان سوداوان، ولحية وثديان كثدي المرأة، ومضمون الكتاب أن هذا الحيوان صار في جبال الأفرنج حين ظهر هذا النجم في سنة خمسة وسبعين، وإنه ظهر على جسده مثل النجم المذكور، وهلك بنفسه خلق كثير من دواب الأرض، وإنه رموه بالمجانيق فلم تؤثر فيه، وأهلك منهم اثنين وثلاثين ألف آدمي، ثم بعد مدة ارتفع عنه ذلك الكوكب الذي عليه، فرموه بالمنجنيق فقتلوه، وكتبوا بذلك إلى البلدان، والله على كل شيء قدير][1].

---

(١) هذا الكلام ساقط من المطبوعة.

ومنها كثرة الموت

عن عوف بن مالك قال: قال النبيﷺ: «اعدد بين الساعة ستاً: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتاناً كقعاص الغنم» الحديث رواه البخاري[1] وابن ماجة والحاكم في المستدرك[2].

والمُوْتان: بضم الميم وإسكان الواو على وزن بطلان الموت الكثير الوقوع، قاله في النهاية، وقُعاص الغنم: بضم القاف وبالعين والصاد المهملتين بينهما ألف داء يأخذ الغنم فلا تلبث أن تموت، ومنه ضربه فاقعصه أي مات مكانه، وهو وقع في زمن عمر في طاعون عمواس، وبعد ذلك في طاعون الجارف وفي الطواعين والوبا ءات الواقعة في أقطار الأرض.

ذكر الحافظ السيوطي في كتاب «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون» ما لفظه: سرد الطواعين الواقعة في الإسلام. قال ابن أبي حجلة في تأليفه في الطاعون: أول طاعون وقع في الإسلام على عهد النبيﷺ سنة ست من الهجرة بالمدائن، ويعرف بطاعون شيرويه، فيما حكاه المدائني، ولم أعلم كم مات فيه فأحكيه قلت: ولم يمت فيه أحد من المسلمين.

وقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق حماد بن زيد عن أيوب قال: قال محمد: لم يكن طاعون أشد من ثلاثة طواعين: طاعون إزدجرد، وطاعون عمواس، وطاعون الجارف.

وقال المدائني: كانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام خمسة: طاعون شيرويه بالمدائن في عهد رسول اللهﷺ، ثم طاعون عمواس، ثم طاعون الجارف، ثم طاعون الفتيات، ثم طاعون الأشراف، انتهى.

الثاني: طاعون عَمْواس: بفتح العين المهلمة وسكون الميم، وقد تحرّك وتخفيف الواو

---

(١) انظر البخاري، كتاب الجزمة، باب: ما يحذر من الغدر، رقم: ٣٠٠٥.

[في الصحيح: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: . . .»، القعاص: داء يصيب الغنم].

(٢) انظر: المستدرك: ٢/ ١٧٦.

وآخره سين مهملة، اسم موضع بالشام، وكان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومات فيه من جيش المسلمين خمسة وعشرون ألفاً، وقيل: ثلاثون ألفاً، وقيل: سمي طاعون عُمْواس لأنه لم يقع في شيء من المواضع سوى ما وقع فيه حكاه الحافظ عبد الغني المقدسي.

وذكر سيف بن عمر عن شيوخه قالوا: لمّا كان طاعون عُمْواس وقع مرتين لم يرَ مثلهما، وطال مكثه وذلك أنه وقع بالشام في المحرم وصفر، ثم ارتفع ثم عاد وفني فيه خلق كثير من الناس، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين، لذلك قال سيف: وأصاب أهل البصرة أيضاً تلك السنة طاعونٌ، فمات بشر كثير، وجم غفير.

وفي مرآة الزمان: لما كان سنة ثمان عشرة أصاب جماعة من المسلمين بالشام الشراب، فجلدهم أبو عبيدة بأمر عمر عند ذلك ليحدثن في هذا العام حادث، فوقع الطاعون، قال هشام: إنما حدث الطاعون بالشام لأجل هؤلاء الذين شربوا الخمر، وممن مات في طاعون عُمْواس من مشاهير الصحابة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ ابن جبل، وشرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وأبو مالك الأشعري، ويزيد بن أبي سفيان أخو معاوية، والحارث ابن هشام، أخو أبي جهل وأبو جندل الذي جاء يوم الحديبية يرسف[1] في قيوده، وسهيل ابن عمرو الذي قام بمكة يوم مات النبي ﷺ، فثبت الناس وهو والد أبي الجندل.

ومما قيل في طاعون عَمْواس من الشعر قول امرىء القيس حشيش الكندي، أورده أبو حنيفة البخاري في كتاب المبتدأ وابن عساكر في تاريخه:

رب حرف مثل الهلال وبيضاء	حصان بالجزع من عمواس
قد لقوا الله غير باغٍ عليهم	ثم أضحوا في غير دار التناسي
فصبرنا لهم كما علم الله	وكنا في الموت أهل ناسي

وقال سيف عن شيوخه: خرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى مرتفع

(١) قال ابن فارس في مجمل اللغة [مادة رسف]: «الرسف مشي المقيد».

الشام، فلم يرجع منهم إلا أربعة، فقال المهاجر بن خالد في ذلك:

من يسكن الشام يقدس به ... والشأم إن لم يأتنا كارب

أفنىٰ بني ريطة فرسانهم ... عشرون لم يقصص لهم شارب

ومن بني أعمامهم مثلهم ... لمثل هذا يعجب العاجب

طعنا وطاعونا مناياهم ... ذلك ما خط لنا الكاتب

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير: عمواس بليدة صغيرة بين القدس والرملة، كان الطاعون أول ما نجم بها، ثم انتشر بالشام منها فنسب إليها.

وقال البيهقي في دلائل النبوة[1] باب ما جاء في أخبار النبي ﷺ بالطاعون، الذي وقع بالشام في أصحابه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم أخرج عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو في خباء من أدم فقال: يا عوف احفظ خلالاً ستاً بين يديَّ الساعة إحداهن موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم، ويزكي به أعمالكم، ثم استفاضة المال بينكم... الحديث.

وأخرج الحاكم[2] عن عوف بن مالك أنه قال في طاعون عمواس: إن رسول الله ﷺ قال: أعدد ستاً بين يدي الساعة قال: فقد وقع منهم ثلاث، يعني: موته، وفتح بيت المقدس، والطاعون، قال: وبقي ثلاث فقال معاذ: إن لها أمداً ثم وقع الطاعون بالكوفة سنة تسع وأربعين، فخرج المغيرة بن شعبة منها فاراً فلمّا ارتفع الطاعون رجع إليها، فأصابه الطاعون فمات في سنة خمسين ذكرها ابن كثير في تاريخه.

ثم وقع في سنة ثلاث وخمسين ومات فيها زياد، ذكره في مرآة الزمان.

وقال ابن كثير: في سنة ثلاث وخمسين في رمضان توفي زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد ابن أبيه وزياد ابن سمية وهي أمه مطعوناً، وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له: إني قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة، وهو يعرض له أن يستنيبه

(١) انظر: دلائل النبوة: ٣/ ١١٣.

(٢) انظر: المستدرك: ٢/ ٢٣٤.

على بلاد الحجاز أيضاً، فلمّا بلغ أهل الحجاز، جاؤوا إلى عبدالله بن عمر، فشكوا إليه ذلك وخافوا أن يلي عليهم زياد، فيعسفهم كما عسف أهل العراق، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة، فدعا على زياد والناس يؤمنون فطعن زياد بالعراق في يده، فضاق ذرعاً بذلك، واستشار شريحاً القاضي في قطع يده، فقال له شريح: إني لا أرى لك ذلك فإنه إن لم يكن في الأجل فسحة لقيت الله أجذم، قد قطعت يدك خوفاً من لقائه، وإن كان لك أجل بقيت في الناس أجذم، فيعير ولدك بذلك، فصرفه عن ذلك، ويقال: إن زياداً جعل يقول: أنام أنا والطاعون في فراش واحد.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن السائب الأنصاري قال: جمع زياد أهل الكوفة، فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من علي بن أبي طالب، قال عبد الرحمن: فإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار، والناس في أمر عظيم، فهومت تهويمة فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير، أهدب أهدل فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر، فاستيقظت فزعاً فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر، فقال: إن الأمير يقول لكم: انصرفوا عني فإني عنكم مشغول، وإذا الطاعون قد أصابه.

ثم وقع بالبصرة طاعون الجارف، وسُمِّيَ بذلك لأنه جرف الناس كما يجرف السيل الأرض، فيأخذ معظمها، واختلف في سنته فقيل: وقع في سنة أربع وستين، وجزم به ابن الجوزي في المنتظم، وقيل: كان في شوال سنة تسع وستين، قال ابن كثير: وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره سنة سبعين، وقيل سنة ست وسبعين، وقيل: سنة ثمانين قال ابن كثير: حكاه ابن جرير عن الواقدي، ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولداً، ولأبي بكرة أربعون ولداً.

قال ابن كثير: كان ثلاثة أيام مات في أول يوم منه من أهل البصرة سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني منه واحد وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث منه ثلاثة وسبعون ألفاً، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا القليل من آحاد الناس، حتى ذُكر أن أمَّ الأمير بها ماتت، فلم تجد من يحملها.

وقال صاحب المرآة: مات فيه أهل الشام إلا اليسير.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني: حدثنا عبيد الله حدثنا أحمد بن عصام، حدثني معدي عن رجل يكنىٰ أبا الفضل وكان قد أدرك زمن الطاعون، قال: كنا نطوف في القبائل، وندفن الموتى فلمّا كثروا لم نقدر على الدفن، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها فدخلنا داراً نفتشها، فلم نجد فيها أحداً حيّاً فسددناها، فلما مضت الطواعين كنّا نطوف، فننزع تلك السدد عن الأبواب، ففتحنا سدة الباب التي كنا قد فتشناها، فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين، كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمه، قال: فنحن وقوف على الغلام نتعجب منه، فدخلت كلبةٌ من شق الحائط، فجعلت تلوذ بالغلام، والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها، قال معدي: وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة، قد قبض على لحيته.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاعتبار: حدثني يحيى بن عبد الله الخثعمي، عن محمد ابن سلام الجمحي قال: زعم يحيى أنه لمّا وقع الطاعون الجارف بالبصرة، وذهب الناس فيه وعجزوا عن موتاهم، وكانت السباع تدخل البيوت، فتصيب من الموتى، وذلك سنة سبعين أيام مصعب، وكان يموت في اليوم سبعون ألفاً، فبقيت جارية من بني عجل، ومات أهلها جميعاً، فسمعت عواء الذئب فقالت:

ألا أيها الذئب المنادي بسحرة هلم أنبئك الذي قد بدا ليا
بدا لي أني قد يتمت وأنني بقية قوم أورثوني المباكيا
ولا ضير أني سوف أتبع من مضى ويتبعني من بعدي من كان تاليا

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الفضل بن جعفر، حدثنا أحمد بن محمد البجلي، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، قال: نزل بنا حيّ من العرب فأصابهم الطاعون، فماتوا وبقيت جويرية مريضة، فلمّا أفاقت جعلت تسأل عن أبيها وأمها وأختها، فيقال: ماتت ماتت ماتت فرفعت يديها، وقالت:

ولولا الأسىٰ ما عشت في الناس ساعة ولكن متى ناديت جاوبني مثلي

قال الحافظ ابن حجر: وكان بمصر سنة ست وستين طاعون، ثم في سنة وفاة عبد

العزيز بن مروان سنة خمس وثمانين، وقيل: سنة اثنتين، وقيل سنة أربع، وقيل: سنة ست، وكان بالشام طاعون سنة تسع وسبعين، ذكره ابن جرير وغيره.

ثم وقع بالبصرة طاعون الفتيات سنة سبع وثمانين وسُمّي بذلك لكثرة ما[1] مات فيها من النساء الشواب[2] والعذارى.

قال ابن أبي الدنيا في الاعتبار: حدثني محمد بن علي بن عثام الكلاجي قال: سمعت حامد بن عجر ابن حفص النكراوي، قال: حدثني أبو بحر النكراوي عن أمه قالت: خرجنا هاربين من طاعون الفتيات، فنزلنا قريباً من سنام، قالت: وجاء رجل من العرب معه بنون له عشرة، فنزل قريباً منا، فلم يمضِ إلا يوم حتى مات بنوه أجمعون، وكان يجلس بين [قبورهم][3] فيقول:

بنفسي فتية هلكوا جميعاً ... برابية مجاورة سناما
أقول إذا ذكرت العهد منهم ... بنفسي تلك أصداء وهاما
فلم أرَ مثلهم هلكوا جميعاً ... ولم أرَ مثل هذا العام عاما

قالت: وكان يبكي من سمعه.

ثم طاعون الأشراف وقع والحجاج بواسط حتى قيل فيه: لا يكون الطاعون والحجاج في بلد واحد، سُمّي بذلك لكثرة من مات فيها من أشراف الناس.

ثم وقع بالشام طاعون مات فيه ولي العهد أيوب ابن الخليفة سليمان بن عبد الملك.

أخرج ابن أبي الدنيا في الاعتبار، من طريق عبدالله بن المبارك، عن أبي كنانة قال: أخبرني يزيد بن المهلب قال: حملت حملين مسكاً من خراسان إلى سليمان بن عبد الملك، فانتهيت إلى باب ابنه أيوب، وهو ولي العهد فدخلت عليه، فإذا دار مجصصة حيطانها وسقوفها خضر، وإذا وصف ووصائف عليهم حلل خضر، وحلي من الزمرد فوضعت الحملين بين يدي أيوب، وهو قاعد على سريره، فانتهب المسك من بين

---

(١) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة، وأثبتها ليتم المعنى.

(٢) أي الشابات.

(٣) وردت في المطبوعة «قبورهم» وهو تصحيف.

يديه، ثم عدت بعد أحد عشر يوماً، فإذا أيوب وجميع من معه في داره قد ماتوا، أصابهم الطاعون.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن حاتم بن عطارد قال: حدثني أبو الأبطال قال: بعثت إلى سليمان بن عبد الملك ومعي ستة أحمال مسك، فمررت بدار أيوب ابن سليمان، فأدخلت عليه فمررت بدار ما فيها من الثياب والنجد بياض، ثم دخلت منها إلى دار أخرى صفراء وما فيها كذلك، ثم أدخلت منها إلى دار حمراء وما فيها كذلك، ثم أدخلت منها إلى دار خضراء وما فيها كذلك، فإذا أنا باب على سرير، ولحقني من كان في تلك الدور، فانتهبوا ما معي من المسك، ثم مررت بدار أيوب بعد سبعة عشر يوماً، فإذا بالدار بلاقع فقلت: ما هذا؟ قالوا: طاعون أصابهم.

قال ابن أبي الدنيا: كان أيوب ولي عهد أبيه من بعده قد رشحه للخلافة، فأصابه الطاعون فمات في حياة أبيه، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين.

وقال الحافظ ابن حجر: وقع بالشام طاعون عدي ابن ارطاة سنة مائة قلت: وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز.

وأخرج ابن سعد عن أرطاة بن المنذر قال: كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن يتحفظ في طعامه، ويسألونه أن يكون له حرس إذا صلى لئلا يثور ثائر فيقتله؛ ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون، ويخبرونه أن الخلفاء قبله كانوا يفعلون ذلك، قال لهم عمر: فأين هم فلمّا أكثروا عليه قال: الله إن كنت تعلم أني أخاف يوماً دون يوم القيامة، فلا تؤمّن خوفي.

وأخرج محمد بن خلف المعروف بوكيع في كتاب «الغرر من الأخبار» عن أبي الزناد قال: قال عبد الله بن حسن بن حسن: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فوقع طاعون بالشام فقال: ارحل فإنك لن تغنم أهلك مثل نفسك، فقضى حوائجي وأتبعني إياها.

قال الحافظ ابن حجر. ثم وقع أيضاً بالشام في سنة سبعمائة، ثم في سنة خمس عشرة، وكذا في تاريخ ابن كثير.

وفي المرآة: وقع في سنة ست عشر طاعون شديد بالشام والعراق، وكان أعظم ذلك في واسط، ذكره ابن كثير أيضاً.

ثم وقع بالبصرة طاعون غراب في سنة سبع وعشرين ومائة، ثم وقع بالبصرة طاعون مسلم بن قتيبة في رجب وشعبان ورمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة، ثم خفَّ في شوال وبلغ في كل يوم ألف جنازة.

قال ابن سعد: وتوفي فيه إسحق بن سويد العدوي، وفرقد بن يعقوب السبحي، وأيوب السختياني. قال ابن سعد: وأخبرنا عليّ بن عبدالله حدثنا سفيان، قال: سمعت داود بن أبي هند يقول: أصابني الطاعون فأغمي عليَّ فكأن اثنين أتياني، فغمز أحدهما عكوة لساني، وغمز الآخر أخمص قدمي فقال: أي شيء تجد قال: تسبيحاً وتكبيراً، وشيئاً من خطوة إلى المسجد، وشيئاً من قراءة القرآن، قال: ولم أكن أخذت القرآن يومئذ، قال: فكنت أذهب في الحاجة، فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي قال: فعوفيت، فأقبلت على القرآن فتعلمته هذا كله في الدولة الأموية.

بل نقل بعض المؤرخين: إن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام، حتى كان خلفاء بني أمية إذا جاء زمن الطاعون، يخرجون إلى الصحراء، ومن ثم اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة منزلاً، ثم خفَّ ذلك في الدولة العباسية، فيقال: إنَّ بعض أمرائهم خطب بالشام، فقال: احمدوا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم، فقام بعض من له جراءة، فقال: الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون فقتله.

وأخرج ذلك ابن عساكر في تاريخه، وسمى الذي قام جمعونة الحارث.

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعي قال: لقي المنصور أعرابياً بالشام، فقال: أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت، قال: إن الله لم يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ولايتكم، والطاعون.

ثم كان في سنة أربع وثلاثين بالريّ، ثم في سنة ست وأربعين ببغداد، ثم في سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة، قلت: كذا ذكره الحافظ ابن حجر والمؤرخون قبله،

فكان بين هذين الطاعونين خمس وسبعون سنة، وفي هذه المدة كان مولد الإمام الشافعي رضي الله عنه ووفاته، فلم يقع في حياته طاعون، وبذلك يعرف إن قوله السابق: «لم أرَ للوباء أنفع من البنفسج» لم يُرِدْ به الطاعون، لأن الوباء غير الطاعون، كما تقدم الفرق بينهما، ويحتمل أنه أراد الطاعون والمراد الذي نصل صاحبه، وقام واحتاج إلى علاجه فيدهن به كما يستعمل الناس الآن في علاجه الدهان بزبد اللبن البقري ودهن اللوز، وظن طائفة من الناس أن مراد الإمام أن الادهان بدهن البنفسج، يمنع الطاعون من أصله، وليس كما ظنوه، والله أعلم.

ثم في سنة تسع وأربعين ومائتين بالعراق.

ثم في سنة ثمان ومائتين بأذربيجان وبرذعة، فمات لمحمد بن أبي الساج ثمانون ولداً، ذكره صاحب المرآة.

ثم في سنة تسع وتسعين ومائتين بأرض فارس.

ثم في سنة إحدى وثلاثمائة ببغداد.

ثم في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بأصبهان.

في سنة أربعين وثلاثمائة بالعراق، وكثر فيه موت الفجأة حتى أن القاضي لبس ثيابه، ليخرج إلى الحكم فمات، وهو يلبس إحدى خفيه.

قلت: رأيت في كتاب «نشور المحاضرة» للتنوخي إن موت الفجأة وقع للناس في كل حال منهم من مات وهو يصلي، ومنهم من مات وهو يأكل ومنهم من مات وهو يمشي، ومنهم من مات بالجامع، ومنهم من مات في الحمام، وفي جميع الأحوال إلا حالة واحدة وهي الخطبة، فلم ينقل قط أن خطيباً مات فجأة على منبر.

ثم وقع في سنة أربعمائة بالبصرة.

ثم وقع في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة طاعون عظيم ببلاد الهند والعجم وبلاد الجبل، وامتد إلى بغداد، وفني الناس ولم يشاهدوا مثله، ومات بالموصل في هذه السنة أربعة آلاف صبي بالجدري.

ثم وقع بشيراز سنة خمس وعشرين وأربعمائة ووصل إلى البصرة وبغداد.

ثم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة بالموصل والجزيرة وبغداد، بحيث صلى الجمعة بالبصرة أربعمائة نفس، وكانوا أكثر من أربعمائة ألف.

ثم وقع سنة ثمان وأربعين بمصر والشام وبغداد.

ثم وقع بالعجم سنة تسع وأربعين.

ثم وقع بمصر سنة خمس وخمسين وأربعمائة ودام فيها عشرة أشهر.

ثم بدمشق سنة تسع وستين، وكان أهلها نحو خمسمائة ألف، فلم يبقَ منهم سوى ثلاثة آلاف وخمسمائة.

ثم وقع في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بالعراق.

ثم في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بالحجاز واليمن.

ثم في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ببغداد.

ثم في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، ولم يعهد نظيره في الدنيا فإنه طبق الأرض شرقاً وغرباً، ودخل البلاد كلها، حتى دخل مكة المشرفة، ووقع في الحيوانات أيضاً، وعمل فيه ابن الوردي مقامة مشهورة و[قال][1] في ذلك:

في عام تسعة وأربعينا	من بعد سبعمائة سنينا
قد دهم الخلائق الطاعون	وما أراد ربنا يكون
طبق الأرض مشرقاً ومغرباً	أوسع طعناً في الورى ومضربا
أهلك نصف الناس بل وأكثرا	وأدخل الفناء في أم القرى
في الحيوان قد بدا تأثيره	لم يرَ في الدنيا أخى نظيره
فيه مقام عن ابن الوردي	خذ هذه عن السيوطي الفرد
ناظمه محمد البرزنجي	يرجو النجاة والإله المنجي

(١) وردت في المطبوعة «قلت» وهو تصحيف.

وقال ابن أبي حجلة: مات فيه علىٰ جهة التقريب نصف العالم أو أكثر، وبلغ الموت في القاهرة كل يوم زيادة على عشرين ألفاً.

ثم وقع في سنة أربع وستين وسبعمائة بالقاهرة ودمشق.

ثم سنة إحدى وسبعين بدمشق.

ثم سنة إحدى وثمانين بالقاهرة.

ثم في سنة إحدى وتسعين، ثم في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، ثم في سنة تسع عشرة، ثم في سنة إحدى وعشرين، ثم في التي تليها، ثم في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وهو أوسع هذه الطواعين كلها، ولم يقع بمصر بعد الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة نظير هذا.

ثم وقع في سنة إحدى وأربعين بمصر، وكان خفيفاً وأكثر ما بلغ في اليوم ألف نفس، ثم وقع في سنة تسع وأربعين في ذي الحجة، ودام إلى ربيع الأول سنة خمسين، ثم في سنة ثلاث وخمسين، وبلغ في كل يوم خمسة آلاف، ثم في سنة أربع وستين بمصر والشام، ثم في سنة ثلاث وسبعين بها، ثم في سنة إحدى ثمانين وثمانمائة، ثم بالروم سنة ست وتسعين وثمانمائة، ودخل حلب في افتتاح سنة سبع وتسعين، ثم وصل إلى مصر في شهر ربيع الآخر منها أحسن الله ختامها في خير.

هذا كلام الحافظ السيوطي رحمه الله، وقد وقع بعده أيضاً طواعين كثيرة يطول ذكرها][1].

ومنها استباحة مكة:

عن الحسين بن علي أنه حين خرج إلى الكوفة، فنصحوه في الخروج قال: إن أبي حدثني أنه تستحل حرمتها، ولأن أقتل خارجها بشبر أحب إليَّ من أن أقتل داخلها، الحديث.

وهذه وقعت في زمن يزيد كما مر في زمن عبد الملك حين أرسل الحجاج، وقتل ابن

---

(١) الكلام الوارد بين قوسين ساقط من المخطوطة.

الزبير، وهدم البيت، وفي زمن أبي طاهر القرمطي كما مر أيضاً، وقع بعد ذلك مرات قتلوا بها جماعة من الأشراف من بني حسن، وسيقع قبيل خروج المهدي، وآخر من يستبيحها ذو السويقتين من الحبشة، فإنه يبيحها، ويهدم البيت حجراً حجراً، وهذان سيأتيان في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

[ومن راجع التواريخ كتاريخ مصر والشام وبغداد وغيرها، ولا سيما تاريخ بغداد لابن الجوزي المسمىٰ بالمنتظم، وجد من ذلك شيئاً كثيراً لا يعد ولا يحصى][1] فلنكتفِ من هذا القسم بهذا المقدار، فإنّما المقصود التنبيه على وقوعه لا التحذير منه، فإنه قد فات وإنّما الحذر مما يأتي، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

ومنها الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم الحق في كلها مع أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهه، وإنه المصيب دائماً، وغيره المخطىء، لقولهﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن معه» وقوله: «عليّ مع الحق حيث دار» وقوله: «يا عليّ تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله»، وقوله للزبير: «تقاتله وأنت له ظالم» وقوله: «ما خُيّر عمار بين أمرين إلا اختار أشدهما»[2] وقوله: «عمار تقتله الفئة الباغية» وعمار كان معه، وقتل في صفين قتله أصحاب معاوية، ولقول حذيفة حين قال: سيكون قتال بين المسلمين فسئل مع من تكون فقال: انظروا إلى الفئة التي تدعو إلى أمر عليّ فكونوا معها، فإنها على الحق وغير ذلك من الأحاديث، وحينئذ فنقول: أما طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فهم مجتهدون قطعاً، لأنهم لم يطمعوا في الخلافة، ولم يكونوا جاهلين بفضل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وعلمه وقرابته وسابقته، وإنما حملهم على ذلك طلب دم عثمان، لمّا أدى إليه اجتهادهم من وجوب قتلهم عليّ الإمام، وكان أمير المؤمنين عليّ ينتظر محاكمة الورثة إليه، وإقامة البينة على القاتل، وقد كان طلحة والزبير من أهل بدر.

وقد قالﷺ لعمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وقال لغلام حاطب حين شكاه

---

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «أرشدهما» والصواب ما أثبته.

إليه: وقال يا رسول الله: إن حاطباً يدخل النار، قال[1]: «كذبت لا يدخل النار إنه شهد بدراً والحديبية» ولأنهما من العشرة المبشّرين بالجنة، وبشارتهﷺ حق، ولأنهما رجعا عن الخروج وتابا، أما الزبير فحين ذكّره عليّ بالحديث ترك القتال، وخرج من العسكرين، وأما طلحة فبعدما جرح وأثخن مر به رجل من أصحاب عليّ فسأله ممن أنت؟ قال: من أصحاب عليّ، قال: مد يدك أبايعك عن عليّ فلمّا سمع عليّ ذلك قال صدق رسول اللهﷺ «أبىٰ الله أن يدخل طلحة الجنة، إلا وبيعتي في عنقه» كما تقدم وقال: أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين**﴾[2] وأكرم ابن طلحة، ورد عليه جميع ماله، وأما عائشة، فإنها زوج النبيﷺ في الدنيا والآخرة كما ثبت في الصحيح، ولأنها أرادت الرجوع من الطريق حين سمعت كلاب حوأب نبحتها، وتذكرت الحديث فقالوا: بل تقدمين لعل الله أن يصلح بك ذات بين المسلمين، فما قصدت إلا الصلح لا الفساد، وإنما قتلة عثمان أنشبوا الحرب خيفة على أنفسهم، ولأنها أم المؤمنين وحبيبة رسول اللهﷺ، فكلهم مأجورون إلا أن علياً له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وغيره له أجر الاجتهاد فقط، وأما معاوية فهو وإن كان باغياً، لم يدخل في البيعة بل كان طالباً للمُلك، وإنما جعل طلب الدم وسيلة إلى طاعة أهل الشام له، وقد ظهر له بغيه بقتل عمار بن ياسر، فأخبروه بأن النبيﷺ قال لعمار: إنما تقتلك الفئة الباغية، ولأنه لمّا تولى بعد نزول الحسن عن الخلافة لم يقتل أحداً بدم عثمان ولا طالبه، ولم يكن له سابقة ولا هجرة على الأصح، فإنه من مسلمة الفتح، وقد قال عمر رضي الله عنه: إن هذا الأمر في أهل بدر والمهاجرين الأولين ما بقي منهم أحد، وليس لطليق ولا لمسلمة الفتح فيه نصيب، لكنه لكونه صهراً لرسول اللهﷺ وكاتباً للوحي وله صحبة، وقد قالﷺ: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا» وقال: «الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي» الحديث، ينبغي الإمساك عن ذكره إلا بخير على أنه ﷺ قد أخبره أنه يتولى، وقال: يا معاوية إذ وليت فأحسن، ودعا له فقال: اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده، وقال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: لا تكرهوا إمرة معاوية، والله لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تنزل عن كواهلها كالحنظل.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

وأما الحرورية فلا حاجة الاعتذار عنهم بعدما قالﷺ: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» ونحوه من الأحاديث.

وأما يزيد وبنو الحكم فهم ملعونون على لسان النبيﷺ، وكذا قال أحمد ابن حنبل حين سأله ابنه عن لعن يزيد: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقال: قد قرأت كتاب الله فلم أرَ فيه لعن يزيد: فقال: إن الله يقول: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾، وأي فساد وقطيعة [رحم][1] أشد مما فعله يزيد يا بني، نعم عمر بن عبد العزيز من الأئمة الراشدين والخلفاء المهتدين، ويجب استثناؤه من بني أمية كما استثناه النبيﷺ حيث قال: ﴿**إلا الصالحون منهم وقليل ما هم**﴾، بخلاف بقية بني أمية كما مر، وكذلك من بعدهم من بني العباس وغيرهم، فأكثرهم أو عامتهم ظلمة فسقة، وأحسن من فيهم المتوكل وهو كان في النصب بحيث هدم قبر الحسين، وجعله مزرعة ومنع الناس زيارته، وقال في ذلك بعض الشعراء شعراً:

[بالله][2] إن كانت أمية قد أتت — قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله — هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا — في قتله فتتبعوه رميما

[وحكى ابن خلكان في ترجمة ابن السّكيت أنه كان جالساً يوماً مع المتوكل، وكان مؤدب أولاده فجاء ولداه المعتز والمؤيد، فقال: يا يعقوب أيّما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين، فقال: والله إن قنبر خادم عليّ بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ابنيك، فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات ليلة الاثنين لخمس خلون من شهر رجب سنة أربع وأربعين ومائتين، ثم أرسل المتوكل لولده عشرة آلاف درهم، وقال: هذا دية والدك انتهىٰ.

وهذا إن صح فهو الغاية في النصب ولعله لا يصح نعم][3]، كان المهتدي منهم

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «لله» والصواب ما أثبته.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

زاهداً يتأسى بعمر بن عبد العزيز في هديه، لكنه قتل بعد سنة ولم تطل مدته، هذا وأما ما توسع فيه الرافضة من سب السلف الصالح حتى الصحابة الكرام سيما الشيخين، فخروج من طريق العقل والنقل وضلال مبين وإلحاد في الدين، وتجهيل لجميع المسلمين حتى عليّ أمير المؤمنين كلا ثم كلا، بل هم خيرُ أمة أُخرجت للناس بشهادة القرآن وشهداء الله على الأمم يوم الحشر والميزان، وهم أهل بدر وأُحد وبيعة الرضوان اختارهم الله لصحبة نبيه من بين الأكوان لم يكن فيهم شائبة نفسانية، ولا ميل إلى الباطل والعدوان.

وقد صح عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: أبو بكر خيرُ من مؤمن آل فرعون، أنه كان يكتم إيمانه، ويدفع عن النبي، ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

وقال حين سأله ابنه محمد بن الحنفية: من خير الناس؟ قال: أبو بكر قال: ثم من؟ قال: عمر قال: ثم أنتَ يا أبتِ [قال][1]: أبوك رجل من المسلمين، وقال: سبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلث عمر ثم غشيتنا فتن فلا حول ولا قوة إلا بالله، وقوله: صلىٰ أبو بكر، وثلث عمر ثم غشيتنا فتن فلا حول ولا قوة إلا بالله، وقوله: صلىٰ أبو بكر، ومعناه أنه تلا رسول الله ﷺ في الإمامة أو في الفضل من قولهم: فرس مصل إذا كان ثانياً في ميدان السبق، ويؤيده حديث: «كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان سبقته فآمن بي، ولو سبقني لآمنت به» لكن فيه مقال بل قيل بوضعه، والله أعلم.

والأحاديث الواردة في فضلهما بل وفضل عثمان رضي الله عنهم عن عليّ كرّم الله وجهه وأبرار أهل بيته تنيف عن مائتين، فرحم الله امرأً [عرف][2] قدره، وعرف لهم حقهم فأحبهم بحق رسول الله ﷺ، ولا يهلك مع الهالكين والعياذ بالله تعالى.

فائدة: قد تفهم الإشارة إلى مدح الخلفاء الراشدين وأهل الشورى، وذم من بعدهم والباغين من الآيات التي في سورة الشورى بعد قوله تعالى: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ فقوله: ﴿الذين آمنوا وعلىٰ ربّهم يتوكّلون﴾ إشارة إلى الصدِّيق رضي الله عنه.

---

(١) وردت في المطبوعة «قالوا» والصواب ما أثبت.

(٢) وردت في المطبوعة «عوف» وهو تصحيف.

أما إيمانه فيشهد له قولهﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض، لرجح بهم إيمان أبي بكر».

وأما توكله فيشهد له قولهﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، وأبو بكر منهم، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكوون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» وقوله تعالى: ﴿**والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾[1] إشارة إلى عمر رضي الله عنه.

أما تركه للفواحش فيشهد له حديث: «ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك».

وأما مغفرته عند الغضب فيدل له حديث عيينة ابن حصن لما دخل عليه فقال: «هيه يا ابن الخطاب فوالله إنك لا تعطينا الجزل ولا تقسم فينا بالعدل» فغضب عمر، حتى همَّ أن يوقع به، فقال ابن أخيه حر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[2] وهذا من الجاهلين فوالله ما تعداها عمر حين سمعها، وكان وقافاً عند كتاب الله رضي الله عنه، وقوله تعالى: ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[3] إشارة إلى أصحاب الشورى ومنهم عثمان وعليّ رضي الله عنهم، وقوله تعالى: ﴿**والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**﴾[4] إشارة إلي عليّ كرَّم الله وجهه، وإن ما فعله من انتصاره على أهل البغي مما يثاب ويمدح عليه، وكذلك قوله: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾[5] إشارة إلى عفوه وكرمه، ومن ثم نادى يوم الجمل أن لا يتبع منهزمهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يؤخذ أموالهم وقوله تعالى: ﴿**فمن عفى وأصلح فأجره على الله**﴾[6] إشارة إلى نزول الحسن بن عليّ عن الخلافة، وعفوه عن إساءة معاوية وأهل الشام، إصلاحه بين المسلمين، وحقنه دماءهم وقوله: ﴿**إنَّه لا يحب الظالمين**﴾[7] إشارة إلى من ظلم المذكورين وقتلهم أو بغى عليهم، كقاتل عمر وقتلة عثمان وقاتل عليّ والخارجين عليه

---

(١) سورة الشورى، الآية. ٣٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٩.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٦) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

كالحرورية، وقوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾[1] إشارة إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، وقيامه على يزيد وقتاله على حقه إلى أن قتل هو وأهل بيته، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] إشارة إلى يزيد ومن بعده من بني أمية وغيرهم، والله أعلم برموز كتابه وأسرار خطابه.

تنبيه: ورد عنه ﷺ أنه قال: «الآيات بعد المائتين»، وهذا يحتمل بعد المائتين من الهجرة، ويحتمل بعد المائتين بعد الألف، ويؤيد الأول أن جميع أو أكثر الآيات المذكورة من الزلازل والرياح والرجفات ومطر الدم والحجارة وفتن الاعتزال والقرامطة والزنج وصياح الطير والصيحة من السماء والغرق والنار وغير ذلك مما مر مفصلاً، إنما وقعت بعد المائتين في أواخر خلافة المأمون، إلى أن كثر في زمن المتوكل جداً، وتوالى ويدل له أيضاً حديث: «خياركم بعد المائتين»، كل خفيف الحاذ، وما روي مع ضعف: لا يولد بعد المائتين مولود لله فيه حاجة، وعلى هذا فلا يتقيد ظهور الآيات القريبة من الساعة بها بعد المائتين بعد الألف، ولو سلم أن المراد هو الاحتمال الثاني، وإنه المائتان بعد الألف، فلا يلزم تأخر المهدي إلى ذلك الوقت لجواز أن يخص الآيات ببعضها كالدابة وطلوع الشمس من مغربها وهدم الكعبة ونحوها، وعلى كل تقدير فظهور المهدي على رأس هذه المائة محتمل احتمالاً قوياً ظاهراً، وإن تأخر عنها فلا يتأخر عن المائة الثانية قطعاً.

ونسأل الله تعالى أن يميتنا على الإيمان غير مفتونين ولا مبدلين وكل واحدة من هذه الفتن تحتمل مجلداً بل تفصيلها يحتمل مجلدات، وإنما اختصرنا وأشرنا إليها إشارة لأنها غير مقصودة حيث مضت، والمقصود ما نحن بصدده، ولئلا يمل السامعون، ولأن الوقت لا يسع غير ذلك فإن الموسم قريب ولأن تفصيلها يورث قسوة القلب والضغائن، وما لا ينبغي والمهم ذكر ما يلين القلوب ويحزنها ويزجرها عن الغفلة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه [وآله][3] أجمعين.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٢.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

الباب الثاني

في الأمارات المتوسطة
التي ظهرت ولم تنقض

في الأمارات المتوسطة التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث، ولنسرد أحاديثها اختصاراً.

فمنها: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع. أحمد والترمذي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه وابن مردويه عن عليّ كرَّم الله وجهه: [اللكع][1]: العبد أو الأحمق أو اللئيم، أي حتى يكون اللئام والحمقاء أو العبيد رؤساء الناس.

ومنها: «يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر». الترمذي عن أنس.

كناية عن عدم المساعد والمعاون على الدين ومنها «يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة» أبو نعيم والحاكم عن أنس.

ومنها: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد». أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وأنس.

ومنها أشراط الساعة [التفحص][2] والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن. الطبراني عن أنس.

---

(١) وردت في المطبوعة «الكع» وهو تحريف.

(٢) وردت في المطبوعة «التفحض» وهو تصحيف.

ومنها «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة وأن يرى الهلال قبلاً بفتحتين أي ساعة ما يطلع فيقال لليلتين». الطبراني عن ابن مسعود وأنس. ومنها: «من اقتراب الساعة كثرة القطر» أي المطر وقلة النبات وكثرة القراء» أي العباد «وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء» الطبراني عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري.

ومنها «يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر» أحمد والبخاري عن مرداس الأسلمي.

ومنها «لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً» أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

ومنها إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون الولد غيظاً، وأن يكون المطر قيظاً، وأن تفيض الأشرار فيضاً. الطبراني عن ابن مسعود.

أي يكون الولد غيظ أبيه وأمه، أي يعمل ما يغيظهما بعقوقه لهما، ولا يكون طوعهما ويكون المطر في الصيف فلا ينبت شيء وهذا قريب مما مر.

إن من أشراطها كثرة القطر، وقلة النبات، وقيض الشرار، كثرتهم أي يكثر الشرار كثرة.

ومنها إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يصدق الكاذب وأن يكذب الصادق، الطبراني عن ابن مسعود.

ومنها إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يؤتمن الخائن وأن يخون الأمين، وأن [تواصل][1] الأطباق أي الأباعد والأجانب، وتقطع الأرحام. الطبراني عن ابن مسعود[2].

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يسود كل قبيلة منافقوها، وكل سوق فجارها. الطبراني عن ابن مسعود.

---

(١) وردت في المطبوعة «يتواصل».

(٢) وردت في المخطوطة «عنه» أي عن ابن مسعود، وما أثبته أولى.

ومنها أن من أعلام الساعة [وأشراطها][1]أن يكون المؤمن في القبيلة أذل من النقد الطبراني عن ابن مسعود.

النقد: صغار الغنم.

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب، وأن تخرب القلوب. لطبراني عنه.

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء. الطبراني عنه.

وهو كناية عن كثرة اللواط في الرجال، وكثرة السحاق في النساء.

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتني[2] المساجد، وأن تعلو المنابر. الطبراني عنه.

والمنابر: يجوز أن يكون بالموحدة جمع منبر، وأن يكون المثناة جمع منارة، وكلاهما واقع.

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يعمر خراب الدنيا، ويخرب عمرانها. الطبراني عنه، وابن عساكر عن محمد بن عطية، [السعدي][3]أي يخرب البلد العامر، ويبنى بمحل آخر، كما نقل مصر إلى القاهرة، وكما نقل الكوفة إلى [نجف][4].

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن تظهر المعازف، وتشرب الخمور. الطبراني عنه.

المعازف بالعين المهملة والزاي المعجمة جمع عزف، قال في النهاية: وهي الدفوف وغيرها، وقيل: كل لعب عزف.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «يكتف».

(٣) وردت في المطبوعة «السوري» والصواب ما أثبته.

(٤) وردت في المطبوعة «نجف» وهو تحريف.

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن تكثر الشرط والهمازون والغمازون واللمازون، وأن تكثر أولاد الزنا. الطبراني عن ابن مسعود.

و«الشُرَط» بضم المعجمة وفتح المهملة هم أعوان السلطان، قال السخاوي: وهم الآن أعوان الظلمة، ويطلق غالباً على أقبح جماعة الوالي ونحوه، وربما توسع في إطلاقه على ظلمة الحكام انتهى، «والهمزة» الغيبة والوقيعة في الناس، وذكر عيوبهم، وهمز يهمز فهو همَّاز للمبالغة، ومثله «اللمز» فهو لمّاز ولمزة ومنه قوله تعالى: ﴿همّاز مشاء بنميم﴾[1] وقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾[2] وقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[3] وقيل: اللّمز هو العيب في الوجه، والهمز العيب بالغيب.

ومنها أن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام، وفشو القلم وظهور الشهادة بالزور، وكتمان شهادة الحق. أحمد والبخاري والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

وفشو القلم كناية عن كثرة الكتبة وقلة العلماء، يعني يكتفون بتعلّم الخط ليخالطوا الحكّام.

ومنها إذا استحلت هذه الأمة الخمر بالنبيذ، أي يشربونها ويسمونها النبيذ، والنبيذ في المعنى هو الخمر لأنها كل مسكر مائع، والربا بالبيع أن يتحملوا بإظهار الربا في صورة البيع والسحت بالهدية، أي يأكلون الرشوة والحرام الصرف، ويسمونها هدية، واتجروا بالزكاة، أي يعطون الزكاة لأجرائهم أو يتعاوضون بالزكاة، فيعطي هذا لهذا وبالعكس.

ومنها إذا استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فبشِّرهم بريح حمراء، تخرج من قبل المشرق، فتمسخ بعضهم، ويخسف ببعض ذلك بما عصوا، وكانوا يعتدون. الديلمي عن أنس.

---

(١) سورة القلم، الآية: ١١.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٣) سورة الهمزة، الآية: ١.

ومنها إذا اتخذ الفيء دولاً. الترمذي عن أبي هريرة.

قال في الفائق: الدُول بضم الدال وفتحها ما يدول الإنسان، أي يدور من الحظ. وقال في النهاية: هو الدول بضم الدال وفتح الواو جمع دولة بالضم، وهو ما يتداول من المال، فيكون لقوم دون قوم، ومعناه إذا اختص الأغنياء وأصحاب المناصب بأموال الفيء، ومنعوا عنها مستحقيها.

ومنها أن يتخذ الأمانة مغنماً والزكاة مغرماً، ويتعلم لغير دين الترمذي عنه.

ومعناه أن يذهب المؤتمن بأمانات الناس وودائعهم، ويتخذونها مغانم كأنها غنيمة وقعت في أيديهم، ويعد الناس الزكاة غرامة أي يشق عليهم [أداؤها كما يشق عليهم][1] الغرامات، ويتعلمون لغير دين، أي يحملهم على التعلم غير الدين من طلب المقاصد الدينية الردية والمناصب الدنيوية.

ومنها إذا أطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد. الترمذي عنه.

ومعناه يقرب صديقه ويكرمه، ويبعد أباه ويؤذيه، ويكثر اللغط في المساجد بحديث الدنيا، كأنهم جالسون في ناديهم لا في مسجدهم.

ومنها إذ ساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره. الترمذي عنه.

يعني يكون فاسق القوم كبيرهم وسيدهم والزعيم من يتكفل بأمر القوم، ويقوم به والرذل الرديء من كل شيء، أي يقوم بأمرهم أردأهم.

ومنها إذا ظهرت القينات أي المغنيات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها. الترمذي عنه.

وقد ظهر لعن آخر هذه الأمة أولها في الرافضة قبحهم الله تعالى.

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

ومنها إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة، وكثرت التجارة كثر المال وعظم رب المال لماله، وكثرت الشرط، وكانت إمارة الصبيان، كثرت[1] النساء، وجار السلطان، وطفف المكيال والميزان. الطبراني والحاكم عن أبي ذر.

والتطفيف: هو نقص الكيل والوزن والذرع وهو من الكبائر، قال تعالى: **﴿وَيْلٌ للمُطففين * الَّذينَ إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم وزنوهم - أي باعوهم يخسرون﴾**.

ومنها أن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيفترقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه، ولا أدري ما اسمه يحدث. مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود.

ومنها أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً. مسلم عن ابن عمرو.

ومنها إذا اقترب الزمان يربي الرجل جرواً، أي ولد الكلب، خير له من أن يربي ولداً له، ولا يوقر كبير، ولا يرحم صغير، ويكثر أولاد الزنا، حتى أن الرجل ليغشي المرأة، أي يزني بها، على قارعة الطريق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك المداهن. الطبراني والحاكم عن أبي ذر ومعنى «يلبسون جلود الضأن» إلى آخره أنهم يلينون القول، ويحسنون الفعل رياء، وقلوبهم كالذئاب.

ومنها إذا كانت الفاحشة في كباركم، والمُلك في صغاركم، والعلم في أرذالكم، والمداهنة في خياركم. أحمد وابن ماجه عن أنس.

ومنها إذا تقارب الزمان ينقي الموت خيار أمتي، كما ينقي أحدكم الرطب من الطبق. الرامهرمزي عن أبي هريرة.

ومنها إذا تطاول الناس في البنيان، وفي رواية: إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان فانتظروا الساعة. الشيخان عن عمر.

---

(١) وردت في المخطوطة «كثر».

وذلك حيث كثرت أموالهم، وامتدت وجاهتهم، ولم يكن لهم دأب ولا همة سوى البناء، لأنهم لا يشتغلون بالعبادة ولا بالعلم ولا بالجهاد.

ومنها إذا وسد الأمر وفي رواية: أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظروا الساعة. البخاري عن أبي هريرة، ولله در القائل:

أيا دهر [أعملت][1] فينا إذا كان	ووليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رؤساء	وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت [عاديتنا][2]	فها قد صنعت بنا ما كفاكا

منها من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد ولا يجدون إماماً يصلي بهم. أحمد وأبو داود عن سلامة بنت الحران.

ومنها لا يذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر، فيتمرغ عليه، ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين ما به إلا البلاء. مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنهم.

ومنها لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم.

وهذا قد وقع كثيراً ولا يزال يقع من قتل الملوك؛ وهم إن لم يكونوا أئمة لكنهم نواب عنهم فقتلهم بمنزلة الأئمة.

ومنها أن من أشراط الساعة أن يتلمس العلم عند الأصاغر. الطبراني عن أبي أمية الجمَحي.

ومعناه أن الأكابر من أولاد المهاجرين والأنصار، بل ومن قريش يشتغلون بطلب الدنيا والجاه، ويبقى الأصاغر من الموالي وأخلاط الناس هم الذين يتعلمون، فيطلب منهم الفتاوى في الواقعات.

---

(١) وردت في المطبوعة «أعلنت».

(٢) وردت في المطبوعة «عاتبتنا».

ومنها لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل أخاه، لا يدري فيم قتله. الحاكم في تاريخه عن أبي موسى.

ومنها من أشراط الساعة أن يملك من ليس أهلاً أن يملك، ويرفع الوضيع، ويتضع الرفيع. نعيم بن حماد عن كثير بن مرة مرسلاً.

ومنها من اقتراب الساعة إذا كثر خطباء منابركم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلّوا لهم الحرام وحرَّموا عليهم الحلال، فأفتوهم بما يشتهون. الديلمي عن عليّ كرَّم الله وجهه.

ومنها من اقتراب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة. الديلمي عن عليّ كرَّم الله وجهه.

ومعناه يقرؤون القرآن بالأجرة، لا يقرؤون لله.

ومنها لا تزال الأمة على شريعة حسنة ما لم تظهر فيهم ثلاث: ما لم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم ولد [الحنث][1] ويظهر فيهم السقارون، قالوا: وما السقارون قال: يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن. أحمد والطبراني والحاكم عن معاذ بن أنس.

قلت: [وهذا][2] كثير في الفلاحين والبقالين والسفلة، فيبدأ أحدهم بشتم صاحبه عند التلاقي قبل السلام، بل ويمضي كل منهما، ولا يعرفون السلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يعمد الرجل إلى النبطية فيتزوجها على معيشة، ويترك بنت عمه لا ينظر إليها. الطبراني عن أبي أمامة.

ومعناه يتزوج الدّنية الأصل لغناها، ويترك بنت عمه الأصيلة لفقرها.

ومنها أن من أمارتها أن تقطع الأرحام، ويؤخذ المال بغير حقه، وتسفك الدماء،

---

(١) وردت في المطبوعة «الخبث».

(٢) وردت في المطبوعة «وهكذا» وهو تصحيف.

ويشتكي ذو القرابة قرابته، لا يعود عليه بشيء، ويطوف السائل لا يوضع في يده شيء. ابن أبي شيبة عن عبدالله.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عاراً، ويكون الإسلام غريباً، وحتى تبدو الشحناء بين الناس، وحتى يقبض العلم، ويهرب الزمان، وينقص عمر البشر، وتنقص السنون والثمرات، ويؤمن التهماء، ويتهم الأمناء، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى تبنى الغرف أي القصور فتطال، وحتى تحزن ذوات الأولاد، أي لعقوق أولادهن، وتفرح العواقر، ويظهر البغي والحسد والشح، ويهلك الناس، ويكثر الكذب، ويقل الصدق، وحتى تختلف الأمور بين الناس، ويتبع الهوى، ويقضى بالظن، ويكثر المطر، ويقل الثمن، ويغيض العلم غيضاً، أي ينقص، ويفيض الجهل فيضاً، أي يكثر، ويكون الولد غيظاً، والشتاء قيظاً، سبق تفسيرهما، وحتى يجهر بالفحشاء، وتزوي الأرض زياً، وتقوم الخطباء بالكذب، فيجعلون حقي لشرار أمتي، فمن صدقهم بذلك، ورضي به، لم يرح رائحة الجنة. ابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نصر السجزي وابن عساكر عن أبي موسى، وسنده جيد.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم، كما تأكل البقر بألسنتها. أحمد والخرائطي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص.

ومعناه يمدحون الناس، ويظهرون محبتهم نفاقاً، ويطرونهم ويمدحون أنفسهم، حتى يتوسلوا إلى أخذ الأموال منهم.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس تسافد البهائم في الطرق. الطبراني عن ابن عمر.

ومنها لا تقوم الساعة حتى توجد المرأة نهاراً تنكح، أي تجامع وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحد، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو نحيتها عن الطريق قليلاً، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم. الحاكم عن أبي هريرة.

ومنها لا تقوم الساعة حتى تتناكر القلوب، وتختلف الأقاويل، ويختلف الإخوان من

الأب والأم في الدين. الديلمي عن حذيفة.

[ومنها لا تقوم الساعة حتى يتغايروا على الغلام كما يتغاير على المرأة». الديلمي عن أبي هريرة][1].

ومنها لا تقوم الساعة حتى يعز الله فيه ثلاثاً: درهماً من حلال، وعلماً مستفاداً، وأخاً في الله عز وجل. الديلمي عن حذيفة.

يعني تقل فيه هذه الثلاثة، حتى لا تكاد توجد.

ومنها إذا رأيت الصدقة كتمت وغلمت، واستؤجر على الغزو، وأخرب العامر، وأعمر الخراب، ورأيت الرجل يتمرس بأمانته، وفي رواية: بدينه، كما يتمرس البعير بالشجر، فإنك والساعة كهاتين. عبد الرزاق والطبراني عن عبد الله بن زينب الجندي.

قال في النهاية: يتمرس: أي يتغلّب ويعبث بدينه، كما يعبث البعير بالشجر.

ومنها أن من أشراط الساعة حيف الأئمة، وتصديق بالنجوم، وتكذيب بالقدر. البزار عن عليّ كرَّم الله وجهه مرفوعاً، وسنده حسن.

ومنها لا يذهب الناس حتى يقولوا القرآن مخلوق، [وليس بخالق][2] ولكنه كلام الله منه بدأ، وإليه يعود، اللالكائي والأصبهاني عن عليّ كرَّم الله وجهه.

ومنها إذا اجتمع عشرون رجلاً أو أكثر أو أقل، فلم يكن فيهم من يهاب في الله، فقد حضر الأمر. البيهقي وابن عساكر عن عبدالله بن بشر الصحابي.

ومنها من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد فلا يركع ركعتين. ابن أبي داود عن ابن مسعود.

ومنها تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة أشياء فمنها: نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها، وذلك مما حرَّم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح

---

(١) هذا الحديث ساقط من المطبوعة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

الرجل الرجل وذلك مما حرَّم الله ورسوله، ويمقت الله عليه، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرَّم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك حتى يتوبوا إلى الله توبةً نصوحاً. الدارقطني والبيهقي وابن النجار عن أبي قال الصحابي.

ومنها ليأتين على الناس زمان يكون فيه استشارة الإماء وسلطان النساء وإمارة السفهاء. ابن المناوي عن عليّ كرَّم الله وجهه.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتى تتخذ المساجد [طرق][1]، فلا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين، وحتى يبلغ التاجر الأفقين، فلا يجد ربحاً. الطبراني عن ابن مسعود.

وهو كناية عن عدم الرغبة في الصلاة، وعدم توقير الصغير الكبير، وعدم البركة في التجارة لغلبة الكذب والغش على التجار.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يتحول شرار أهل الشام إلى العراق، وخيار أهل العراق إلى الشام. ابن أبي شيبة عن أبي [أمامة][2].

ومنها يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرَّ من شاهق إلى شاهق، أو من جُحْر إلى جُحْر كالثعلب يفر بأشباله، وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله، فإذا كان كذلك حلَّت الغربة يكون في ذلك الزمان هلاك الرجل على يد أبويه إن كان له أبوان، وإلا فعلى يد زوجته وإلا فعلى يدي الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها. أبو نعيم والبيهقي [والخليلي][3] والرافعي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ومنها يأتي على الناس زمان يقعد الرجل إلى قومه فما يمنعه أن يقوم إلا مخافة أن يقعوا فيه. الديلمي عن أبي هريرة.

---

(١) وردت في المطبوعة «قاطر» وهو تحريف.

(٢) ساقطة من المخطوطة

(٣) وردت في المطبوعة «الخليل» وهو تصحيف.

ومنها سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد، لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله بلسانه وبقلبه، فذلك الذي سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدق به. أبو نصر السجزي وأبو نعيم عن عمر رضي الله عنه.

ومنها يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم، في أمر دنياهم، فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة. البيهقي عن الحسن مرسلاً.

ومنها يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم، كما يستخفي المنافق فيكم. ابن السني عن جابر رضي الله عنه.

ومنها يأتي على الناس زمان همَّهم بطونهم، وشر همَّهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم درهمهم ودنانيرهم، أولئك شر الخلق، لا خلاق لهم عند الله. السّلمي عن عليّ.

[ومنها يأتي على الناس زمان يعض الموسر على ما في يده. أحمد عن عليّ][1].

ومنها [أن يأتي][2] على الناس زمان يقتل فيه العلماء، كما تقتل الكلاب، فيا ليت العلماء في ذلك الزمان تحامقوا. الديلمي وابن عساكر عن عليّ كرَّم الله وجهه.

ومنها أن يأتي[3] على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر. أبو نعيم عن أبي هريرة.

ومنها لا تذهب الأيام والليالي حتى يخلق القرآن في صدور أقوام من هذه الأمة، كما تخلق الثياب، ويكون ما سواه أعجب لهم، ويكون أمرهم طمعاً كله، لا يخالطه خوف إن قصَّر في حق الله تعالى منّى نفسه الأماني، وإن تجاوز إلى ما نهى الله عنه، قال: أرجو أن يتجاوز الله عني، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أفضلهم في نفسه المداهن، الذي [لا يأمر بالحق ولا ينهى عن المنكر][4]. أبو نعيم عن معقل بن يسار.

---

(١) ساقط من المطبوعة.

(٢) وردت في المخطوطة «لا يأمر ولا ينهي» وما أثبته أولى.

(٣) وردت في المطبوعة «أتى» الصواب ما أثبت.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

ومنها يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العالم، ولا يستحي فيه من الحليم، ولا يوقر فيه الكبير، ولا يرحم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، يمشي الصالح فيهم [متخفياً][1]، أولئك شرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة. الديلمي عن عليّ.

ومنها يجيء يوم القيامة المصحف والمسجد والعترة، فيقول المصحف: يا رب حرقوني؛ ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب خرّبوني، وعطّلوني، وضيّعوني، وتقول العترة: يا رب طردونا، وقتلونا، وشرّدونا، وأجثو بركبتي للخصومة فيقول الله تبارك وتعالى: ذلك إليّ وأنا أولى بذلك. الديلمي عن جابر وأحمد والطبراني عن أبي أمامة.

وكأنه إشارة إلى ما وقع في زمن بني أمية ومن بعدهم من قتل أهل البيت، وتعطيل مسجده ﷺ، وربط الخيل فيه في زمن يزيد، وتمزيق المصحف في زمن الوليد، أو يكون تمزيق المصحف كناية عن عدم العمل به.

ومنها يوشك أن لا تجدوا بيوتاً تكنكم تهلكها الرواجف ولا دواب تبلغوا عليها في أسفاركم تهلكها الصواعق. نعيم عن أبي هريرة.

ومنها إذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم. الحكيم عن أبي الدرداء.

ومنها من اقتراب الساعة أن يصلي خمسون نفساً، لا يقبل لأحدهم صلاة. أبو الشيخ عن ابن مسعود.

ومعناه أنهم لا يأتون بشروطها وأركانها، فلا تصح لأحدهم صلاة، فلا تقبل منهم.

ومنها أن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. مسلم عن عبد الله بن مسعود.

ومنها من أشراط الساعة تقارب الأسواق قلت: ما تقارب الأسواق؟ قال: أن يشكو

---

(1) وردت في المخطوطة «مستخفياً».

الناس بعضهم إلى بعض قلة الإصابة أي الربح، ويكثر ولد البغي، وتفشو الغيبة، ويعظم رب المال أي يكرم من جهة ماله، وترتفع الأصوات في المساجد، ويظهر أهل المنكر، ويظهر البناء. ابن مردويه عن أبي هريرة.

ومنها من أشراط الساعة سوء الجوار، وقطيعة الأرحام، وأن يعطل السيف من الجهاد، وأن تجلب الدنيا بالدين. ابن مردويه عن أبي هريرة.

ومنها من أشراط الساعة أن يظهر الفحش والتفحش، وسوء الخلق، وسوء الجوار. ابن أبي شيبة عن ابن مسعود.

ومنها لا تقوم الساعة حتى لا تحمل النخلة إلا تمرة. ابن أبي شيبة عن رجاء ابن حيوة.

كناية عن قلة الثمار والبركات.

ومنها من أشراط الساعة موت البدار. ابن أبي شيبة عن مجاهد، وفي رواية عن الشعبي: من اقتراب الساعة موت الفجأة.

ومنها يكون في آخر الزمان رجال يركبون على المياثر، حتى يأتون أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمةِ البخت العجاف، العنوهن فإنّهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساء، كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم، قال ابن عمرو: قلت لأبي: وما المياثر؟ قال: سروج عظام. أحمد والحاكم عن ابن عمرو.

ولهذا الحديث شواهد وطرق[1] منها عند مسلم عن أبي هريرة: صنفان من أمتي من أهل النار، لم أرهم، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. قال النووي في رياض

---

(١) وردت في المخطوطة هكذا «لهذا الحديث طرق وشواهد» بتقديم الأول على الثاني.

الصالحين[1]: أي يكبّرن رؤوسهن، ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوهما انتهى.

وقد فصّلنا الكلام في هذه المسألة في رسالة مستقلة سميناها «أجوبة الخمس عن الأسئلة الخمس».

ومنها يخرج في هذه الأمة في آخر زمان رجال معهم سياط، كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه. أحمد والحاكم وصححه عن أبي أمامة.

ومنها عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حج النبيﷺ حجة الوداع، ثم أخذ بحلقة باب الكعبة، فقال: «يا أيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة؟» فقام إليه سلمان فقال: أخبرنا فداك أبي وأمي يا رسول الله قال: «من أشراط الساعة إضاعة الصلاة، والميل مع الهوى، وتعظيم رب المال» فقال سلمان: ويكون هذا يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفس محمد بيده، فعند ذلك يا سلمان، وتكون الزكاة مغرماً، والفيء مغنماً، ويصدق الكاذب، ويكذق الصادق، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويتكلم الرويبضة». قالوا: وما الرويبضة؟ قال: «يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم، وينكر الحق تسعة أعشارهم، ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا [اسمه][2]، [ويذهب القرآن فلا يبقىٰ إلا رسمه][3]، وتحلى المصاحف بالذهب، ويتسمن ذكور أمتي، وتكون المشورة للإماء، ويخطب على المنابر الصبيان، وتكون المخاطبة للنساء، فعند ذلك تزخرف المساجد، كما يزخرف الكنائس والبيع، وتطول المنابر، وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة، وألسن مختلفة، وأهواء جمة» قال سلمان: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذلّ من الأمة، ويذوب قلبه في [جوفه][4]، كما يذوب الملح في الماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان[5]، كما يغار على الجارية البكر، فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة،

---

(١) انظر رياض الصالحين في شرحه للحديث.
(٢) وردت في المطبوعة «رسمه».
(٣) ساقطة من المطبوعة.
(٤) ساقطة من المطبوعة.
(٥) وردت في المخطوطة «الغلام» والصواب ما أثبته.

يضيعون الصلاة، ويتبعون الشهوات، فإن أدركتموهم فصلّوا صلاتكم لوقتها، عند ذلك يا سلمان يجيء سبي من المشرق، وسبي من المغرب، جثاؤهم جثاء الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً، عند ذلك يا سلمان يحج إلى هذا البيت الحرام، ويحج ملوكهم لهواً وتنزهاً، وأغنياؤهم للتجارة ومساكينهم للمسألة، وقراؤهم رياء، وسمعة» قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب، ويظهر الكوكب له الذنب، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، وتقارب الأسواق» قال: وما تقاربها؟ قال: «كسادها، وقلة أرباحها عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحاً، فيها حيات صفر، فتلتقط رؤوس العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيّروه» قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي بعث محمداً بالحق». رواه ابن مردويه عنه[1].

قوله في الحديث: «وتكثر الصفوف... الخ، معناه: أنهم لا يتمون الصفوف الأول فالأول، بل يصطف كل ثلاثة في صف وأربعة في صف، وهكذا، فتكثر الصفوف، ويؤيده قوله: ﴿مع قلوب متباغضة﴾ لأن ذلك يورث تخالف القلوب وتباغضها، كما أشار إليه حديث «أقيموا صفوفكم» أي أتموها، ولا تختلفوا فيخالف الله بين قلوبكم، وقد جاء عنه رواية أخرى أبسط منه.

قال القاضي أبو الفرج المعافي في المجلس الحادي والستين من كتابه «الجليس والأنيس» ما لفظه: حدثنا محمد بن الحسن بن علي سعيد أبو الحسن الترمذي في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة أملاه من أصل كتابه، قال: حدثنا أبو سعيد محمد بن الحسن بن ميسرة، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شعيب الخواتمي، قال: حدثنا إبراهيم بن مخلد عن سليمان الخضاب مولى لبني شيبة، قال: أخبرني ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: لمّا حج النبيﷺحجة الوداع، أخذ بحلقتي باب الكعبة، ثم أقبل بوجهه على الناس، فقال: «يا أيها الناس إني أخبرتكم بأشراط القيامة إن من أشراط القيامة إماتة الصلوات، واتباع الشهوات، والميل مع الهوى، وتعظيم رب المال» قال: فوثب سلمان فقال: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «أي والذي نفسي بيده،

(١) «عنه» بمعنى عن ابن عباس.

عندها يذوب قلب المؤمن، كما يذوب الملح في الماء، مما يرى ولا يستطيع أن يغيّر» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «أي والذي نفسي بيده إن المؤمن ليمشي بينهم يومئذ بالمخافة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده عندها يكون المطر قيظاً، والولد غيظاً، ويفيض اللئام فيضاً، ويغيض الكرام غيضاً» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده للمؤمن يومئذ أذل من الأمة، فعندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكذاب، ويكذب الصادق» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده عندها يكون أمراء جورة، ووزراء فسقة، وأمناء خونة، وإمارة النساء، ومشاورة الإماء، وصعود الصبيان المنابر» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم، إن سكتوا استباحوهم، ويستأثرون بفيئهم، وليطؤون حريمهم، ويجار في حكمهم، ويليهم أقوام جثاهم جثا الناس».

قال القاضي أبو الفرج: هو هكذا في الكتاب، والصواب «جثثهم جثة الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يوقرون كبيراً، ولا يرحمون صغيراً» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان عندها تزخرف المساجد، كما تزخرف الكنائس والبيع، وتحلى المصاحف، ويطيلون المنابر، ويكثر العقوق، قلوبهم متباغضة، وأهواؤهم جمة، وألسنتهم لمختلفة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «أي والذي نفسي بيده عندها يكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرماً، ويظهر الرشاء، ويكثر الربا، ويتعاملون بالعينة، ويتخذون المساجد طرقاً» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندها تتخذ جلود النمور صفوفاً، يتحلى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير، ويتهاونون بالدماء، وتظهر الخمور والقينات والمعازف، وتشارك المرأة زوجها في التجارة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندما يطلع كوكب الذنب، ويكثر السيجان، ويتكلم الرويبضة» قال سلمان: وما الرويبضة؟ قال: «يتكلم في العامة من لم يكن يتكلم، ويحتقن الرجل للسمنة، ويتغنى بكتاب الله عز وجل، ويتخذ القرآن مزامير، ويباع الحكم، ويكثر

الشرط» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، يحج أمراء الناس لهواً وتنزهاً، وأوساط الناس للتجارة، وفقراء الناس للمسألة، وقراء الناس للرياء والسمعة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يغار على الغلام، كما يغار على الجارية البكر، ويخطب الغلام كما تخطب المرأة، ويهيأ كما يهيأ المرأة، وتتشبه النساء بالرجال، ويتشبه الرجال بالنساء، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتركب ذوات الفروج السروج، فعليهن من أمتي لعنة الله» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يظهر قراء عبادتهم التلاوم بينهم، أولئك يسمون في ملكوت السماء الأنجاس الأرجاس» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يتشبَّب المشيخة، قال أحسبه ذهب من كتابي هذا الحرف وحده، أن الحمزة خضاب الإسلام، والصفرة خضاب الإيمان، والسواد خضاب الشيطان» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يوضع الدين، وترفع الدنيا، ويشيد البناء، وتعطل الحدود، ويميتون سنتي، فعندها يا سلمان لا يرى إلا ذماً، ولا ينصرهم الله» قال: بأبي أنت وأمي، وهم يومئذ مسلمون كيف لا ينصرون، قال: «يا سلمان إن نصرة الله الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن أقواماً يذمون الله تعالى، ومذمتهم إياه أن يشكوه، وذلك عند تقارب الأسواق» قال: وما تقارب الأسواق؟ قال: «عند كسادها كلٌّ يقول ما أبيع ولا أشتري، ولا أربح ولا رازق إلا الله تعالى» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يجفو الرجل والديه، ويبر صديقه، ويتألفون بغير الله تعالى، ويحلف الرجل من غير أن يستحلف، ويتحالفون بالطلاق، يا سلمان لا يحلف بها إلا فاسق، ويفشو الموت موت الفجأة، ويحدث الرجل سوطه» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: إي والذي نفسي بيده، تخرج الدابة، وتطلع الشمس من مغربها، ويخرج الدجال وريح حمراء، ويكون خسف ومسخ وقذف ويأجوج ومأجوج وهدم الكعبة، وتمور الأرض، وإذا ذكر الرجل روى».

ومنها عن عليّ كرَّم الله وجهه أن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله [ﷺ][1] عن

(١) ساقطة من المطبوعة.

الساعة فقال: «ذلك عند حيف الأئمة، وتكذيب بالقدر، وإيمان بالنجوم، وقوم يتخذون الأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، والفاحشة زيارة» فسألته عن الفاحشة زيارة قال: «الرجلان من أهل الفسق يصنع أحدهما طعاماً وشراباً، ويأتيه بالمرأة فيقول: اصنع ما كنت تصنع، فيتزاورون على ذلك، قال فعند ذلك هلكت أمتي يا ابن الخطاب» رواه ابن أبي الدنيا والبزار عنه.

ومنها عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا بالبناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللئام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة، وأمر من الصبر، يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها، تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء يعني الدنانير، وتطلب البيضاء، وتكثر الخطباء، ويقل الأمر بالمعروف، وحليت للمصاحف، وصورت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربتها، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكاً، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم المعرفة، وتفقه لغير دين الله، وطلب الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمور في الطرق، واتخذ الظلم فجراً، وبيع الحكم، وكثرت الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلد السباع صفافاً، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وخسفاً ومسخاً وقذفاً، وآيات» أخرجه أبو نعيم في الحلية عنه.

ومنها إذا ظهر القول، وخزن العمل، وائتلفت الألسن، واختلفت القلوب، وقطع

كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله، فأصمهم، وأعمى أبصارهم. أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان موقوفاً، والحسن بن سفيان والطبراني وابن عساكر والديلمي عنه مرفوعاً.

ومنها إذا الناس أظهروا العلم، وضيَّعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عند ذلك، فأصمهم، وأعمى أبصارهم. ابن أبي الدنيا في كتاب العلم عن الحسن رحمه الله.

ولنختم هذا القسم بحديث عن أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهه، جامع لأكثر ما ذكر وزيادة تبركاً قال: قال ﷺ: «من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأكلوا الرشا، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القرآن مزامير، واتخذوا جلود السباع صفافاً، والمساجد طرقاً، والحرير لباساً، وكثر الجور، وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق، وائتمن الخائن، وخوّن الأمين، وصار المطر قيظاً، والولد غيظاً، وأمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقلت العلماء، وكثر القراء، وقلَّت الفقهاء، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنابر، وفسدت القلوب، واتخذوا القينات، واستحلت المعازف، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، ونقصت الشهور، ونقضت المواثيق، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وركب النساء البراذين، وتشبهت النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وحلف بغير الله، وشهد الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرماً، والأمانة مغنماً، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وقرّب صديقه، وأقصى أباه، وصارت الإمارات مواريث، وسب آخر هذه الأمة أولها، وأُكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط، وصعدت الجهال المنابر، ولبس الرجال التيجان، وضيّقت الطرقات، وشيد البناء، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وكثر خطباء منابركم، وركن علماؤكم إلى ولاتكم فأحلوا لهم الحرام وحرَّموا عليهم الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماؤكم العلم، ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم، فاتخذتم القرآن تجارة، وضيّعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم، وشربتم الخمور في ناديكم، ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر، والمعرفة والمزامير ومنعتم محاويجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرماً، وقتل البريء، ليغيظ العامة،

واختلفت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيدوالسقاط، وطففت المكاييل والموازين، ووليت أموركم السفهاء» أبو الشيخ وعويس والديلمي كلهم عن عليّ كرَّم الله وجهه.

ولنشرع في شرح ألفاظه ليتم به النفع.

قوله: «أضاعوا الصلاة» أي تركوها أو أخلوا بشيء من أركانها وواجباتها، ولا ينافي هذا ما ورد أن أول ما يرفع من الأمة الأمانة، وآخر ما يرفع الصلاة، لأن المراد بقاء صورة الصلاة، وهنا أضاعها بالإخلال بخشوعها وشروطها.

وقوله: «أضاعوا الأمانة» قال في النهاية: الأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمانة، انتهى، والكل جائز هنا.

وأما في قوله الآتي: «الأمانة مغنما» فالمراد بها الوديعة.

قوله: «وشيَّدوا البناء» أي طوَّلوها من الشيد، بمعنى الرفع أو جصصوها، وعملوها بالشيد، وهو كل ما طليت به الحائط من جص وغيره.

وقوله: «واتبعوا الهوى» أي ما تهواه أنفسهم من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة المخالفة للأحاديث الصحيحة.

قوله: «باعوا الدين بالدنيا» أي رضوا بنقص دينهم مع سلامة دنياهم، وآثروا سلامة الدنيا على سلامة الدين.

قوله: «اتخذوا القرآن مزامير» أي يتغنون به من غير تدبر في مواعظه وأحكامه.

قوله: «اتخذوا جلود السباع صفافاً» جمع صفا، وهي للسرج بمنزلة المثرة من الرحل، وهو شيء يفرش في السرج، ويجلس عليه، ومنه الحديث: «نهى عن صفف النمور».

قوله: «المساجد طرقاً» أي يمرون بالمساجد لغير الصلاة، ولا يصلون فيه ركعتين.

قوله: «تهاونوا بالطلاق» أي يحلفون بالطلاق كثيراً، لا يبالون بوقوعه.

قوله: «صار المطر قيظاً» مر تفسيره.

قوله: «اتخذوا القينات» جمع قينة، وهي الأمة المغنية، والمعازف آلات اللهو كالطنبور والبربط والرباب وغيرها.

قوله: «عطلت الحدود» كأن لا يرجم الزاني، ولا يقطع السارق، ولا يحد القاذف.

قوله: «نقصت الشهور» بالصاد المهملة أي تكون الشهور أكثرها ناقصة.

قوله: «ونقضت المواثيق» بالضاد المعجمة المواثيق جمع ميثاق، وهو العهد.

قوله: «ركب النساء البراذين» جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء، وفتح الذال المعجمة آخره نون الدابة والمؤنث برذنه وجمعه براذين، ويقال لصاحبه: المبرذن والمعنى أنهنّ يركبن الدواب، كما في رواية يركبن السرج تشبهاً بالرجال.

قوله: «حلف بغير الله» كأن يقول: ورأس السلطان، أو حياة سيدي أو والدي، أو والأمانة أو غير ذلك من الطلاق أو العتق أو نحو ذلك، وقد أتى زمان لا يصدقون إلا إن حلف بغير الله، فإنا لله و إنا إليه راجعون.

قوله: «كانت الزكاة مغرماً» إلى قوله: «أقصى أباه» مر تفسيرها.

قوله: «صارت الإمارات مواريث» أي لا يراعون في الإمارة الدين والرشد والتدبير والعلم وغير ذلك من صفات الكمال، بل يقولون: هذا ولد الأمير أو أخوه، فهو أحق بالإمارة، وأول من أحدث هذا بنو أمية، فولّوا أبناءهم، ولم يفعل أحد من الخلفاء الراشدين هذا، فلم يولوا أولادهم، ولا قرابتهم.

قوله: «وسب آخر هذه الأمة أولها» إشارة إلى ما اشتهر من الرفض، وسب عامة الصحابة والتابعين والسلف الصالح، حتى أن الرجل منهم يسب أباه وجده الذي مات على السنّة، فإنا لله و إنا إليه راجعون.

قوله: «وأكرم الرجل اتقاء شره» أي يخاف إن لم يكرمه أن يناله شره، وليس به من الدين شيء.

قوله: «كثرت الشرط» أي أعوان الظلمة.

قوله: «واستغنى الرجال بالرجال» . . . الخ مر تفسيره.

قوله: «وصعدت الجهال المنابر» معناه واضح، وفي رواية: الجهلاء بدل الجهال ومعنى السمان، أي الذين ليس عندهم خوف الآخرة، فإن الخوف يذيب الشحم، ولذا قال الشافعي: ما رأيت سميناً أفلح قط.

قوله: «ولبس الرجال التيجان» أي رجعوا إلى عادة المجوس والفرس من لبس التاج، فقد قالﷺ: «العمائم تيجان العرب» أي أن العرب لا يلبسون التاج، وإنما يلبسون العمائم بدلها.

قوله: «وضيّقت الطرقات» أي يبنون في الطريق الشارع الدكك، ويجلسون فيها، ويتحدثون بالباطل، ويضيقون الطرق على المارة.

قوله: «وخطباء منابركم» أي أنهم لا يخطبون لله ولا للاستحقاق، وإنما يشترون وظيفة الخطابة، فيكثر الراغبون في ذلك، ولقد رأينا في المسجد الواحد أكثر من عشرين خطيباً.

قوله: «ركن علماؤكم». . . إلخ أن يميل العلماء إلى الملوك، فيفتون بمقتضى هواهم، ولو خالف الشرع، ويتوصلون بذلك إلى دنياهم، فيجعلون لهم الحرام من المعازف، وأكل الحرام والكبر والغرور والمكوس، ويحرمون عليهم الحلال من التواضع، والتقلل وإقامة الحدود ونحوها.

قوله: «وتعلم علماؤكم». . . إلخ أي لا يتعلّمون لوجه الله ولدينهم، وإنما قصدهم في تحصيل الدنيا، ومن علامة ذلك أن أكثر رغبتهم في الفلسفيات والحكميات، فتراهم جاهلين بالسنة وشرائع الأحكام، ويعدون أنفسهم من علماء الإسلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: «اتخذتم القرآن تجارة» أي إن أعطوا أجرة على القراءة قرؤوا وإلّا لم يقرأوا.

قوله: «ضيّعتم حق الله في أموالكم» أي من الزكاة وغير ذلك من الحقوق المالية، إما بعدم إخراجها أو بالإخلال ببعض شروطها من الاستحقاق، وقدر في الواجب وغير ذلك.

قوله: «وشربتم الخمور في ناديكم» أي في مجالسكم العامة غير مختفين بل مجاهرين

بشربها، وليس هذا تكراراً مع قوله السابق: «وشربت الخمور» لأن ذاك هو الشرب لا بقيد المجاهرة، بخلاف هذا وكذا يقال في حديث الخمور في الطرق.

قوله: «ولعبتم بالميسر وضربتم بالكير الخ» قال في النهاية: (الميسر هو القمار، ومنه الحديث «الشطرنج ميسر العجم» شبه اللعب به بالميسر، وهو القمار بالقداح، وكل شيء فيه قمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز) انتهى. أي ومنه اللعب في الأعياد بالبيض ونحوه، والكير بفتحتين البطل ذو الرأسين، وقيل: الطبل الذي له وجه واحد، والمعزفة واحدة المعازف، وقد مر تفسيرها، والمزامير جمع مزمار وهو الآلة التي يزمر بها، ويقال له بالفارسية: صرناً.

قوله: «منعتم محاويجكم زكاتكم» معناه واضح.

قوله: «قتل البريء ليغيظ العامة بقتله» معناه أنهم لا يقتلون القاتل، ويقتلون بريئاً من قبيلته أو قريبه، ليغظيهم ذلك وهو جمع بين ذنبين، ترك القود، وقتل البريء.

قوله: «صار العطاء في العبيد والسقاط» سقاط الناس أرذالهم وأدانيهم فهو كقوله: وسد الأمر إلى غير أهله.

قوله: «وطفف المكاييل والموازين» التطفيف هو بخس الكيل والوزن، فهذه جملة من الأشراط من القسم الثاني، وهي كلها موجودة، وهي في التزايد يوماً فيوماً، وقد كادت تبلغ الغاية، أو قد بلغت. فنسأل الله أن يجنبنا الفتن، ويعصمنا من المحن، ويميتنا على السنن، ويغفر لنا الذنوب التي جنيناها في السر والعلن، إنه جواد كريم ذو المنن بجاه جد الحسين والحسن، آمين يا أرحم الراحمين.

خاتمة:

في سرد أحاديث تناسب المقام.

عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج [كاهجرة][1] إليَّ» رواه مسلم والترمذي وابن ماجة.

---

(١) وردت في المطبوعة «كهجرة».

وعن الزبير بن عدي قال: شكونا إلى أنس من الحجاج، فقال: اصبروا إنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي[1] بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيّكمﷺ» رواه البخاري والترمذي.

وعن ثوبان قال: قال رسول اللهﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي، لم يرفع إلى يوم القيامة» رواه أبو داود وابن ماجة.

وعن عتبة بن غزوان قال: إن من ورائكم أيام الصابر المتمسك فيه يومئذ بمثل ما أنتم عليه، له كأجر خمسين منكم» رواه الطبراني.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال النبيﷺ: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا وكانوا [كذلك][2]، وشبَّك بين أصابعه، قال: فيم تأمرني؟ قال: الزم بيتك واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»، رواه أبو داود والنسائي.

وهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديم**﴾[3] وعن أبي موسى نحوه، وفي آخره قالوا: بمَ تأمرنا؟ قال: «كونوا أجلاس بيوتكم» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد، لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله، فجاهد عليه بلسانه وبقلبه، فذلك الذي سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدق به» رواه أبو نصر السجزي وأبو نعيم.

وعن حذيفة قال: قلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: صفهم لنا؟ قال: «هم من

---

(١) وردت في المخطوطة «إلا الذي».

(٢) وردت في المطبوعة «كهذا» وهو تصحيف.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» وفي رواية عنه: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنّون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع [الأمير][1]، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك» رواه مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال له رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة، وشبَّك بين أصابعه» قال: ما تأمرني يا رسول الله؟ قال: «اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم، وخالقوهم في أعمالهم»، رواه الحاكم والبيهقي في الزهد.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقربوا الفتنة إذا حميت، ولا تعرضوا لها إذا عرضت، واضربوا أهلها إذا أقبلت».

عن خالد بن عرفطة أن النبي ﷺ قال له: «يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فإن استطعت أن تكون عبداً لله المقتول لا القاتل فافعل». رواه أحمد وابن أبي شيبة ونعيم بن حماد والطبراني والبغوي والباوردي وابن قانع وأبو نعيم والحاكم.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان شرطة، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم».

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا» رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول كل عشية [خميس][2] لأصحابه: سيأتي على الناس زمان تمات فيه الصلاة، ويشرف فيه البنيان، ويكثر فيه الحلف والتلاعن،

(١) وردت في المطبوعة «الأمر» وهو تصحيف.
(٢) وردت في المطبوعة «خميس» والصواب ما أثبته.

ويفشو فيه الرشا والزنا، وتباع الآخرة بالدنيا، فإذا رأيت ذلك فالنجا النجا، قيل: وكيف النجا؟ قال: كن حلساً من أحلاس بيتك، وكف لسانك ويدك. رواه ابن أبي الدنيا.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي، إلا كان له من أمته [حواريون][1] وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون به، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد قال: قال ﷺ: «من أكل طيباً، وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه، دخل الجنة» فقال رجل: يا رسول الله إن هذا اليوم لكثير في الناس، قال: «وسيكون في قرون بعدي» رواه الترمذي.

وعن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إن قدرت على أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد، فافعل»، ثم قال: «يا بني وذلك من سنتي، ومن أحب سنتي، فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» رواه الترمذي.

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من تمسَّك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد». رواه البيهي.

وعن أبي هريرة: «المتسمك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد» رواه الطبراني في الأوسط.

---

(١) وردت في المطبوعة «حوارين» والصواب ما أثبته.

الباب الثالث

في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة

وهي أيضاً كثيرة:

فمنها المهدي

وهو أولها، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها، لا تكاد تنحصر. فقد قال محمد بن الحسن الأسنوي في كتاب «مناقب الشافعي»: قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وإنه من أهل بيته ﷺ. انتهى.

وستأتي الإشارة إليها إجمالاً، ولو تعرضنا لتفصيلها طال الكتاب، وخرج عن موضوعه، ولكن نقتصر على حاصل الجمع بين الروايات من غير تعرض لمخرجها ومخرجيها، والكلام فيه يأتي في مقامات:

المقام الأول: في اسمه ونسبه ومولده ومبايعه ومهاجره وحليته وسيرته:

أما اسمه: ففي أكثر الروايات أنه محمد، وفي بعضها أنه أحمد، واسم أبيه عبدالله، فقد ورد بل صح عنه ﷺ، كما عند أبي داود والترمذي وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «يواطىء أي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه [اسم أبي»][1]، وتعسف بعض الشيعة، فقالوا: إن هذا تحريف، والصواب اسم أبيه اسم ابني بالنون، يعني الحسن أو أن المراد بأبيه جده يعني الحسين، والمراد باسمه كنيته، فإن كنيته الحسين أبو عبدالله، فمعناه أن كنية جده الحسين توافق اسم والد النبي ﷺ،

(١) ساقطة من المطبوعة.

وذلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن العسكري، وهو باطل من وجوه، أما أولاً فلهذه التعسفات، وأما ثانياً فلأن محمد بن الحسن، هذا مات، وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن، وأما ثالثاً فلأن المهدي يبايع، وهو ابن أربعين سنة أو أقل، ولو كان هو لزاد عن سبعمائة سنة، وأما رابعاً فلأن مولد المهدي المدينة بخلافه، وأما خامساً فلأن رواية ابن المنادي عن عليّ عليه السلام[1]: فيجيء الله بالمهدي محمد بن عبدالله، بل وكثير من الأحاديث صريحة في ردّ ما قالوه، ووجوه أخر لا نطيل الكلام بذكرها.

تنبيه:

وقع للشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب «اليواقيت والجواهر» أنه مشى على هذا القول: ونسبه للفتوحات المكية، وسيأتي كلام الفتوحات وليس فيه ذلك، بل الذي فيه هو أن المهدي من أولاد فاطمة، ولا شك أن العسكري من أولاد الحسين، فما في الفتوحات أعم مما نسب إليها، والظاهر أن هذا مدسوس على الشعراني، ويؤيده أنه في حياته لم يحرر الكتاب المذكور، وأنه قال فيه: لا أحل لأحد أن يروي عني هذا الكتاب، حتى يعرضه على علماء المسلمين، ويجيزوا ما فيه، وقد وقع فيما خاف منه، فدسَّ عليه مذهب الشيعة، ومما دسَّ عليه في طبقاته أنه قال في ترجمة الحسين بن علي: إن العقب منه فقط لا من أخيه الحسن، وهذا أيضاً من دسائس الرافضة، وإلا فكيف ينكر الشعراني نسب الحسن، وهو أظهر من أن يشهر، وأكثر من أن يحصر، ومنهم الأعاظم كأئمة اليمن، وملوك الحجاز، وملوك الغرب، وأئمة طبرستان القدماء كالداعي الكبير، وكتب النسب طافحة بأنسابهم «كعمدة الطالب» وغيرها.

وأئمة علم الأنساب مجمعون على إثبات نسبه، لم يختلف فيه منهم اثنان، ثم كيف يجوز أن ينسب ذلك إلى الشعراني وهو مصري، وأجلاء بني حسن كانوا بمصر كبني طباطبا وغيرهم، فليتنبه لذلك فإنه زلّة وبالله التوفيق.

ولقبه المهدي لأن الله هداه للحق، والجابر لأنه يجبر قلوب أمة محمدﷺ، أو لأنه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين، ويقصمهم.

---

(١) وردت في المخطوطة «رضي الله عنه»

وكنيته أبو عبدالله، وفي «الشفاء» للقاضي عياض رحمه الله: أن كنيته أبو القاسم، وأنه جمع له بين كنية النبيﷺ واسمه، ولم يذكر له سنداً سلام الله عليه[1].

وأما نسبه فإنه من أهل بيت النبيﷺ، ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة، إنه مس ولد فاطمة عليها السلام، وجاء في بعضها أنه من ولد العباس رضي الله عنه، ثم اختلفت الروايات في ولدي فاطمة، ففي بعضها أنه من أولاد الحسن، وفي بعضها أنه من أولاد الحسين، ووجه الجمع بينهما أن ولادته العظمى من الحسين أو من الحسن، وللآخر فيه ولادة من جهة بعض أمهاته، وكذلك للعباس فيه ولادة أيضاً، على أن في أولاد العباس كان من تسمى بالمهدي، وجاءتهم الرايات السود من خراسان، كما تجيء للمهدي، وكان قبله المنصور، كما يكون قبل المهدي المنصور.

وأما مولده: فإنه يولد بالمدينة. رواه نعيم بن حماد عن أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهه.

[وفي التذكرة للقرطبي: أن مولده ببلاد المغرب، وإنه يأتي من هناك، ويجوز على البحر كما سيأتي نقله][2].

وأما مبايعته فإنه يبايع بمكة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء، كما يأتي.

وأما مهاجره فإنه يهاجر إلى بيت المقدس وإن المدينة تخرب بعد هجرته، وتصير مأوى للوحوش، فقد ورد عمران بيت المقدس خراب يثرب.

وأما حليته فإنه آدم، ضرب من الرجال، ربعة، أجلى الجبهة، أقنى الأنف أشمه، أزج، أباج، أعين، أكحل العينين، براق الثنايا أفرقها، في خده الأيمن خال أسود يضيء وجهه كأنه كوكب درّي، كثّ اللحية، في كتفه علامة للنبيﷺ، أذيل الفخذين، لونه لون عربي [وجسمه جسم إسرائيلي][3]، في لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة، وفى رواية: ما بين ثلاثين إلى

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

أربعين، خاشع لله خشوع النسر بجناحيه، عليه عبايتان قطوانيتان، يشبه النبيﷺ في الخُلُق أي بالضم لا في الخَلْق، أي بالفتح.

ولنذكر تفسير بعض كلماته قوله: «آدم» هو الأسمر شديد السمرة، أو هو الذي لونه لون الأرض وبه سمّي آدم عليه السلام. قوله: «ضرب من الرجال» هو الخفيف اللحم المشوق المستدق. قوله: «ربعة» هو بين الطويل والقصير. قوله: «أجلى الجبهة»: هو الخفيف شعر النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته. قوله: «أقنى الأنف» القنا في الأنف طوله ودقة أرنبته، يقال: رجل أقنى وامرأة قنواء. قوله: «أشمه» يقال فلان أشمّ الأنف إذا كان عرنينه رفيعاً. قوله: «أزج أبلج [الزّج][1] تقويس في الحاجب مع طول في طرفه، وامتداد، وفلان أزج حاجبه كذلك، والأبج هو المشرق اللون مسفره، والأبلج أيضاً هو الذي وضح ما بين حاجبيه فلم يقترنا، والاسم البلج بفتح اللام قوله: «أعين، أكحل العينين» الأعين الواسع العين والمرأة العيناء، والجمع عين ومنه قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[2] والكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة من غير اكتحال، والرجل أكحل والمرأة كحلاء. قوله: «براق الثنايا أفرقها» أي لها [بريق][3] ولمعان من شدة بياضها، وأفرقها [أي ثناياه][4] متباعدة ليست متلاصقة، قوله: «أذيل الفخذين» أي منفرج الفخذين متباعدهما، قوله: «عبايتان قطوانيتان» القطوانية قال في النهاية: عباءة بيضاء قصيرة الخمل، والنون زائدة يقال كساء قطواني وعباءة قطوانية.

وأما سيرته فإنّه يعمل بسنّة النبيﷺ لا يوقظ نائماً، ولا يهرق دماً، يقاتل على السنّة، لا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان، كما قام به النبيﷺ أوله، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، يرد إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحثو المال حثياً ولا يعده عداً يقسم المال صحاحاً بالسّوية، يرضى عنه

---

(١) وردت في المطبوعة «الزجج» وهو تحريف.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٢٢.

(٣) وردت في المطبوعة «فريق» وهو تصحيف.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

ساكن السماء وساكن الأرض، والطير في الجو والوحش في القفر والحيتان في البحر، يملأ قلوب أمة محمد غنى حتى أنه يأمر منادياً ينادي ألا من له حاجة في المال، فلا يأتيه إلاّ رجل واحد فيقول: أنا، فيقول: ائت السادن، [يعني][1] الخازن، فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمدﷺ، أي أحرصهم والجشع أشد الحرص، ويقول: أعجز عما وسعهم قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه. تنعم الأمة برها وفاجرها في زمنه [نعمة][2]، لم يسمع بمثلها قط ترسل السماء عليهم مدراراً، لا تدخر شيئاً من قطرها، تؤتي الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئاً، من بزرها تجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز، ويفتح المداين ما بين الخافقين، يؤتى إليه بملوك الهند مغلغلين، وتجعل خزائنهم حلياً لبيت المقدس، يأوي إليه الناس، كما تأوي النحل إلى يعسوبها، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته، ترعى الشاة والذئب في زمنه في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيّات والعقارب، لا تضرهم شيئاً، ويزرع الإنسان مُدّاً يخرج له سبعمائة مدّ، ويرفع الربا والوبا، والزنا، وشرب الخمر، وتطول الأعمار، وتؤدى الأمانة، وتهلك الأشرار، ولا يبقى من يبغض آل محمدﷺ. محبوب في الخلائق، يطفي الله به الفتنة العمياء، وتأمن الأرض حتى إن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل، لا يخفن شيئاً إلا الله مكتوب في أسفار الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عيب.

قال الفقيه ابن حجر في: «القول المختصر في علامات المهدي المنتظَر»: ولا ينافي هذا أن عيسى يفعل بعض ما ذكر من قتل الخنزير، وكسر الصليب إذ لا مانع أن كلاً منهما يفعله، أقول: ويحتمل أن يكون الزمان واحداً، وينسب إلى كل منهما باعتبار كما سيأتي.

المقام الثاني: في العلامات التي يعرف بها، والأمارات الدالة على قرب خروجه عليه السلام.

---

(١) وردت في المطبوعة «يعسي» وهو تحريف.

(٢) وردت في المطبوعة «نسمة» وهو تحريف.

أما العلامات: فمنها أن معه قميص رسول الله ﷺ، وسيفه ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء، فيها حجر لم تنشر منذ توفي ﷺ، ولا تنشر حتى يخرج المهدي مكتوب على رايته البيعة لله.

ومنها أن على رأسه عمامة فيها منادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه، وتخرج منها يد تشير نحو المهدي بالبيعة.

ومنها أنه يغرس قضيباً يابساً في أرضٍ يابسة فيخضر، ويورق.

ومنها أنه يطلب منه آية فيومىء بيده إلى طير في الهواء، فيسقط على يده.

ومنها أنه يخسف جيش يقصدونه بالبيداء بين المدينة ومكة، كما سيأتي.

ومنها أنه ينادي منادٍ من السماء: أيُّها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم، وولاكم خير أمة محمد ﷺ، فالحقوا بمكة فإنه المهدي، واسمه أحمد بن عبدالله، وفي رواية: وولّاكم الجابر خير أمة محمد الحقوه بمكة، فإنه المهدي واسمه محمد بن عبدالله.

ومنها أن الأرض تخرج أفلاذ كبدها مثل الأسطوانات من الذهب.

ومنها غنى قلوب الناس، وكثرة بركات الأرض، كما مرَّ في سيرته عليه السلام.

ومنها أنه يخرج كنز الكعبة المدفون فيها، فيقسمه في سبيل الله تعالى. رواه نعيم عن عليّ كَرَّم الله وجهه.

ومنها أنه يستخرج تابوت السكينة من غار إنطاكية، أو من بحيرة طبرية، فيخرج حتى يحمل، فيوضع بين يديه ببيت المقدس، فإذا نظر إليه اليهود أسلموا إلا قليلاً منهم.

ومنها أنه ينفلق له البحر، كما انفلق لبني إسرائيل، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومنها أنه تأتي الرايات السود من خراسان، فيرسلون إليه بالبيعة.

ومنها أنه يجتمع بعيسى بن مريم عليهما السلام، ويصلي عيسى خلفه.

ومنها ما مرّ في حليته من علامة النبي، وثقل اللسان وغير ذلك.

وأما الأمارات الدَّالة على قرب خروجه:

فمنها أنه [ينشق][1] الفرات، فينحسر عن جبل من ذهب.

ومنها أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان، والشمس ليلة النصف منه، وهذان لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض.

ومنها خسوف القمر مرتين في شهر رمضان، وهذا لا ينافي الأوّل كما هو واضح.

ومنها طلوع القرن ذي السنين.

ومنها طلوع نجم له ذنب يضيء.

ومنها ظهور نار عظيمة من قبل المشرق ثلاث ليال أو سبع ليال.

ومنها ظهور ظلمة في السماء.

ومنها حمرة تظهر[2] في السماء، وتنشر في أفقها ليست كحمرة الأفق.

ومنها نداء يعمُّ جميع أهل الأرض، ويسمع أهل كلّ لغة بلغتهم[3].

ومنها خسف قرية بالشام يقال لها «حرستا»[4].

ومنها مناد[4] ينادي من السماء باسم المهدي، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، حتى لا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه. وهذا غير الصوت الذي بعد خروجه كما مرّ.

ومنها عصابة في شوال ثم معمعة في ذي القعدة، ثم حرب في ذي الحجة، ونهب الحاج وقتلهم حتى تسيل الدماء على جمرة العقبة، وبعض هذه المذكورات من نجم ذي

---

(١) وردت في المخطوطة «يشف» والصواب ما أثبت.

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

ذنب والحمرة والسواد قد وقع، والمعمعة صوت [القتال][1] واليوم الشديد الحر، والمراد منها الفتن.

ومنها أنه يكون اختلاف وزلازل كثيرة.

ومنها أنه ينادي منادٍ من السماء ألا إن الحق في آل محمد، وينادي منادٍ في الأرض ألا إن الحق في آل عيسى وآل العباس، وإن الأول نداء الملك، وإن الثاني نداء الشيطان، وما يأتي مما نذكره من الفتن الواقعة قبل ظهوره.

المقام الثالث: في الفتن الواقعة قبل خروجه:

ولنسقها مساقاً واحداً تقريباً إلى فهم العوام المقصودين بهذه الرسالة، وتكميلاً للفائدة، فنقول من الفتن التي قبله: أنه ينحسر الفرات عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، واجتمع ثلاثة كلهم ابن خليفة، يقتَتلون عنده، ثم لا يصير إلى واحد منهم، فيقول من عنده: والله لئن تركت الناس يأخذون منه، ليذهبن بكليته، فيقتتلون عليه حتى يقتل مائة تسعة وتسعون.

وفي رواية: فيقتل تسعة أعشارهم.

وفي رواية: من كل تسعة سبعة فيقول رجل [كلّ][2] لعلّي: أكون أنا أنجو.

وفي الصحيحين وغيرهما، قال ﷺ: «فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً».

ومنها خروج السفياني والأبقع والأصهب والأعرج الكندي، أما السفياني، فعن أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهه، أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، ويزيد هذا هو أخو معاوية ابن أبي سفيان صحابي، أسلم مع أبيه وأخيه يوم الفتح، مات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، والسفياني من ولده وهو رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار الجدري، بعينه نكتة بيضاء، هكذا ورد في حليته عن علي، وأنه يخرج من ناحية مدينة[3] دمشق في واد يقال له: «وادي اليابس» يؤتى في منامه فيقال له: قم فاخرج،

---

(١) وردت في المطبوعة «الحرب».

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

فيقوم فلا يجد أحداً، ثم يؤتى الثانية فيقال له: مثل ذلك، ثم يقال له في الثالثة: قم فاخرج فانظر إلى باب دارك، فينحدر في الثالثة إلى باب داره، فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة معهم لواء، فيقولون: نحن أصحابك مع رجل منهم لواء معقود، لا يعرفون في لوائه النصر، يستفرش يديه على ثلاثين ميلاً لا يرى ذلك العلم أحد إلا انهزم، فيخرج فيهم، ويتبعهم ناس من قريات الوادي، وبيد السفياني ثلاث قضبان، لا يقرع بها أحداً إلا مات، فيسمع به الناس، فيخرج صاحب دمشق فيلقاه ليقاتله، فإذا نظر إلى رايته انهزم، فيدخل السفياني في ثلاثمائة وستين راكباً دمشق، وما يمضي عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفاً من كلب، وهم أخواله. وعلامة خروجه أنه يخسف بقرية من قرى دمشق، ولعلها «حرستا» ويسقط الجانب الغربي من مسجدها، ثم يخرج [الأبقع][1] والأصهب فيخرج السفياني من الشام، والأبقع من مصر، والأصهب من الجزيرة، أي جزيرة العرب، لا جزيرة ابن عمر، فإنها داخلة في جزيرة العرب، ويخرج الأعرج الكندي بالمغرب، ويدوم القتال بينهم سنة، ويغلب السفياني على الأبقع والأصهب، ويسير صاحب المغرب، فيقتل الرجال، ويسبي النساء، ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني على قيس، فيظهر السفياني على قيس، ويحوز ما جمعوا من الأموال، ويظهر على الرايات الثلاث.

تنبيه:

الأبقع والأصهب والأعرج المنصور والحارث والمهدي صفات وألقاب لا أسماء لهم، فليعلم، ثم يقاتل [الترك][2] والروم بقرقيسيا، فيظهر عليهم، ويفسد في الأرض، فتبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، ويهرب رجال من قريش إلى قسطنطينية، فيبعث إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في المجامع، فيبعث بهم إليه، فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فيرجع إليهم، ويقتل طائفة منهم، فينهزمون حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلبهم كالليل والسيل، فلا تمر بشيء إلا أهلكته، وهدمته فيهدم الحصون، ويخرب القلاع، حتى يدخل

---

(١) وردت في المطبوعة «ألا نقع» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «البرك» وهو تحريف.

الزوراء، وهي «بغداد»، فيقتل من أهلها مائة ألف، ثم يسير إلى الكوفة، فيقتل من أهلها ستين ألفاً، ويسبي النساء والذراري، ويبث جوره في البلاد، فتبلغ علامة المشرق من أرض خراسان، ويطلبون أهل خراسان في كل وجه، ويبعث بعثاً إلى المدينة، فيأخذون من قدروا عليه من آل محمدﷺ، ويقتلون من بني هاشم رجالاً ونساءً، ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة، وتفرّق بقيتهم في البراري فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض، وفي رواية: والمنصور إلى مكة في سبعة [أنفس][1]، ويستخفون هناك، فيرسلُ صاحب المدينة إلى صاحب مكة إذا قدم عليكم فلان وفلان يكتب أسماءهم، فيعظم ذلك صاحب مكة، ثم يتآمرون بينهم، فيأتونه ليلاً، ويستجيرون به فيقول: اخرجوا آمنين، فيخرجون، ثم يبعث إلى رجلين فيقتل أحدهما، والآخر ينظر إليه، ويقتلون النفس الزكية بين الركن والمقام، فعند ذلك يغضب الله، ويغضب أهل السموات، ثم يرجع الآخر إلى أصحابه [فيخبرهم][2] فيخرجون حتى ينزلوا جبلاً من جبال الطائف، فيقيمون فيه، ويبعثون إلى الناس، فينثاب إليهم ناس، فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة، فيهزمون أهل مكة، ويدخلونهم مكة، ويقتلون أميرهم، ويكونون بمكة إلى خروج المهدي.

تنبيه:

ورد عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام، أنه قال لصاحب هذا الأمر يعني المهدي عليه السلام: غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره، وهاتان الغيبتان ـ والله أعلم ـ ما مرَّ آنفاً أنه يختفي بجبال الطائف، ثم ينساب إليه ناس، ويظهر معهم، ويهزم أهل مكة، ثم أنه يختفي بجبال [مكة][3]، ولا يطلع عليه أحد، ويؤيد ما روي عن أبي جعفر محمدٌ بن عليّ الباقر، أنه قال: يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب، وأومأ بيده إلى ناحية ذي طوى، ويلائمه قول أبي عبدالله الحسين المار: حتى يقول بعضهم مات، الخ، لأن الاختفاء بعد الظهور هو الذي يظن

---

(١) وردت في المطبوعة «نفر».

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

فيه الموت، وأما ما ذهب إليه الإمامية الشيعة من أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه غاب ثم ظهر لبعض خواص شيعته، ثم غاب ثانياً، وأنه يراه خواص شيعته، فيرده أن الظهور لبعض الخواص، لا يسمى ظهوراً. وقوله، وفي رواية الحسين: لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، فإن هذا ينافي قولهم: يعرفه خواص شيعته وكونه بناحية ذي طوى. لأنهم يقولون غاب بسرداب بِسرّ مَنْ رَأى[1]، والله أعلم، ويحج الناس في هذه السنة أعني سنة خروجه من غير أمير، فيطوفون جميعاً فإذا نزلوا منى أخذ الناس كالكلب. فيثور القبائل بعضهم على بعض، فيقتلون وينهب الحاج، وتسيل الدماء، على جمرة العقبة، ويأتي سبعة رجال علماء من آفاق شتى على غير ميعاد، وقد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه الفتن، ويفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه.

[تنبيه:

لم أقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع، فعلهم يعرفون اسمها من طريق الكشف لا من طريق النقل، والله أعلم][2]، فيتفق السبعة على ذلك، فيطلبونه بمكة فيقولون: أنت ابن فلان يقول: بل أنا رجل من الأنصار، فينفلت منهم فيصفونه لأهل [الخبرة][3] فيه والمعرفة به، فيقولون هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة، فيخالفهم إلى مكة، وهكذا إلى ثلاث مرات، ويسمع صاحب المدينة بطلب الناس للمهدي، فيجهز جيشاً في طلب الهاشميين بمكة، ويأتي أولئك السبعة فيصيبونه بالثالثة بمكة عند الركن، ويقولون: إثمنا عليك، ودماؤنا في عنقك، إن لم تمدَّ يدك نبايعك هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا، عليهم رجل من حزم، ويهددونه بالقتل إن لم يفعل، فيجلس بين الركن والمقام ويمدُّ يده فيبايع، فيظهر عند صلاة العشاء مع راية رسول الله ﷺ، وقميصه وسيفه، فإذا صلى العشاء أتى المقام،

---

(١) أي سامراء.

(٢) ساقط من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «الخيرة» وهو تصحيف.

فصلى ركعتين، وصعد المنبر، ونادى بأعلى صوته: أذكِّركم الله أيها الناس ومقامكم بين يديّ ربكم، ويخطب خطبة طويلة، يرغّبهم فيها في إحياء السنن، وإماتة البدع، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر، وعدد أصحاب طالوت حين جاوزوا معه النهر من إبدال الشام، وعصائب أهل العراق، ونجائب مصر على غير ميعاد فزعاً كفزع الخريف، رهبان بالليل، أسد بالنهار، ويأتيهم جيش صاحب المدينة، فيقاتلونه فيهزمونهم، ويتبعونهم حتى [يدخلونهم][1] المدينة، ويستنقذونها من أيديهم.

تنبيه:

لا يشكّل إتيانهم المدينة مرتين أو ثلاثاً مع وقوع البيعة ليلة عاشوراء، وإن المدة بعد انقضاء المناسك إلى ليلة عاشوراء قريب من عشرين يوماً أو خمس وعشرين يوماً، ومسافة ما بين الحرمين عشر مراحل، أو أكثر بالسيرالمعتاد، مع ما يتخلل ذلك من طلبهم له في كل من الحرمين في كل مرة إذ يمكن الإتيان على الركاب في خمسة أيام، فيمكن تكرره في خمس وعشرين على أنهم كلّهم أولياء، فيمكن أن تطوى لهم الأرض، أو يكونوا من أصحاب الخطوات، والله أعلم، ويبلغ السفياني خروجه، فيبعث إليهم بعثاً من الكوفة، فيأتون المدينة، فيستبيحونها ثلاثاً، ويقتلون قتلاً [في][2] الحرة عنده كضربة سوط، ويقصدون المهدي، فإذا خرجوا من المدينة، وكانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج أوسطهم فلا ينجو [منهم][3] إلا نذير إلى السفياني، وبشير إلى المهدي، فلمّا سمع المهدي بذلك قال: هذا أوان الخروج فيخرج، ويمر بالمدينة، فيستنقذ من كان أسيراً من بني هاشم، وتفتح له أرض الحجاز كلّها. [لنرجع][4] إلى حكاية أهل خراسان، ثم يخرج رجل من وراء النهر يقال له: «الحارث» وحراث، على مقدمته رجل يقال له: «المنصور» يمكّن لآل محمد، كما مكّنت قريش لمحمّدﷺ، وجب على كل مؤمن نصره، فهذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمي الآتي

---

(١) وردت في المطبوعة «يدخلون».

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) وردت في المطبوعة «لترجع».

ذكره، ويلقب بالحارث كما يلقب المهدي بالجابر، ويحتمل أن يكون غيره، ويثور أهل خراسان بعسكر السفياني، ويكون بينهم وقعات: وقعة بتونس، ووقعة بدولاب الرّي، ووقعة بتخوم الزرنيخ، فإذا طال عليهم قتالهم إياه، بايعوا رجلاً من بني هاشم بكفه اليمنى خال سهّل الله أمره وطريقه هو أخو المهدي من أبيه، أو ابن عمه وهو [حينئذ][(1)] بآخر المشرق، فيخرج بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار، وهذه غير رايات بني عباس على مقدمته رجل من تميم من الموالي، ربعة أصفر، قليل اللحية، كوسج واسمه شعيب بن صالح التميمي، ويخرج إليه في خمسة آلاف، فإذا بلغه خروجه شايعه وصيّره على مقدمته، لو استقبلته الجبال الرواسي لهدّها، يمهّد الأمر للمهدي، كما مهّدت قريش للنبيّ ﷺ.

وعنه ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم برايات سوداء أقبلت من خراسان، فأتوها ولو حبوا على الثلج».

وعن أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه: لو كنت في صندوق مقفل، فاكسر ذلك القفل والصندوق، والحق بها، وفي رواية: فإن فيها خليفة الله المهدي، أي فيها نصره وإلا فهو حينئذ بمكة، كما مر فيلتقي هو وخيل السفياني، فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء اصطخر، حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها، ثم يأتيه جنود من قبل سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدي، فيظهر الله أنصاره وجنوده.

[تنبيه:

هكذا الرواية، وهذه الجنود يحتمل أن تكون مدداً للهاشمي، فالمعنى فيظهر الله أنصاره بهم، وأن تكون جاءت لمحاربته فالمعنى يظهر الله أنصاره عليهم، والله أعلم][(2)] ثم يكون وقعة بالمدائن بعد وقعة الرّي، وفي عاقر قوقا وقعة صلبة يخبر عنها كلّ ناجٍ، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، هكذا أطلق في الحديث، ولعله ماء دجلة، فيبلغ من في الكوفة من أصحاب السفياني نزولهم هناك، فيهربون ثم

---

(1) ساقطة من المخطوطة.

(2) ساقطة من المخطوطة.

[ينزلون][1] الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ثم يخرج قوم من سواد الكوفة، يقال لهم: «العَضب»، وليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا أصحاب السفياني، فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بيعتهم إلى المهدي، ويقبل المهدي من الحجاز، والسفياني من الكوفة، بعد أن يبلغه خبر خسف جيشه، ولا يهوله ذلك إلى الشام كأنهما فرسا رهان، فيسبه الصخري، فيقطع بعثاً آخر من الشام إلى المهدي، فيدركون المهدي بأرض الحجاز، فيبايعونه بيعة المهدي، ويقبلون معه إلى الشام.

تنبيه:

في بعض الروايات أن الجيش الذي يخسف بهم، يبعث من الشام، وفي بعضها من العراق، ولا منافاة كما قال ابن حجر: لأن البعث من العراق، لكنهم لما كانوا من أهل الشام نسبوا إليها، في الروايات الأخرى.

وفي رواية: أن المهدي يقاتل هذا الجيش الثاني في عدد أهل بدر، وأصحاب المهدي يومئذ جنتهم البرادع، فيسمع يومئذ صوت من السماء ألا إن أولياء الله أصحاب فلان، يعني المهدي، فتكون الدبرة على أصحاب السفياني، فيقتلون لا يبقى منهم إلا الشريد، فيهربون إلى السفياني، فيخبرونه، ويمكن الجمع بأن بعضهم يبايعه، وبعضهم يقاتله فينهزمون، أو أن الذين يقاتلونه [هم][2] الذين يبعثهم صاحب المدينة الأمير من قبل السفياني إلى مكة، كما مرّت الإشارة إليه، ويؤيده أنه يقاتلهم في عدد أهل بدر، وأن جنتهم يومئذ البرادع، فإن هذه الصفات تناسب حالهم عند ابتداء البيعة، وأما بعد الاستيلاء على أرض الحجاز فعسكره كثير والله أعلم، ثم أن السفياني يفسد في الأرض، ويظهرالكفر حتى أنه يطاف بالمرأة، وتجامع نهاراً في مسجد دمشق على مجلس شرب، حتى تأتي فخذ السفياني فتجلس عليه، وهو في المحراب قاعد، فيقوم إليه رجل مسلم من المسلمين [فيقول][3]: ويحكم أكفرتم بعد إيمانكم، إن هذا

(١) وردت في المطبوعة «ينزل» وهو تحريف.
(٢) وردت في المطبوعة «ثم» وهو تصحيف.
(٣) وردت في المطبوعة «فيقولون» وهو تصحيف.

لا يحلّ فيقوم إليه فيضرب عنقه في المسجد، ويقتل كل من شايعه، فعند ذلك ينادي منادٍ من السماء أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم، وولاّكم خير أمة محمدﷺ، فالحقوا بمكة فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبدالله، ويسير المهدي بالجيوش حتى يصير ببوادي القرى، وهو عن المدينة على مرحلتين إلى جهة الشام في هدوء ورفق، ويلحقه هناك ابن عمه الحسني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: يا بن عم أنا أحق بهذا [الجيش][1] منك أنا الحسن، وأنا المهدي فيقول له المهدي: بل أنا المهدي فيقول [له][2] الحسن: هل لك من آية فأبايعك؟ فيومىء المهدي عليه السلام إلى الطير، فيسقط على يديه، ويغرس قضيباً يابساً في بقعة من الأرض، فيخضرّ ويورق فيقول الحسن: يا بن عم هي لك.

تنبيه:

في هذا الحديث فائدة وإشكال، أمّا الفائدة فإنها تدلّ على أن المهدي من أولاد الحسين، وأن ابن عمه هذا حسني، وأنه يظن أن الخلافة في بني الحسن حيث يقول: أنا ابن الحسن ومستنده في هذه الدعوى [والله أعلم][3] أمران: أحدهما أن الحسن استخلف فيكون أولاده أحق بها، والثاني أنه نزل عنها حقناً لدماء المسلمين، فعوضه الله الخلافة في أولاده. وكلا الأمرين معارض، أما الأول: فلأن بيعة الحسني كانت من بعض الناس، وهم أهل العراق والمشرق واليمن، دون أهل الشام والمغرب ومصر، وقد بايع بعضهم للحسين أيضاً وأمّا الثاني: فلأن الحسن قد فوّت حقه بعدما ناله، وأمّا الحسين فلم ينل ما أراد فحقه باق، فأعطاه الله في أولاده، وأمّا الإشكال فهو أن هذا الحسني إن كان الذي قدم بالرايات السود، فقد مرّ أنه بعث بالبيعة من الكوفة، وأنه لا يقدم الحجاز، وإنما يلقاه ببيت المقدس، وإن كان غيره فكيف ينازعه بعد أن بايعه أهل الحجاز كلها، وبايعه أهل المشرق والعراق، والجواب أنه إن قلنا أن القادم بالرايات أخوه، كما في بعض الروايات، فهذا غيره وحينئذ فوجّه دعواه أن البيعة للمهدي [من أهل البيت كائناً من كان][4]، فهي بيعة للمتصف بهذا الوصف لا لشخص بعينه،

---

(١) وردت في المطبوعة «الأمر».

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

فيدّعي أن البيعة له لأنه المهدي لا لأنه ينازعه في الخلافة، فإذا ظهر له أنه ليس بمهدي بايعه، وإن قلنا إنه ابن عمه فإن كان غير هذا الحسن فالجواب ما مرّ، وإن كان هو فمعنى ملاقاته أنه يرسل إليه جماعة اثني عشر ألفاً إمداداً واحتياطاً أن لا يكون هو المهدي فينازعوه على الخلافة، ويؤمر عليهم واحداً، ويأمره بأن يمتحنه، ويوكله في البيعة فيقول له: إن كان هو المهدي فبايعه عني، وإن كنت أنا المهدي فخذ لي منه البيعة، فيكون بعث البيعة على التردد، فلما بايعوه صح أن يقال: بعثوا له بالبيعة، وأن يقال لقيه مجازاً هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله أعلم.

فيقبل المهدي حتى إذا انتهى إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز، فيقيم بها. ويقال له: أنفذ فيكره المجاز، ويقول: أنا أكتب إلى ابن عمي، يعني الصخري فإن خلع طاعتي، فأنا صاحبكم فإذا أتاه كتاب المهدي، قال أصحابه: إن هذا المهدي قد ظهر لتبايعنه، أو لنقتلنك فيبايعه، ويسير إليه حتى ينزل بيت المقدس، ولا يترك المهدي بيد رجل من أهل الشام فِتراً من الأرض إلا ردّها إلى أهل الذمة، وردَّ المسلمين جميعاً إلى الجهاد، ثم يخرج رجل من كلب، يقال له: «كنانة» بعينه كوكب في رهط[1] من قومه، حتى يأتي الصخري فيقول: بايعناك ونصرناك، حتى إذا ملكت بايعت هذا الرجل، ويعيرونه فيقولون: كساك الله قميصاً فخلعته فيقول: ما ترون أنقض العهد، فيقولون: نعم، فيقاتلن ولا يبقي عامرية أمها أكبر منك، إلا لحقتك لا يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف، [فيرتحل][2] وترحل معه عامر بأسرها، وفي رواية: أنه ينقض العهد، ويستقيله البيعة بعد مضي ثلاث سنين من بيعته إياه، ويوجه إليهم المهدي راية وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها، فإذا تسامت الخيلان ولّت كلب أدبارها، فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم، ويؤخذ الصخري [أي السفياني][3] فيؤتى به أسيراً إلى المهدي فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة، التي ببطن الوادي على طرف درج «طور ريتا» المقنطرة التي على الوادي، كما يذبح الشاة، قالﷺ: «الخائب من خاب

---

(١) قال الفيومي: «الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة» مادة [رهط].

(٢) وردت في المخطوطة «فيرحل».

(٣) ساقطة من المخطوطة.

يومئذ [من][1] غنيمة كلب ولو بعقال». قيل: يا رسول الله كيف يغنمون أموالهم ويسبون ذراريهم وهم مسلمون؟ قال ﷺ: «يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا، ويأتي الهاشمي بالرايات السود، وسيفه على عاتقه ثمانية أشهر».

وفي رواية: «ثمانية عشر شهراً، يقتل ويمثل حتى يقول الناس: معاذ الله أن يكون هذا من ولد فاطمة، ولو كان لرحمنا يغريه الله ببني عباس وبني أمية، فتكون لهم وقعة بأرض من أرض نصيبين ووقعة بحرّان، وشعارهم أمت أمت».

وفي رواية: بكش بكش والمعنى واحد حتى يسلمونها إلى المهدي.

تنبيه:

في بعض الروايات يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، وفي بعضها ثمانية عشر شهراً، وفي رواية اثنين وسبعين شهراً، وهي مدة ست سنين، وفي بعض الروايات إلى المهدي ببيت المقدس، وفي رواية: فلا يبلغه حتى يموت، وفي رواية: فتلتقي بعض رايات الهاشمي مع خيل السفياني، فيكون بينهم مقتلة عظيمة، ويهزم خيل السفياني، ثم تكون الغلبة للسفياني، فيهرب الهاشمي، ويأتي التميمي مستخفياً إلى بيت المقدس، يمهّد للمهدي إذا خرج من الشام.

وطريق الجمع بين الروايات الأول أن اثنين وسبعين باعتبار جميع مدته، ويدل له ما في بعض الروايات، أن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، [فيقاتلون فينصرون][2] فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يسلموه إلى المهدي، وثمانية عشر باعتبار ما بعد مدة قتاله مع خيل السفياني، واجتماع شعيب بن صالح به وثمانية أشهر باعتبار مدة ما بعد نزوله الكوفة، وبعثه بالبيعة إلى المهدي.

هذا جمع حسن لا بأس به، وطريق الجمع بين الروايات الأخيرة، هو أن يقال على بعد إن ضمير يموت راجع إلى السفياني، أي فلا يلقى الهاشمي المهدي حتى يموت

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

السفياني، أو يرجع إليه، ويكون القادم بالرايات التميمي ونسبته إلى الهاشمي مجاز للسبب، أو إنه يوصل الرايات، ويفتح الشام، ويموت قبل اجتماعه به بقليل على أن روايات قدومه بالرايات ووصوله إليه أكثر وأشهر، فتقدم عند عدم إمكان الجمع، وإنما تتساقط إذا تعارضت، وكذلك روايات النصر والغلبة، أكثر من [روايات][1] الهزيمة، فتقدم ولو جمع فوجه الجمع أنه ينهزم في بعض الوقعات، ثم تكون له الغلبة بعد ذلك، والله أعلم، ثم تتمهّد الأرض للمهدي، ويلقى الإسلام بحرابه، ويدخل في طاعته ملوك الأرض كلّهم، ويبعث [بعثاً][2] إلى الهند، فتفتح ويؤتى بملوك الهند إليه مغلغلين، وتنقل خزائنها إلى بيت المقدس، فتجعل حليه لبيت المقدس، ويمكث في ذلك سنين.

ذكر الملحمة الكبرى

وذلك أن بعد هلاك السفياني يهادنون الروم صلحاً أمناً، وفي بعض الروايات أن مدة المهادنة تسع سنين، حتى يغزو المسلمون وهم عَدْو من ورائهم، فينتصرون ويغنمون، وينصرفون حتى ينزلوا بمرج «ذي تلول» وهو موضع فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب فيتداولانها بينهم، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منهم غير بعيد، فيدقه وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيقتلونه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون، فيكرّم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فيقتلون عن آخرهم فتقول الروم لملكهم: كفيناك شر العرب، وقتلنا أبطالها فما تنتظر، [فيجتمعون][3] في مدة تسعة أشهر مقدار حمل امرأة، فيأتون تحت ثمانين غاية، وفي لفظ: فيسيرون بثمانين بنداً، والمعنى واحد تحت كل غاية أو بند اثنا عشر ألفاً، فينزلون «بالأعماق» أو «بدابق» وهما موضعان قرب حلب وأنطاكية.

[قال في القاموس: العمق ويحرك كورة بنواحي حلب، قال: والأعماق موضع بين حلب وأنطاكية مصب مياه كثيرة، لا يجف إلا صيفاً، وهو العمق جمع بأجزائه اهـ][4]،

---

(١) وردت في المخطوطة «رواية».

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «فيجمعون».

(٤) ساقطة من المخطوطة.

فيخرج إليهم جلب من أهل المدينة من خيار أهل المدينة يومئذ، وهم الذين خرجوا مع المهدي، فإذا تصافوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا.

تنبيه:

الغاية بالغين المعجمة، والياء آخر الحروف الراية، ويروى بالباء الموحدة، وهي الأجمة من القصب، شبه كثرة رماحهم بها، والأعماق بالعين المهملة، والدابق بوزن الطابع بكسر الباء وفتحها، وسُبُوا روي بضم السين والباء على بناء المجهول وبفتحهما على بناء المعلوم، والمعنى على الأول الذين سبيتموهم منا، وخرجوا عن ديننا، وصاروا يقاتلوننا، وعلى الثاني الذين سبوا أولادنا ونساءنا، فينهزم من المسلمين ثلث، لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح ثلث لا يفتنون أبداً.

وفي رواية نعيم بن حماد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح، حتى يقاتلوا معهم عدوهم، فيقاسمونهم غنائمهم، ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس، فيقتلون مقاتلهم، ويسبون ذراريهم، فتقول الروم: قاسمونا الغنائم، كما قاسمناكم فيقاسمونهم الأموال وذراري الشرك، فتقول الروم: قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم، فيقولون: لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبداً، فيقولون: غدرتم بنا، فيرجع الروم إلى صاحب القسطنطينية، فيقولون: إن العرب غدرت، ونحن أكثر منهم عدداً، وأتم منهم عُدة، وأشد منهم قوة، فأمددنا نقاتلهم، فيقول: ما كنت لأغدر بهم، ولقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا، فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك، فيوجه ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً في البحر، ويقول لهم صاحبهم: إذا أرسيتم بسواحل الشام، فاحرقوا المراكب لتقاتلوهم عن أنفسهم، فيفعلون ذلك، ويأخذون أرض الشام كلها برّها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعتق، ويخرّبون بيت المقدس.

قال ابن مسعود فقلت: كمتسع دمشق من المسلمين فقال النبيﷺ: «والذي نفسي بيده لتتسعن على من يأتيها من المسلمين، كما يتسع الرحم على الولد» قلت: وما المعتق يا نبيّ الله؟ قال: «جبل بأرض الشام من حمص على نهر يقال له «الأريط» فيكون

ذراري المسلمين في أعلى المعتق، والمسلمون على نهر الأريط، يقاتلونهم صباحاً ومساءً، فإذا أبصر صاحب القسطنطينية ذلك، وجه في البر إلى قنسرين ثلاثمائة ألف، حتى تجيئهم مادة اليمن ألف، ألّف الله بين قلوبهم بالإيمان معهم أربعون ألفاً من حمير. حتى يأتوا بيت المقدس، فيقاتلون الروم فيهزمونهم ويخرجونهم من جند إلى جند، حتى يأتوا قنسرين وتجيئهم « مادة الموالي» قلت: وما مادة الموالي يا رسول الله؟ قال: «هم عتاقتكم، وهم منكم قوم يجيئون من قبل فارس، فيقولون تعصبتم يا معشر العرب، لا يكون معكم أحد من الفريقين، أو تجتمع من كلمتكم يزار يوماً والموالي يوماً، فيخرجون إلى المعتق، وينزل المسلمون على نهر يقال له كذا وكذا، يعزى والمشركون على نهر يقال له «الرقبة» وهو النهر الأسود، فيقاتلونهم فيرفع الله نصره عن العسكرين، وينزل الصبر عا بها، حتى يقتل من المسلمين الثلث، ويفر الثلث، ويبقى الثلث، فأمّا الذين يقتلون فشهيدهم كشهيد عشرة من شهداء بدر، ويشفع الواحد من شهداء بدر بسبعين شهيداً، ويفترقون ثلاث أثلاث: ثلث يلحقون بالروم، ويقولون: لو كان الله بهذا الدين من حاجة لنصرهم، ويقول: ثلث وهم مسلمة العرب، مروا لا ينالنا الروم أبداً مروا بنا إلى البدو، وهم الأعراب سيروا بنا إلى العراق واليمن والحجاز، حيث لا يعاث الروم، وأمّا الثلث فيمشي بعضهم إلى بعض، فيقولون: الله الله فدعوا عنكم العصبية، ولتجتمع كلمتكم، وقاتلوا عدوكم فإنكم لن ننصر ما تعصبتم، فيجتمعون جميعاً، يتبايعون على أن يقاتلوا، حتى يلحقوا بإخوانهم الذين قتلوا، فإذا أبصر الروم إلى من تحول إليهم ومن قتل، ورأوا قلة المسلمين، قام رومي بين الصفين ومعه بند في أعلاه صليب، فينادي غَلب الصليب، فيقوم رجل من المسلمين بين الصفين ومعه بند وينادي بل غَلب أنصار الله، بل غُلب أنصار الله وأولياؤه، فغضب الله على الذين كفروا من قولهم: غَلب الصليب، فينزل جبريل في مائتي ألف من الملائكة، ويقول يا ميكائيل أغث عبادي، فينزل ميكائيل في مائتي ألف من الملائكة، وينزل الله نصره على المؤمنين، وينزل بأسهُ على الكافرين، فيقتلون ويهزمون، ويسير المسلمون في أرض الروم، حتى يأتوا «عمور» وعلى سورها خلق كثير، يقولون ما رأينا شيئاً أكثر من الروم كم قتلنا، وهرقنا دم أكثرهم في هذه المدينة، فيقولون: آمنونا على أن نؤدي إليكم الجزية، فيأخذون الأمان لهم، وتجمع الروم على أداء الحزية، وتجتمع إليهم أطرافهم، فيقولون يا

معشر العرب إن الدجال قد خالفكم إلى ذراريكم، والخبر باطل فمن كان فيهم منكم، فلا يلقين شيئاً مما معه، فإنه قوة لكم على ما بقي، فيخرجون فيجدون الخبر باطلاً، وتثب الروم على من بقي في بلادهم من العرب فيقتلونهم، حتى لا يبقى بأرض الروم عربي ولا عربية ولا ولد عربي إلا قتل، فيبلغ ذلك المسلمين، فيرجعون غضباً لله، فيقتلون مقاتلهم، ويسبون ذراريهم، ويجمعون الأموال، ولا ينزلون على مدينة ولا حصن فوق ثلاثة أيام، حتى يفتح لهم وينزلون على الخليج، حتى يقبض فيصبح أهل القسطنطينية، فيقولون: الصليب مد لنا بحرنا، والمسيح ناصرنا فيصبحون والخليج يابس، فتضرب فيه الأخبية، وتحبس البحر عن القسطنطينية، فيقولون: الصليب مدلنا، ويحيط المسلمون بمدينة «الكفر» ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل إلى الصباح، ليس فيهم نائم ولا جالس، فإذا طلع الفجر كبَّر المسلمون تكبيرة واحدة، فيسقط ما بين البرجين، فتقول الروم: كنا نقاتل العرب فالآن نقاتل ربنا، وقد هدّم لهم مدينتنا، وخرَّبها لهم فيملئون أيديهم، ويكيلون الذهب بالأترسة، ويقتسمون الذراري، حتى يبلغ سهم الرجل ثلاثمائة عذراء، ويتمتعون بما في أيديهم ما شاء الله، ثم يخرج الدجال حقاً، ويفتح الله القسطنطينية على يدي أقوام هم أولياء الله، يرفع الله عنهم الموت والمرض والسقم، حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم، فيقاتلون معه الدجال.

أورد هذا الحديث بطوله السيوطي في الجامع الكبير.

تنبيه:

قوله: «يكون بين الروم والمسلمين هدنة حتى يقاتلوا معهم عدوهم»، الضمير للروم أي حتى يقاتل المسلمون مع الروم عدو الروم، بدليل قولهم بعد هذا للمسلمين: «قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم» وفارس يكونون عدواً للمسلمين، وهذا إما أن يقاتلوا المهدي، وهم مسلمون، كما يقاتل بعض المسلمين بعضاً على الملك، وهو ظاهر قولهم: «لا نقاسمكم ذراري المسلمين»، أو أنهم يرجعون إلى الكفر، وهو قوله: «فيقاسمونهم الأموال وذراري الشرك» وهو المناسب للاستعانة بالروم عليهم، والروم كفار، لعدم جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين، وحينئذ فيكونون قد سبوا من

أطراف بلاد المسلمين بعض الذراري، ثم لما استولوا عليهم استردوا ذراريهم، وطلبت الروم منهم المقاسمة فيهم، حيث صاروا في يد الكفار. وأستفيد من هذه الرواية أن الروم تأتي من البحر فلا يلزم من وصولهم «دابق» أو «الأعماق» وهما بقرب حلب استيلاؤهم على جميع بلاد المسلمين، حتى يظن أن القسطنطينية التي الآن دار الإسلام، دامت معمورة به إلى ساعة القيام، ترجع دار الكفر والعياذ بالله إذ المراد القسطنطينية الكبرى، كما سيأتي. نعم يشكل عليه قوله الآتي: «فإذا أبصر صاحب القسطنطينية ذلك وجه في البر ثلاثمائة ألف إلى قنسرين»، إلا أن يقال: إن صاحب القسطنطينية يرسلهم مدداً للمسلمين، ولا ينافيه قوله الآتي: «فلما رأوا قلة المسلمين» لأن ثلاثمائة ألف في جنب ثمانين غاية، تحت كل غاية منها اثنا عشر ألفاً قليل، ولا سيما أن ذلك إنما يقال بعد قتل من قتل، وتحول من يتحول إلى الروم منهم، أو يقال إن أهل القسطنطينية لما جاؤوا إلى المهدي تخلفهم الكفرة في بلادهم، فيأخذونها كما يأخذون أرض الشام، وهذا هو الظاهر. قال في القاموس: قسطنطينية أو بزيادة ياء مشددة، وقد تضم الطاء الأولى منهما دار ملك الروم وفتحها من شرائط الساعة، وتسمى بالروميّة «بوزنطيا» وارتفاع سورها أحد وعشرون ذراعاً وكنيتها مستطيلة، وبجانبها عمود عال من ورد أربعة أنواع تقريباً، وفي رأسه فرس من نحاس، وعليه فارس، وفي إحدى يديه كورة من ذهب، وقد فتح أصابع يده الأخرى مشيراً بها، وهو صورة قسطنطين بانيها، وقوله: «ما خلا دمشق» يوافقه في الرواية أن فسطاط المسلمين عند الملحمة الكبرى دمشق، وعند خروج الدجال بيت المقدس والأريط، قال في القاموس: كزبير موضع، وقد ذكر في الحديث أنه عند حمص، فيحتمل أن يكون النهر نفسه، وموضعاً أضيف إليه النهر وقوله: «فشهيدهم كشهيد عشرة» إلى قوله: «بسبعين شهيداً»(١) معناه أن لكل شهيد شفاعة يوم القيامة، وإن لشهيد بدر شفاعة سبعين شهيداً، وإن لهؤلاء الشهداء لكل واحد شفاعة عشرة من أهل بدر، فيكون لكل واحد منهم شفاعة سبعمائة شهيد، وهذا من قبيل قولهﷺ: «للواحد منهم أجر خمسين منكم» فلا يلزم منه تفضيلهم على أهل بدر مطلقاً، لأن فضيلة الصحبة لا يعادلها شيء، وسيأتي أن التحقيق أن جهات التفضيل مختلفة، فيمكن أن يفضل هؤلاء من جهة، وأولئك من جهة أخرى، أو لأن

---

(١) وردت في المطبوعة «شيدها» وهو تصحيف.

بلاء أحدهم كبلاء عشرة من أهل بدر، لكثرة من يقاتلونهم من الروم، ويبعده من النبوة عنهم، ويؤيده أن الملائكة المنزلين مدداً لهم أكثر من البدرية بمائة أمثالهم، فإن المقاتلين ببدر من الملائكة، كانوا ثلاثة آلاف، وفي ذلك اليوم يكونون ثلاثمائة ألف، وعمور، وجدناه في ثلاثة نسخ بغير هاء التأنيث وياء النسب والذي في القاموس وغيره «عمورية» بها فلعل فيه لغة أو نقص من النسخ وقول الروم في المرة الأولى: الصليب مدلنا، معناه مدّ الخليج لنا حيث فاض ماؤه وزاد، وفي الثانية: معناه إنكار القول الأول، وتكذيب من قال ذلك منهم، فهو بحذف همزة الاستفهام التي للإنكار يدل لذلك قوله: «كنا نقاتل العرب فالآن نقاتل ربنا» وتقدير الكلام أن الله ناصرهم، فلا نقدر على قتالهم، فيستسلمون للأسر والله أعلم، وقوله: «يابس ويحبس البحر» أي يحبس الخليج، وقد عبر عن هذه في الرواية الأخرى بفلق البحر، وهذه معجزة للنبيﷺ وتأييد، لما قال بعض العلماء من أنه لم يكن لنبي من الأنبياء معجزة إلا للنبيﷺ مثلها، والله أعلم بمراد رسولهﷺ.

وبقية ألفاظ الحديث معناه واضح.

وفي رواية: يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة فيرجعون غير غالبين إلى ثلاثة أيام، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة على الكافرين، فيقتتلون مقتلة لم يرَ مثلها، حتى أن الطائر لتمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعادى بنو الأب، كانوا مائة فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد، فلا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة، ويكون لخمسين امرأة قيم واحد][1].

تنبيه:

الشُّرطة بالضم طائفة من الجيش تتقدم للقتال، ونهد إليهم نهض، والدبرة الهزيمة وجنباتهم بجيم فنون مفتوحتين، ثم موحدة أي بنواحيهم ولا يخلّفهم بتشديد اللام، لا

(١) ساقطة من المخطوطة

تجعلهم خلفه أي لا يتجاوزهم حتى ينقطع عن الطيران، ويموت من بعد مسافة المقتلة، وكثرة القتلى، ويتبعونهم ضرباً وقتلاً حتى ينتهوا إلى قسطنطينية، أي الكبرى.

قال في عقد الدرر: لها سبعة أسوار، عرض السور المحيط بالستة، أحد وعشرون ذراعاً، وفيه مائة باب، وعرض السور الأخير الذي يلي البلد عشرة أذرع، وهو على خليج يصب في البحر الرومي، وهي متصلة ببلاد الروم والأندلس انتهى.

فيركز المهدي لواءه عند البحر ليتوضأ للفجر، فيتباعد الماء منه، فيتبعه حتى يجوز من تلك الناحية، ثم يركزه وينادي: أيها الناس اعبروا، فإن الله عز وجل [فلق][1] لكم البحر [كما][2] فلقه لبني إسرائيل، فيجوزون فيستقبلها، فيكبّرون فتهتز حيطانها، ثم يكبّرون فتهتز فتسقط في الثالثة منها ما بين اثني عشر برجاً، فيفتحونها فيقمون بها ستة، حتى يبنوا بها المساجد، ثم يدخلون مدينة أخرى، فبينما هم يقتسمون بها بالأترسة إذا بصارخ إن الدجال خلفكم في ذراريكم بالشام، فيرجعون فإذا الأمر باطل فالتارك نادم، والآخذ نادم، ثم ينشئون ألف سفينة، ويركبون فيها من عكا وهم أهل المشرق والمغرب والشام والحجاز على قلب رجل واحد، فيسيرون إلى روميّة.

وعن عبدالله بن بسر المازني أنه قال: يا بن أخي لعلك تدرك فتح القسطنطينية، فإياك إن أدركت فتحها، أن تترك غنيمتك منها، فإن بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين. رواه نعيم بن حماد في الفتن.

ويستخرج كنز بيت المقدس، وحليه الذي أخذه طاهر بن إسماعيل حين غزا بني إسرائيل، فسباهم وسبا حلي بيت المقدس، وأحرقها بالنيران، وحمل منها في البحر ألف وسبعمائة سفينة، حتى أوردها روميّة، قال حذيفة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليستخرجن المهدي ذلك، حتى يرده إلى بيت المقدس».

قال في عقد الدرر: روميّة أم بلاد الروم، فكلّ من ملكها يقال له: «الباب» وهو الحاكم على دين النصرانية، بمنزلة الخليفة في المسلمين، وليس في بلاد المسلمين مثلها.

---

(١) وردت في المخطوطة «خلق» وهو تحريف.

(٢) وردت في المطبوعة «كا» وهو تصحيف.

وقد ذكر المؤرخون في صفة رومية من العجائب، ما لم يسمع بأذني ذلك ببلد في العالم، وتقرب قسطنطينية منها، فيكبّرون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها فيقتلون ستمائة ألف، ويستخرجون منها حلي بيت المقدس والتابوت الذي فيه السكينة، ومائدة بني إسرائيل، ورضاضة الألواح، وحلة آدم، وعصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المنّ الذي أنزل الله عز وجل على بني إسرائيل، أشد بياضاً من اللبن، ثم يأتون مدينة يقال لها «القاطع» طولها ألف ميل، وعرضها خمسمائة ميل، ولها ستون وثلاثمائة باب، يخرج من كل باب ألف مقاتل، وهي على البحر، لا يحمل جارية يعني سفينة فيه قيل: يا رسول الله ولم لا يحمل فيه جارية؟ قال: «لأنه ليس له قعر، وإنما يمرون من خلجان من ذلك البحر، جعلها الله منافع لبني آدم، لها قعور فهي تحمل السفن، فيكبّرون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها، فيغنمون ما فيها، ثم يقيمون بها سبع سنين، ثم ينتقلون منها إلى بيت المقدس، فيبلغهم أن الدجال قد خرج في يهود أصبهان. أخرجه أبو عمر الداني في سننه.

وفي رواية: ثم يأتي مدينة يقال لها «القاطع» وهي على البحر الأخضر المحيط بالدنيا، ليس خلفه إلا أمر الله عز وجل، طولها ألف ميل، وعرضها خمسمائة ميل، فيكبّرون ثلاث تكبيرات، فتسقط حيطانها، فبقتلون بها ألف ألف مقاتل، ثم يتوجه المهدي إلى بيت المقدس [الشريف][1] بألف سفينة، فينزلون بشام فلسطين بين عكا وصور عسقلان وغزة، فيخرجون ما بها معهم من الأموال، وينزل المهدي ببيت المقدس، ويقيم بها حتى يخرج الدّجال أي وفسطاط المسلمين في الملحمة العظمى دمشق، وعند خروج الدجال يكون ببيت المقدس، ويدخل الآفاق كلها، فلا تبقى مدينة دخلها ذو القرنين إلا دخلها وأصلحها، ولا يبقى جبار إلا هلك.

وعنهﷺ: «ملك الدنيا مؤمنان وكافران، أما المؤمنان: فذو القرنين وسليمان، وأمّا الكافران فنمرود وبخت نصر، وسيملكها خامس من عترتي[2] وهو المهدي».

وروى ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً قال: أصحاب الكهف أعوان المهدي.

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) أي من ذريتي.

قال العلماء: والحكمة في تأخيرهم إلى هذه المدة ليحوزوا شرف الدخول في أمة محمدﷺ إكراماً لهم.

وورد أن أول لواء يعقده المهدي يبعث به إلى الترك، والظاهر أن هذه الفتوح تكون في مدة مهادنة الروم، لأنه بعد اشتغاله بهم، [يتفرغ][1] لغيرهم أو أنه يبعث البعوث والسّرايا، ونسبة دخول الآفاق إليه يكون مجازاً.

تنبيه:

جاء من[2] طرق أنهﷺ قال: «الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينية، وخروج الدّجال في سبعة أشهر».

وفي رواية: سبع سنين.

قال أبو داود في سننه: وهذه، يعني رواية سبع سنين، أصح، يعني من رواية سبعة أشهر.

تنبيه آخر:

وردت في مدة ملك المهدي روايات مختلفة:

ففي بعض الروايات: يملك خمساً أو سبعاً أو تسعاً بالترديد.

وفي بعضها: سبعاً.

وفي بعضها: تسعاً.

وفي بعضها: إن أقلّ فخمساً، وإن كثر فتسعاً.

وفي بعضها: تسع عشرة سنة وأشهراً.

وفي بعضها: عشرين.

---

(١) وردت في المطبوعة «يفرغ».

(٢) وردت في المخطوطة «في».

وبعضها: أربعة وعشرين.

وبعضها: ثلاثين.

وبعضها: أربعين، منها تسع سنين [يهادن][1]فيها الروم.

قال ابن حجر في «القول المختصر»: ويمكن الجمع على تقدير صحة الكلّ بأن مُلْكه متفاوت الظهور والقوة، فيحمل الأكثر على أنه باعتبار جمع مدة الملك، والأقل على غاية الظهور، والأوسط على الوسط. انتهى.

قلت: ويدلُّ على ما قاله وجوه:

الأول: أنهﷺ بشَّر أمته، وخصوصاً أهل بيته ببشارات، و أن الله يعوّضهم عن الظلم والجور قسطاً وعدلاً، واللائق بكرم الله أن يكون مدة العدل قدر ما ينسون فيه الظلم والفتن والسبع والتسع أقل من ذلك.

الثاني: أنه تفتح الدنيا كلّها كما فتحها ذو القرنين وسليمان، ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات، ويبني المساجد في سائر البلدان، ويحلي بيت المقدس، ولا شك أن مدة التسع فما دونها، لا يمكن أن يساح فيها ربع أو خمس المعمورة سياحة، فضلاً عن الجهاد، وتجهيز العساكر، وترتيب الجيوش، وبناء المساجد وغير ذلك.

الثالث: أنه ورد أن الأعمار تطول في زمنه كما مرّ في سيرته وطولها فيه مستلزم لطوله، وإلا لا يكون طولها في زمنه، والتسع وما دونه ليست من الطول في شيء.

الرابع: أنه يهادن الروم تسع سنين، ويقيم بقسطنطينية سنة، وبالقاطع سبعاً ومدة المسير إليها مرتين والرجوع في أثنائه، يكون سنين ومدة قتاله مع السفياني، وأنه ينقض البيعة بعد ثلاث سنين، وفتحه للهند وسائر البلدان، يكون سنين كثيرة كما ورد كل ذلك في الروايات، وذلك أزيد من التسع بكثير، وحينئذ فنقول: التحديد بالسبع باعتبار مدة استيلائه على جميع المعمورة، فيكون معنى الحديث أنه يملك سبعاً ملكاً كاملاً لجميع الأرض، وذلك بعد فتحه لمدينة «القاطع» وبالتسع باعتبار مدة [فتحه][2]

---

(١) وردت في المطبوعة «يهادون».

(٢) وردت في المطبوعة «فقصة» وهو تصحيف.

لقسطنطينية، وبتسعة عشر باعتبار مدة قتاله للسفياني، ودخول أهل الإسلام كلهم في طاعتهم، فإنه يهادن الروم تسع سنين، ومدة اشتغاله بحربهم وتملّكه لهم يكون نحواً من عشر سنين على طريقة جبر الكسر، وبأربع وعشرين باعتبار مدة خروجه إلى الشام ودخول السفياني في بيعته، وبثلاثين باعتبار خروجه بمكة واستيلائه على أرض الحجاز، وبأربعين باعتبار مدة ملكه في الجملة مشتملة على خروجه أولاً بالطائف، وقتله لأمير مكة وغيبته بعد ذلك، وخروج الهاشمي الخراساني[1] وحمله السيف على عاتقه اثنين وسبعين شهراً، كما في بعض الروايات، وهذا الجمع أولى من إسقاط بعض الروايات، ولا شك أنه مقدم على الترجيح مهما أمكن والله ورسوله أعلم بمرادهما على أنه لا مانع أن يكون التسع، وما دونه بعد نزول عيسى وقتله الدّجال، فإن عيسى لا يسلب المهدي ملكه، فإن الأئمة من قريش ما دام من الناس اثنان، وعيسى يكون من أخص وزرائه، وتابعاً له لا أميراً عليه، ومن ثم يصلي خلفه، ويقتدي به كما يدلّ عليه حديث جابر عند مسلم أن عيسى عليه السلام يقول له حين يتأخر في الصلاة: إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة، ولا يرد عليه ما ورد في بعض الروايات، أن المهدي يصلي بهم تلك الصلاة، ثم يكون عيسى إماماً بعده، لأنه لما ثبت إمامته وإمارته جاز له أن يعينه إماماً للصلاة، لأنه أفضل وأفضليته لا تستلزم خلافته لجواز خلافة المفضول مع وجود الفاضل سيما إذا كان الفاضل من غير قريش.

[قال الشهاب القسطلاني في شرح البخاري قال: ابن الجوزي: لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه نائباً أو مبتدئاً شرعاً، فيصلي مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة، وجه قوله ﷺ: «لا نبيّ بعدي» انتهى][2].

قال ابن حجر: ومعنى تسلب قريش ملكها، أي بعد نزول عيسى أنه لا يبقى لها معه اختصاص بشيء دون مراجعته، فلا يعارض ذلك خبر لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي من الناس اثنان». انتهى.

وستأتي الإشارة إلى هذا في كلام الشيخ في الفتوحات، ولا شك انّه بهذا الوجه،

---

(١) وردت في المخطوطة «لهاشميين بخراسان».

(٢) ساقط من المخطوطة.

يندفع كثير من الإشكالات من كون زمان كل منهما موصوفاً بالبركة، والأمن، وإنه يملأ الأرض قسطاً، بكسر الصليب، وبقتل الخنزير، [إلى غير ذلك][1] لأن الزمان يكون واحداً، فينسب إلى هذا تارة، وإلى هذا أخرى، وقد يستأنس له، لقوله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، وإمامكم منكم»، فإنه لما احتمل أن يفهم من قوله: «حكماً مقسطاً» الإمامة دفعه بقوله: «وإمامكم منكم» وظاهر أنه ليس المراد إمامة الصلاة، لأن المراد إثبات اتباع عيسى لشرعه وكونه [رعية خليفة ورجلاً من أحفاد أمته ﷺ، وبالله التوفيق.

تكملة: في فوائد تضمنها الأحاديث، ودلّ عليها الكشف الصحيح لخصتها من كلام إمام المحققين مُحيي المِلَّة والدّين محمّد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي. قال رحمه الله ورضي عنه في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات المكّية ما ملخصه: إنّ لله خليفة يخرج، وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، يقفو أثر رسول الله ﷺ، لا يخطىء له ملك يسدده، من حيث لا يراه يحمل الكلّ، ويقوي الضعيف، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، يفعل ما يقول، ويقول ما يعلم ويشهد، يصلحه الله في ليلة يبيد الظلم وأهله، ويقيم الدّين، وينفخ الروح في الإسلام ويعزّه بعد ذلّه، ويحييه بعد موته يُمسي الرجل في زمانه جاهلاً بخيلاً جباناً، فيصبح أعلم الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس، يضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى قتل، ومن نازعه خذل، يظهر من الدّين ما هو الدّين عليه في نفسه، ما لو كان رسول الله ﷺ الحكم به، يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلا الدّين الخالص، أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم، بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم، يدخلون كُرهاً تحت حكمه، خوفاً من سيفه وسطوته، ورغبة فيما لديه، فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة، فإنهم لا يبقى لهم رياسة، ولا تميز عن العامة، بل لا يبقى لهم علم بحكم إلا قليل، ويرتفع الخلاف عن العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام، ولولا أن السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم، فيطعمون، ويخافون، فيقبلون حكمه من غير إيمان، بل يضمرون خلافه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، أسعد الناس به أهل الكوفة، يبايعه العارفون بالله

(١) ساقطة من المطبوعة.

من أهل الحقائق عن شهود وكشف وتعريف إلهي، له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء يحملون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلّده الله، وهم تسعة على أقدام رجال من الصحابة، قال الله تعالى فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1] وهم من الأعاجم ما فيهم عربي، لكن لا يتكلمون إلا بالعربية، لهم حافظ ليس من جنسهم، ما عصى الله قط هو أخص الوزراء، وأفضل الأمناء، أي وكأن هذا إشارة إلى عيسى عليه السلام، إذ لا معصوم إلا الأنبياء، فيكون هو وزيره الأخص، وأما عصمة المهدي ففي حكمه كما يشير إليه كلامه فيما بعد، أو إشارة إلى الملك الذي يسدده ويؤيده قوله: ليس من جنسهم، لأن عيسى من جنسهم لأنه بشر، لكن قد يطلق الجنس على النوع، فيصدق على عيسى لأنه من بني إسرائيل والأعاجم، وإن كان يطلق على ما سوى العرب، لكن غلب إطلاقه في فارس، فحينئذ ليس عيسى من جنسهم، أي نوعهم، والله أعلم، وأنشد رضي الله عنه:

إلا أن ختم الأولياء شهيد	وعينُ إمام العالمين فقيدُ
هو السيدُ المهدي من آل أحمد	هو الصارمُ الهندي حين يبيدُ
هو الشمسُ يجلو كلَّ غمٍ وظلمةٍ	هو الوابلُ الوسمي حين يجودُ

ومراده: بختم الأولياء المهدي وإمام العالمين النبيﷺ، والصارم: السيف، والوابل: المطر الكثير، والوسمي: هو الذي ينزل في أول الشتاء.

قال: وقد جاء بزمانه وأظلكم، وظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية، قرن رسول اللهﷺ، وهو قرن الصحابة، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، وهو إشارة إلى ما ورد في حديث ثلاث مرات، ثم الذين يلونهم بعد قوله: «خير القرون قرني» وورد في رواية ثلاثة تترى، وواحد فرادى، فيكون قرنه الرابع المفرد الملحق بالثلاثة تترى، قال: ثم جاء بينهما أي القرون الثلاث والرابع، فنزلت وحدثت أمور، وانتشرت أهواء، وسفكت دماء، وعاثت الذئاب في البلاد، وكثر الفساد إلى أن طم الجو، وطما سلّه وأدبر نهار العدل بالظلم، حين][2] أقبل ليله فشهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه خير

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

الأمناء، وإن الله يستوزر له طائفة خبأهم له في مكنون غيبة، أطلعهم كشفاً وشهوداً على الحقائق، وما هو أمر الله عليه في عباده فبمشاورتهم، يفصل ما يفصل فهم العارفون الذين يعرفون ما هناك، وأما هو في نفسه فصاحب سيف حق وسياسة مرتبة، يعرف من الله قدر ما تحتاج إليه، مرتبته ومنزلته، لأنه خليفة مسدد، يعرف منطق الطير والحيوان، يسري عدله في الإنس والجان، من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له، قوله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[1] وهم على أقدام من قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[2] أعطاهم الله في هذه الآية التي اتخذوها هجيراً، وفي ليلهم سميراً فضل علم الصدق حالاً وذوقاً، فعلموا أن الصدق سيف الله في الأرض، ما قام بأحد ولا اتصف به أحد إلا نصره الله تعالى، لأن الصدق صفته تعالى، والصادق اسم، وإذا علم الإمام المهدي هذا عمل به، فيكون أصدق أهل زمانه، فوزراؤه الهداة، وهو المهدي فهذا القدر من العلم بالله، يحصل للمهدي على أيدي وزرائه، شعر:

إن الإمـام إلـى الوزيـر فقـيرٌ	وعليهـما فلـك الوجـود يـدورُ
والملـك إنْ لَـمْ تستقـم أحوالُـه	بوجـودِ هـذين فسـوفَ يبـورُ
إلّا الإلَـه الحـق فهـو منـزه	مـا عنـده فيما يريـده وزيـرُ
جـل الإلَـهُ الحـق فـي ملكـوته	عـن أن يـراه الخلـق وهـو فقيرُ

وجميع ما يحتاج إليه المهدي، مما يكون قيام وزرائه به تسعة أمور لا عاشر لها، ولا ينقص عن ذلك، وهي:

نفوذ البصر ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة في المدعو إليه، لا في المدعو قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[3] فالمهدي ممن اتبعه، وهو ﷺ لا يخطىء في دعائه إلى الله، فمتبعه لا يخطىء فإنه يقفو أثره.

والثاني: معرفة الخطاب الإلَهي عند الإلقاء قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلّمه

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية، ٢٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

﴿إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾[1].

والثالث: علم الترجمة علم الله تعالى، وذلك لكلّ من كلّمه الله تعالى في الإلقاء والوحي، فيكون المترجم مُهيأ لصور الحروف اللفظية والمرقومة، التي يوجدها، ويكون روح تلك الصورة كلام الله لا غير.

والرابع: تعيين المراتب لولاة الأمر، وهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح التي خلقت لها، فينظر صاحب هذا العلم في نفس الشخص، الذي يريد أن يوليه، ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة، فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاه، وإن رجح الوالي فلا يضره، فإن رجحت كفة المرتبة عليه لم يوله.

والخامس: الرحمة في الغضب، ولا يكون ذلك إلا في الحدود الموضوعة والتعزير، وما عدا ذلك فغضب ليس فيه من الرحمة شيء.

والسادس: علم ما يحتاج إليه الملك من الأرزاق، وهو أن يعلم أصناف العالم، وليس إلاّ اثنان عالم الصور وعالم الأنفس المدبّرين هذه الصور، فيما يتصرفون فيه من حركة وسكون وما عدا هذين الصنفين فما له عليهم حكم إلا من أراد منهم أن يحكمه على نفسه كعالم الجان.

والسابع: علم تداخل الأمور بعضها على بعض، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾[2] فالمولج ذكر والمولج فيه أنثى، وهو في العلوم العلم النظري، وفي الحس النكاح الحيواني والنباتي، ولولا السدا واللحام لما ظهر للسنة عين، وهو سار في جميع الصنائع العملية والعلمية، فإذا علم الإمام ذلك لم يدخل عليه شبهة في أحكامه، هذا هو الميزان الموضوع في العالم في المعاني والمحسوسات، فالإمام يتعين عليه الجمع بين علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهي، وبين ما يكون بطريق القياس، ولا يعلم المهدي علم القياس ليحكم به إنما يعلمه ليجتنبه فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله، الذي بعثه الله إليه يسدده وذلك هو الشرع الحنيفي

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٣.

المحمدي، الذي لو كان محمدﷺ حياً ورفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بحكم هذا الإمام، فيعلمه الله، أن ذلك هو الشرع المحمدي فيحرم عليه القياس، مع وجود النصوص التي منحه الله تعالى إياها، ولذا قالﷺ في صفته: «يقفو أثري لا يخطىء» فعرفنا أنه متبع لا مشرع، وأنه معصوم ولا معنى للمعصوم في الحكم، إلا أنه معصوم من الخطأ، فإن حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ، فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أي فمعنى عصمته أنه معصوم في حكمه، وأما في باقي حالاته فمحفوظ لا معصوم إذ لا عصمة إلا للأنبياء، وهو ليس بنبي وإنما هو ولي، والأولياء محفوظون لا معصومون.

الثامن: الاستقصاء في قضاء حوائج الناس، وأنه متعيّن على الإمام خصوصاً دون جميع الناس، فإن الله إنما قدمه على خلقه، ليسعى في مصالحهم، والذي ينتجه هذا السعي عظيم، وحركة الأئمة كلهم إنما تكون في حق الغير لا في حق نفوسهم، فإذا رأيتم السلطان يشغل بغير رعيته، وما يحتاجون إليه فاعلم أنه قد عزلته المرتبة لهذا الفعل، ولا فرق بينه وبين العامة.

والتاسع: الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون في مدته خاصة، وهي تاسع مسألة ليس وراءها ما يحتاج إليه الإمام في إمامته، وذلك أن الله تعالى أخبر عن نفسه أن كل يوم هو في شأن، وهو ما يكون عليه العالم في ذلك اليوم، ومعلوم أن ذلك الشأن إذا ظهر في الوجود، ووقع أنه معلوم لكل من شاهده، فهذا الإمام من هذه المسألة له إطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق، أن يحدثه من الشؤون قبل وقوعها في الوجود، فيطلع في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن، فإن كان مما فيه منفعة لرعيته شكر الله وسكت عنه، وإن كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم، وشفع وتضرع، فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته وفضله، وأجاب دعوته وسؤاله.

فلهذا يطلعه الله عليه قبل وقوعه في الوجود بأصحابه، ثم يطلعه الله في تلك الشؤون على النوازل الواقعة من الأشخاص، ويعين له الأشخاص بحليتهم، حتى إذا رآهم لا يشك فيهم أنهم عين ما رآهم، ثم يطلعه الله تعالى على الحكم المشروع في تلك النازلة

له، التي شرع الله لنبيّه محمدﷺ أن يحكم به فيها، ولا يحكم إلا بذلك الحكم لا يخطىء أبداً، وإن أعمى الله عليه الحكم في بعض النوازل، ولم يقع له عليها كشف كانت عاقبة ألحقها في الحكم بالمباح، ويعلم بعدم التعريف أن ذلك حكم الشرع فيها، فإنه معصوم عن الرأي والقياس في الدّين، فإن القياس ممن ليس بنبيّ في دين الله حكم على الله، مما لا يعلم فإنه طرد علة، وما يدرك لعل الله لا يريد طرد تلك العلة، ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله، وأمر بطردها هذا إذا كانت العلة مما نص الشرع عليها في قضية، فكيف بعلّة يستخرجها الفقيه بنفسه لم يذكرها الشرع، ثم يطردها فيكون تحكماً على تحكم بشرع لم يأذن به الله، هذا يمنع المهدي عليه السلام من القول بالقياس في دين الله، ولا سيما وهو يعلم أن مراد النبيّﷺ التخفيف في التكليف على هذه الأمة، ولذلك كان يقول: «اتركوني ما تركتكم» وكان يكره السؤال في الدين خوفاً من زيادة الحكم فكل ما سكت له وعنه، ولم يطلع على حكم معيّن فيه جعله عاقبة بحكم الأصل، وكل ما أطلعه الله عليه كشفاً وتعريفاً فذلك حكم الشرع المحمدي في المسألة، وقد يطلعه الله في أوقات المباح على أنه مباح، وعاقبة فكل مصلحة تكون في حقْ رعاياه، فإن الله يطلعه عليها ليسأله فيها، وكل فساد يريد الله أن يوقعه برعاياه، فإن الله يطلعه عليه ليسأله في دفع ذلك، لأنه عقوبة، فالمهدي رحمة الله كما كان رسول اللهﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] والمهدي يقفو أثره لا يخطىء، فلا بد أنْ يكون رحمة.

فهذه تسعة أمور، لم تصح بمجموعها لإمام من أئمة الدّين خلفاء الله تعالى ورسول اللهﷺ إلى يوم القيامة، إلا لهذا الإمام المهدي كما أنه ما نص رسول اللهﷺ على إمام من الأئمة، الذين يكونون [بعده][2] أنه يرثه ويقفو أثره لا يخطىء إلا المهدي خاصة، فقد شهد بعصمته في أحكامه، كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول اللهﷺ، فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده.

قال رحمه الله: وينزل عيسى في زمانه بالمنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق، والناس

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

في صلاة العصر، فيتنحى له الإمام، فيتقدم، فيصلي بالناس، يؤم الناس بسنّة محمدﷺ.

تنبيه:

لا ينافي هذا ما في الأحاديث الصحيحة، أن عيسى يقتدي بالمهدي في صلاة الصبح، ويقول: إنها لك أقيمت لما يأتي في قصة الدجال في الجمع اختلاف الروايات، أن المهدي حين نزول عيسى بدمشق، يكون ببيت المقدس، فيكون الذي يتنحى له أمير المهدي على دمشق، ويوضحه أن هذا في صلاة العصر، وأنه يجتمع إليه اليهود والنصارى والمسلمون، كلٌ يرجوه كما يأتي هناك، وإن تقدم المهدي، واقتدى عيسى به في صلاة الصبح، وليس هناك إلا خالص المسلمين، وبالله التوفيق.

تنبيه آخر:

ما أشرنا إليه سابقاً من أن السبع أو التسع من خلافة المهدي المذكور في الأحاديث، يحتمل أن يكون في زمن عيسى لا ينافيه قولهﷺ: «لن تهلك أمة أنا في أولها، والمهدي في أوسطها، وعيسى في آخرها» لأن المهدي يسبق نزول عيسى بأكثر من ثلاثين سنة، وعيسى يتأخر عنه بضعاً وثلاثين، لما ورد في المهدي أنه يمكث أربعين، وفي عيسى أنه يمكث خمساً وأربعين، فمدة اجتماعهما سبع أو تسع، والباقي مدة الافتراق.

تنبيه آخر:

قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان، وإنه من عترة رسول اللهﷺ، من ولد فاطمة عليها السلام بلغت حد التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها، ومن ثم ورد من كذّب بالدّجال فقد كفر، ومن كذّب بالمهدي فقد كفر. رواه أبو بكر الأسكاف في «فوائد الأخبار» وأبو القاسم السهيلي في «شرح السير» له.

فما ورد في بعض الأحاديث أنه لا مهدي إلا عيسى بن مريم مع كونه ضعيفاً عند الحفاظ يجب تأويله بأنه، لا قول إلا للمهدي إلا بمشورة عيسى إن قلنا إنه وزيره أو لا مهدي معصوماً مطلقاً إلا عيسى فإن المهدي معصوم في الأحكام فقط، أو لا مهدي

بعد عيسى فإن بعده يكون أمراء مخلطين، ولا تغتر بما قد يفهم من كلام العلاّمة التفتازاني في «شرح العقائد» من نفيه بناء على الحديث المذكور، لما مر أنه حديث ضعيف، خالف أحاديث صحيحة.

[قال الحافظ ابن القيم في «المنار» حديث «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» رواه ابن ماجه من طريق محمد ابن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك، عن النبيﷺ.

وهو مما تفرد به عن محمد بن خالد، قال محمد بن الحسن الأسنوي في كتاب «مناقب الشافعي»: محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار عن رسول اللهﷺ بذكر المهدي، وإنه من أهل بيته.

وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد هذا.

وقد قال الحاكم أبو عبدالله: هو مجهول، وقد اختلف عليه في إسناده، فروى عنه، عن أبان بن أبي عياش، عن الحسن عن النبيﷺ قال: فرجع الحديث إلى رواية محمد ابن خالد، وهو مجهول، عن أبان بن أبي عياش، وهو متروك، عن الحسن، وهو منقطع، والأحاديث الدّالة على خروج المهدي أصح إسناداً كحديث ابن مسعود «لو لم يبقَ على الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث رجل مني، أو من أهل بيتي» الحديث. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة.

ثم روى حديث أبي هريرة، وقال: صحيح اهـ.

وقال ابن القيم: وفي الباب عن حذيفة بن اليمان وأبي أمامة الباهلي وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو بن العاص وثوبان وأنس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم اهـ، والله أعلم][1].

---

(١) ساقط من المخطوطة.

تنبيه آخر:

جاء عن ابن سيرين: أن المهدي خيرٌ من أبي بكر وعمر، قيل: يا أبا بكر خير من أبي بكر وعمر، قال: قد كاد يفضّل على بعض الأنبياء.

وعنه لا يفضل عليه أبو بكر وعمر.

[قال السيوطي][1] في «العرف الوردي»: هذا إسناد صحيح، وهو أخف من اللفظ الأول، قال: والأوجه عندي تأويل اللفظين على ما أوّل عليه حديث، بل أجر خمسين منكم لشدة الفتن في زمان المهدي، قلت: التحقيق إن جهات التفاضل مختلفة، ولا يجوز لنا التفضيل على الإطلاق في فرد من الأفراد إلا إذا فضله النبيّ ﷺ، كذلك فإنه قد وجد في المفضول مزية من جهات أخر، ليست في الفاضل.

وتقدم[2] عن الشيخ في «الفتوحات» أنه معصوم في حكمه مقتف أثر النبي ﷺ، لا يخطىء أبداً، ولا شك إن هذا لم يكن في الشيخين، وأن الأمور التسعة التي مرت، لم تجتمع كلها في إمام من أئمة الدّين قبله، فمن هذه الجهات يجوز تفضيله عليهما، وإن كان لهما فضل الصحبة ومشاهدة الوحي والسابقة وغير ذلك والله أعلم.

[قال الشيخ علي القاري في «المشرب الوردي» في مذهب المهدي: ومما يدل على أفضليته أن النبي ﷺ سمّاه خليفة الله، وأبو بكر لا يقال له إلا خليفة رسول الله][3].

خاتمة:

اشتملت قصة المهدي على جملة من أشراط الساعة، فلنشر إلى عدّها، وذكر بعض أحاديثها إجمالاً [وفاءً بما وعدناه من حفظ الأحاديث على المسلمين][4].

فمنها حسر الفرات عن جبل من الذهب، كما مرّ عن أبي هريرة رضي الله عنه «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتل عليه الناس، فيقتل تسعة

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «مرّ».

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

أعشارهم» رواه ابن ماجة عنه، ورواه أحمد ومسلم عن أبي [هريرة][(١)] وفي آخره «حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون» وكذا رواه مسلم عن أبي هريرة.

وروى عنه الشيخان وأبو داود مختصراً «يوشك الفرات يحسر عن كنز، فمن حضره، فلا يأخذ منه شيئاً.

وفي رواية نعيم بن [حمّاد][(٢)] عنه «فيقتل من كل تسعة سبعة، فإذا أدركتموه، فلا تقربوه».

ومنها قتل النفس الزكية، عن مجاهد قال: حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: إذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فأتى الناس المهدي فزفّوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها. رواه ابن أبي شيبة.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه: إذا قُتلت النفس الزكية وأخوه، يقتل بمكة ضيعة، نادى منادٍ من السماء، إن أميركم فلان، وذلك المهدي. رواه نعيم بن حماد.

تنبيه:

النفس الزكية هذا، غير النفس الزكيّة الذي قتل في زمن المنصور العباسي، قتله موسى بن عيسى عم المنصور، وهو محمد النفس الزكيّة بن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، بايعه أهل المدينة بالخلافة، وكان يقال: إنه المهدي قتل هو بالمدينة وقتل أخوه إبراهيم بن عبدالله بالعراق، ومات أبوهما في الحبس.

ومنها طلوع الرايات السود من قبل خراسان، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقاتلونكم قتالاً شديداً، لم يقاتله قوم مثله، فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي» رواه ابن ماجة والحاكم وصححه.

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «حاد» وهو تصحيف.

ومعنى كونه المهدي أن الرايات تصير إليه، وتنصره.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملؤها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبواً على الثلج**» رواه ابن أبي شيبة وابن ماجة.

تنبيه:

هذه الرايات السود، غير الرايات السود التي أتت لنصر بني العباس، وإن كان كل منها من قبل المشرق ومن أهل خراسان، وقاتلت بني أمية، لأن هؤلاء قلانسهم سود وثيابهم بيض، وأولئك كان ثيابهم سود، أو لأن هذه الرايات صغار، وتلك كانت عظاماً، ولأن هذه يقدم بها الهاشمي الذي على مقدمته شعيب بن صالح التميمي، وتلك قدم بها أبو مسلم الخراساني، ولأن هذه تقاتل بني أبي سفيان، وتلك قاتلت بني مروان، وقد صرّح بذلك في رواية سعيد بن المسيب مرسلاً قال رسول الله ﷺ: «تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس، ثم يمكثون ما شاء الله تعالى، ثم تخرج رايات سود صغار، تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه من قبل المشرق، ويؤدون الطاعة للمهدي» رواه أبو نعيم بن حماد.

ومنها قذف الأرض أفلاذ كبدها من الذهب والفضة، عن عبدالله بن مسعود قال: إن هذا الدّين قد تمَّ وإنه صائر إلى النقصان، وإن أمارة ذلك أن تقطع الأرحام، ويؤخذ المال بغير حقه، وتسفك الدماء، ويشتكي ذو القرابة قرابته، لا يعود بشيء، ويطوف السائل لا يوضع في يده شيء، فبينما هم كذلك إذا خارت الأرض خوار البقر[1]، يحسب كل الناس أنها خارت من قبلهم، فبينما الناس كذلك إذ قذفت الأرض بأفلاذ كبدها من الذهب والفضة، لا ينفع بعد شيء منه لا ذهب ولا فضة. رواه ابن أبي شيبة.

ومنها خسف عند معدن عن ابن عمر قال: تخرج معادن مختلفة، معدن منها قريب

---

(١) وردت في المخطوطة «البقرة».

من الحجاز، يأتيه شرار الناس يقال له «فرعون» فبينما هم يعملون فيه إذ خسر[1] عن الذهب فأعجبهم معتمله، فبينما هم كذلك إذ خسف به وبهم. رواه الحاكم وصححه.

وعن عليّ كرَّم الله وجهه أنه قال: الفتن أربع: فتنة السراء والضراء، وفتنة كذا، فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجل من عترة النبيﷺ، يصلح الله تعالى على يديه أمرهم. رواه نعيم بن حماد بسند صحيح على شرط مسلم.

ومنها خسف قرية بالغوطة غربي دمشق.

عن خالد بن معدان قال: لا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى «حرستا». رواه ابن عساكر.

ومنها خسف بالبيداء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ: «العجب أن ناساً من أمتي يأتون البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء، خسف بهم فيهم المنتصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، ويبعثهم الله على نياتهم» رواه البخاري ومسلم.

وعن صفيّة أم المؤمنين قالت: قال رسول اللهﷺ: «لا ينتهي الناس عن غزو هذا البيت، حتى يغزو جيش حتى إذا كانوا بالبيداء، أو بيداء من الأرض، خسف بأولهم وآخرهم، ولم ينج أوسطهم» قيل: فإن كان معهم من يكره؟ قال: «يبعثهم الله على ما في أنفسهم» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، ورواه أحمد ومسلم والطبراني عن أم سلمة، ورواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجة عن حفصة.

وعن ابن عباس: يقطع الخليفة بالشام بعثاً [فيهم][2] ستمائة غريب إلى هاشميين بمكة، فإذا أتوا البيداء، فينزلون في ليلة مقمرة إذ أقبل راعٍ ينظر إليهم، ويعب ويقول: يا ويح أهل مكة، فينصرف إلى غنمه، ثم يرجع [فلا يرى أحداً][3] فإذا هم قد خسف

---

(١) وردت في المطبوعة «حسر» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «فهم» وهو تحريف.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

بهم، فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة، فيأتي فيجد قطيفة قد خُسف ببعضها، وبعضها على وجه الأرض فيعالجها فلا يطيقها، فيعلم أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة، فيبشره فيقول: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون بها. رواه نعيم بن حماد.

وفي رواية: لا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير، بشير إلى المهدي، ونذير إلى السفياني، وهما رجلان من كلب.

تنبيه:

وجه الجمع بين الروايتين أن الرجلين يهربان، ثم يأتي الراعي فلا يرى أحداً، فيأتي بالبشارة إلى المهدي أيضاً، وفي رواية فيخسف بثلثهم ويمسخ ثلثهم، فتصير وجوههم إلى أقفيتهم، يمشون إلى ورائهم كما يمشون إلى أمامهم، ويلحق ثلثهم بمكة، وهذه إن صحت تحتاج في الجمع إلى تمحل وتعسف، ويمكن أن يقال بتكرار خسف الجيش، فمرة يكون كذا، ومرة كذا، ويقربه ما مر أن صاحب المدينة يبعث بعثاً، قبل بعث السفياني وأنه أمير على المدينة من قبله، فنسب إليه أيضاً والله أعلم.

ومنها انكساف الشمس والقمر في رمضان.

عن الإمام محمد بن علي الباقر قال: لمهدينا آيتان لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض. رواه الدارقطني في سننه.

وعن ابن عباس قال: لا يخرج المهدي حتى تطلع الشمس آية. رواه البيهقي ونعيم بن حماد.

ومنها طلوع القرن ذي السنين.

عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: إذا بلغ العباسي خراسان طلع بالمشرق القرن ذو السنين، وكان أول ما طلع بهلاك قوم نوح، حين أغرقهم الله، وطلع في زمن إبراهيم حين ألقوه في النار، وحين أهلك الله قوم فرعون ومن معه، وحين قتل يحيى بن زكريا،

فإذا رأيتم ذلك فاستعيذوا بالله من شر الفتن، ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر ثم لا يلبثون حتى يطلع الأبقع بمصر. رواه أبو نعيم بن حماد.

ومنها طلوع النجم ذي الذنب.

عن كعب قال: يطلع من المشرق قبل خروج المهدي نجم له ذنب يضيء، أخرجه أبو نعيم[1].

قلت: وقد ظهر في عام خمس وسبعين في شهر جمادي الثانية نجم ذو ذنب، وأقام مقدار شهرين، ثم غاب.

ومنها خسوف القمر مرتين في رمضان

عن شريك قال: بلغني [قبل][2] خروج المهدي [ينكسف][3] القمر في شهر رمضان مرتين. رواه أبو نعيم.

ومنها نار من قبل المشرق.

عن أبي عبدالله الحسين ابن عليّ رضي الله عنهما قال: إذا رأيتم علامة [من][4] السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليلاً، فعندها فرج الناس، وهي إقدام المهدي. وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنهما قال: إذا رأيتم ناراً من المشرق ثلاثة أيام أو سبعة أيام، فتواقعوا فرج آل محمد إن شاء الله تعالى.

ومنها وقعة بالمدينة عظيمة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تكون بالمدينة وقعة، يغرق فيها أحجار الزيت ما الحرّة عندها إلا كضربة سوط، فيتنحى عن المدينة بريدين، ثم يبايع المهدي. رواه أبو نعيم.

---

(١) وردت في المخطوطة «نعيم» بدون أبو، وهو سقط من الناسخ

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) وردت في المطبوعة «ينكسفت» وهو تصحيف.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

تنبيه :

[قال في «سفر السعادة»: أحجار الزيت قريب من أحد أبواب المسجد يقال له «باب السلام» إذا خرج شخص من باب السلام، وعطف على الجانب الأيمن وصار نحو رمية حجر، بلغ المكان المعروف بأحجار الزيت، وعبارة السيد السمنودي في «الخلاصة» أن أحجار الزيت كانت عند مشهد مالك بن سنان، يضع عليها الزياتون رواياهم، فعلا الكبس عليهم فاندفنت.

ولأبي داود والترمذي وغيرهما عن مولى أبي اللحم أنه رأى النبيﷺ يستسقي عند أحجارِ الزيت قريباً من الزوراء قائماً يدعو، الحديث، فاقتضى كلام كعب الأحبار أنها موضع من الحرّة بمنازل بني عبد الأشهل، به كانت وقعة الحرّة انتهى كلامه][1]

ومنها [نداء][2] من السماء.

عن عاصم بن عمر البجلي قال: لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الدليل، ولا يمنع منه الدليل. رواه ابن أبي شيبة.

وعن عليّ رضي الله عنه قال: إذا نادى منادٍ من السماء، أن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره، رواه أبو نعيم.

وعن سعيد بن المسيب قال: تكون فتنة كأن أولها لعب الصبيان، فلا تتناهى حتى ينادي منادٍ من السماء ألا إن الأمير فلان ذلكم الأمير حقاً ثلاث مرات. رواه أبو نعيم.

وعن أبي جعفر الباقر قال: ينادي منادٍ من السماء أن الحق في آل محمد، وينادي منادٍ من الأرض أن الحق في آل عيسى، أو قال العباس فشك فيه، وإنما الأسفل كلمة الشيطان، والصوت الأعلى كلمة الله العليا. رواه أبو نعيم.

وعنه رضي الله عنه قال: إذا كان الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة فاسمعوا

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «بسداء» والصحيح ما أثبته، ولعله سهو من الناسخ.

وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت اللعين إبليس، ينادي ألا أن فلاناً قد قتل مظلوماً ليشكّك الناس، ويفتنهم فكم في اليوم من شاك متحيّر، فإذا سمعتم الصوت في رمضان، يعني الأول فلا تشكوا أنه صوت جبريل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم المهدي واسم أبيه.

وعن إسحق بن يحيى عن أمه قالت: تكون فتنة تهلك الناس لا يستقيم أمرهم حتى ينادي منادٍ من السماء عليكم بفلان. رواه نعيم بن حماد.

عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «في المحرم ينادي منادٍ من السماء ألا إن صفوة الله فلان فاسمعوا وأطيعوا في سنة الصبوب المعمعة. رواه نعيم.

ومر عن عمار النداء قبل قتل النفس الزكية.

قال في «عقد الدرر»: وهذا النداء يعمُّ أهل الأرض، ويسمعه كل أهل لغة بلغتهم.

وعن الحكم بن نافع قال: إذا كان الناس بمنى وبعرفات، نادى منادٍ بعد أن تتحارب القبائل ألا إن أميركم فلان، ويتبعه صوت آخر إلا أنه قد صدق.

تنبيه:

لا مانع من تكرر النداء في رمضان، وفي ذي الحجة، وفي المحرم وغيرها، كما يظهر من اختلاف الروايات.

ومنها طلوع كفّ من السماء.

عن سعيد بن المسيب قال: تكون فرقة واختلاف، حتى يطلع كفّ من السماء، وينادي منادٍ من السماء إن أميركم فلان.

وعن أسماء بنت عميس: أن أمارة ذلك اليوم أن كفاً من السماء مدلّاة، ينظر الناس إليها. رواه نعيم بن حماد.

ومنها إخراج كنز الكعبة وخزائنها.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أنه قال حين ولج هو وعمر رضي الله عنهما البيت فقال عمر: والله ما أدري أأدع خزائن البيت وما فيه من السلاح والأموال، أو أقسمه في سبيل الله؟ فقال له عليّ رضي الله عنه: أمض يا أمير المؤمنين

فلست بصاحبه إنما صاحبه منا شاب من قريش يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان. رواه نعيم بن حماد.

ومنها الملحمة العظمى.

عن أبي هريرة: لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم «بالأعماق» أو «بدابق» يخرج إليهم جلب من المدينة. الحديث، رواه مسلم والحاكم وصححه وقد مرَّ تفصيله.

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: «دمشق» من خير مدائن الشام. رواه أبو داود والحاكم وصححه.

وعن عبدالله قال: قال النبيّ ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة» ثم قال: «يجتمعون لأهل الشام، ويجمع لهم أهل الإسلام، يعني الروم» إلى أن قال: «فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتلون مقتلة عظيمة، لم يرَ مثلها حتى أن الطائر يمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً، فيتعادى بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون، بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح، أو أي ميراث يقسم» رواه مسلم.

وعن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس» إلى أن قال: «وأن يغدر الروم، فيسيرون بثمانين بنداً تحت كل بند اثنا عشر ألفاً» رواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني.

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ست فيكم أيتها الأمة. .» فقال في الخامسة: «وهدنة تكون بينكم، وبين بني الأصفر، فيجمعون لكم تسعة أشهر، كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم» رواه أحمد.

ومنها أن يكون لخمسين امرأة قيّم واحد.

ومنها أن لا يفرح بميراث ولا بغنيمة، وهذان كلاهما يقع في الملحمة العضمى، حتى يتعادى بنو الأب الواحد، وكانوا مائة فلا يبقى منهم إلا الرجل الواحد، [ويكون لخمسين

امرأة قيّم واحد][1].

وروى الستة غير أبي داود عن أنس مرفوعاً أن من أشراط الساعة أن يقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد، ومرّ لا تقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة.

تنبيه:

قيل: كثرة النساء سببه كثرة الفتن المورثة، لكثرة القتل في الرجال، لأنهم أهل الحرب دون النساء انتهى.

ويدل له حديث، حيث ذكر كثرتهن بعد قتل الرجال، لكن قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» في باب العلم الظاهر: إنها علامة محضة، لا لسبب آخر بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، قال: وكون كثرة النساء من العلامات مناسب لظهور الجهل، ورفع العلم، أي فعلى هذا ينبغي أن تذكر عند رفع العلم لكن استطردناها هنا للمناسبة، ثم قال الحافظ ابن حجر قوله: «خمسين» يحتمل أن يراد به حقيقة هذا العدد، أو يكون مجازاً عن الكثرة، ويؤيده أن في حديث أبي موسى: وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة انتهى[2].

ومنها فتح القسطنطينية وروميّة.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هل سمعتم بمدينة، جانب منها في البر، وجانب في البحر؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحق» الحديث رواه مسلم والحاكم.

وقال الحاكم يقال هذه المدينة هي «القسطنطينية».

قال القاضي عياض: كذا هو في أصول مسلم بني إسحق، والمعروف المحفوظ بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث، وسياقه لأنه إنما أراد العرب.

وقال [الحافظ][3] ابن حجر قيل صوابه بني إسماعيل، كما دلّت عليه أحاديث أُخر.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

وعن عبدالله بن عمر قال: قالﷺ: «ست فيكم أيتها الأمة» وقال في السادسة: «وفتح مدينة» قلت: يا رسول الله أي مدينة؟ قال: «قسطنطينية».

وعن كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا تذهب الدنيا حتى تقاتلوا بني الأصفر، يخرج إليهم دوقة المؤمنين أهل الحجاز، الذين يجاهدون في سبيل الله، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية وروميّة بالتسبيح والتكبير، فينهدم حصنها» الحديث رواه ابن ماجة والحاكم.

وعن أبي قبيل قال: تذاكر فتح القسطنطينية وروميّة أيهما تفتح أولاً؟ قال عبدالله فقيل: يا رسول الله أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية؟ فقالﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولاً»، يريد القسطنطينية. رواه أحمد والحاكم وصححه.

تفهيم في تتميم:

قال الحافظ ابن القيم في «المنار»: قد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسيح بن مريم، وأنه هو المهدي على الحقيقة، واحتج أصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجندي أي المتقدم، وقد بيّنا حاله، وأنه لا يصح ولو صح لم يكن فيه حجة، لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي الساعة، فيصح أن يقال: لا مهدي في الحقيقة سواه، وإن كان غيره مهدياً يعني هو المهدي الكامل المعصوم.

ثانيها: أنه المهدي الذي ولّي من بني العباس قد انتهى، واحتج أصحاب هذا القول بما رواه أحمد في مسنده عن ثوبان مرفوعاً: إذا رأيتم الرايات السود أقبلت من خراسان، فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيه خليفة الله المهدي، وفيه علي بن زيد ضعيف، وله مناكير، فلا يحتج بما ينفرد به، وروى ابن ماجه من حديث الثوري عن ثوبان نحوه، وتابعه عبد العزيز ابن المختار، عن خالد. وفي سنن ابن ماجة عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً: إن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من أهل المشرق، و معهم رايات سود الحديث، في إسناده يزيد بن أبي زياد، وهو سيء الحفظ اختلط في آخر عمره، وكان يقبل الفلوس قال: وهذا والذي قبله لو صح، لم يكن فيه دليل على أن المهدي هو الذي تولى من بني العباس. أقول: قد مر أن

رايات المهدي أيضاً تأتي من خراسان، وأنها سود، وأنها غير رايات بني العباس والله أعلم.

ثالثها: أنه رجل من أهل بيت النبيﷺ، من ولد الحسن أو ولد الحسين بن علي يخرج في آخر الزمان، وقد ملئت الأرض جوراً فيملأها قسطاً وعدلاً، وأكثر الأحاديث على هذا.

وأما الرافضة الإمامية فلهم قول رابع: وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن بن علي الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس عنه بخبر، وهم ينتظرونه كل يوم، ويقفون بالخيل على السرداب، ويصيحون به أن أخرج يا مولانا، أخرج يا مولانا، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم، ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي	كلمتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم	ثلثتموا العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل، وقد ادعى قوم من السلف في محمد بن عبدالله المحض النفس الزكية أنه المهدي، وقد مرت الإشارة، والله أعلم.

قال: وأما مهدي المغاربة محمد بن تومرت، فإنه رجل كذّاب ظالم متغلب بالباطل، ملك بالظلم، فقتل النفس، وأباح حريم المسلمين، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وكان شراً على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، ويأمرهم أن يقولوا للناس أنه المهدي الذي بشّر به النبيﷺ، ثم يردم عليهم لئلا يكذّبوه بعد ذلك، وتسمّى بالمهدي المعصوم، ثم خرج الملحد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان جده يهودياً من بيت مجوسي، فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت، وادّعى أنه المهدي الذي بشّر به النبيﷺ، وملك وتغلب واستفحل أمره، إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ورسوله على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة

الإسلام ومحنته ومصيبته، وكانوا يدعون الإلهية، ويدعون أن للشريعة باطناً يخالف ظاهرها، وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء الدين، فتستروا بالرفض والانتساب إلى أهل البيت، ودانوا بدين أهل الإلحاد، ولم يزل أمرهم ظاهراً إلى أن أنقذ الله الأمة، ونصر الإسلام بصلاح الدين يوسف بن أيوب، فاستنقذ الملّة الإسلامية منهم، وأبادهم وعادت مصر دار إسلام بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد في زمنهم. انتهى ملخصاً بمعناه. وقد مرت الإشارة إلى بعض قبائحهم وبدعهم وكفرهم وإلحادهم في الباب الأول.

أقول: وقد ذكر الشيخ علي المتقي في رسالة له في أمر المهدي: أنه في زمانه خرج رجل بالهند ادّعى أنه المهدي المنتظر، واتبعه خلق كثير، وظهر أمره، وطار صيته، ثم إنه مات بعد مدة، وأن أتباعه لم يرجعوا عن اعتقادهم. قلت: وقد سمعت كثيراً من القادمين من بلاد الهند إلى الحرمين من العلماء والصلحاء أن أولئك القوم إلى الآن على ذلك الاعتقاد الخبيث. وأنهم يعرفون بالمهدوية. وربما سمّوا بالقتالية لأن كل من قال لهم: إن اعتقادكم باطل قتلوه، حتى أن الرجل الواحد منهم يكون بين الجمع الكثير من المسلمين، فإذا قيل له: إن اعتقادك باطل قتل القائل، ولا يبالي أيقتل أو يسلم، وهم خلق كثير، وقد ضموا إلى ذلك الاعتقاد بدعاً أُخَر، خرجوا بها عن سواء الصراط. أخبرني بهذا جمع من ثقات أهل الهند، وظهر بجبال شهرزور وأنا إذاك طفل بقرية يقال لها «أزمك» بهمزة مفتوحة آخرها كاف رجل يسمى «محمداً» وادّعى أنه المهدي، واتبعه خلق. ثم أن أمير تلك البلاد أحمد خان الكردي أغار عليه، فهرب وأخذ أخاه، وخرّب قريته وقتل جماعة من أتباعه، فزالت شوكته، وذل فاجتمع عليه علماء الأكراد وأفتوه بكفره، وألزموه بتجديد إيمانه، وبتجديد عقد نكاح أزواجه فتاب، ورجع ذلك ظاهراً، لكن كان بعض من يخالطه يقول: إنه لم يرجع باطناً، وقد اجتمعت به سنة سبعين وألف، فوجدته عابداً كثير الاجتهاد متورعاً في مأكله وملبسه عن الحرام، ملازماً للأوراد على طريقة الخلوتية، وكان أخوه ذاك الذي أخذ، وحبس لأجله شديد الإنكار عليه، كثير اللوم له ثم إنه توفي رحمه الله. فهؤلاء الذين ادعوا المهدية بالباطل، واتبعهم بعض السفهاء، وحصلت منهم فتن وفساد كثير في الدين. وظهر قبل تأليفي لهذا الكتاب بقليل رجل بجبال عقر أو العمادية من الأكراد يسمى «عبدالله» ويدّعي أنه شريف

حسيني وله ولد صغير ابن اثنتي عشر سنة أو أقل أو أكثر قد سمّاه «محمداً» ولقّبه المهدي الموعود وتبعه جماعة كثيرة من القبائل، واستولى على بعض القلاع، ثم ركب عليه والي الموصل، ووقع بينهم قتال وسفك دماء، وقد انهزم المدعي، وأُخذ هو وابنه إلى استنبول، ثم إن السلطان عفى عنهما، ومنعهما من الرجوع إلى بلادهما، وماتا جميعاً.

ومنها الدّجال.

ورد][1] عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب حضور الملحمة، وحضور الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدّجال» رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والحاكم وصححه.

وحكى البيهقي عن شيخه الحاكم قال: أول الآيات ظهوراً أي بعد المهدي خروج الدجال، ثم نزول عيسى، ثم فتح يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، وسيأتي في كلام الحاكم أن خروج الدابة بعد طلوع الشمس وأنه الأوجه، فنذكرها بإذن الله على هذا الترتيب، وبالله التوفيق، وعليه التكلان.

فنقول: **ومن الفتن الواقعة في زمن المهدي ومن الأشراط العظام القريبة خروج الدّجال** وأخباره تحتمل مجلداً أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف [عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدّجال» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل الدّجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها. رواه الترمذي وصححه.

ومن دعواته ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدّجال».

ووقع في تفسير البغوي أن الدّجال مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**﴾ وأن المراد بالناس [هنا][2] الدّجال من إطلاق الكل على البعض، وفي صحيح البخاري: «ما من نبي إلا وقد أنذر قومه» زاد في رواية معمر: لقد

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «هناك» وهو خطأ مطبعي.

أنذر نوح قومه، وعند أبي داود والترمذي وحسنه عن أبي عبيدة: لم يكن نبي بعد نوح إلا وقد أنذر قومه الدّجال. وعند أحمد: لقد أنذر نوح أمته والنبيون من بعده، وأخرجه من وجه آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما. والكلام عليه يأتي في مقامات في اسمه ونسبه ومولده وحليته وسيرته وفتنته ومحل خروجه ووقته ومدته وكيفيته وكيف النجاة منه، ومن يقتله.

المقام الأول: في اسمه ونسبه ومولده:

هو صافي بن الصياد، أو الصائد ومولده المدينة، هذا بناء على أن ابن الصياد هو الدّجال، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الأصح أنه غيره، وعليه فأما أنه شيطان موثق في بعض الجزائر، أو هو من أولاد شق الكاهن المشهور، أو هو شق نفسه، وكانت أمه جنّية عشقت أباه، فأولدها شقاً، وكانت الشياطين تعمل له العجائب، فحبسه سليمان النبيّ عليه السلام، ولقّبه المسيح وصفته الدّجال، مشتق من الدجل، وهو الخلط واللبس والخدع، فمعنى الدّجال الخدّاع الملبس على الناس، ومنه قولهﷺ حين خطب إليه أبو بكر فاطمة عليها السلام: «إني وعدتها لعلي، ولست بدجّال» أي لست بخدّاع لك، ملبس عليك أمرك.

وأما تلقبه بالمسيح فلأن عينه الواحدة ممسوحة، يقال: رجل مسح الوجه إذا لم يبق على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى، وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي يقطعها.

وقال أبو الهيثم: إنه المسيح بوزن سكين، وهو الذي مسح خلقه وشوه.

وقال بعضهم: إنه المسيخ بالخاء المعجمة، وعيسى بالمهملة.

قال في «فتح الباري»: وبالغ القاضي ابن العربي فقال: ضل قوم فرووه بالخاء المعجمة، وشدد بعضهم السين، ليفرّقوا بينه وبين المسيح بن مريم عليه السلام، قال: وقد فرّق النبيّﷺ بينهما بقوله في الدّجال: مسيح الضلالة فدلّ على أن عيسى مسيح الهدى، فأراد هؤلاء تعظيم عيسى، فحرّفوا الحديث.

قال المجد[1] في القاموس: واجتمع لنا في سبب تسمية المسيح خمسون قولاً، وأما وجه تسمية عيسى مسيحاً، لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برىء، أو لأنه لا أخمص له، ومنه في صفة النبيﷺ كان مسيح القدمين، أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، أو لأنه يمسح الأرض ويقطعها.

المقام الثاني ـ في حليته وسيرته وفتنته:

أما حليته فإنه رجل شاب، وفي رواية: شيخ وعندهما صحيح جسم أحمر. وفي رواية: [أبيض][2] أمهق.

وفي حديث عبدالله بن مغفل عند الطبراني أنه آدم، قال في «فتح الباري» يمكن أن تكون أدمته صافية، وقد يوصف ذلك بالحمرة، لأن كثيراً من الأدم قد تحمر وجنته، جعد الرأس، قطط، أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، وفي رواية: أعور العين اليسرى، وجاء في رواية: أنه أعور العين مطموساً، وليست جحراء، وهذا معنى طافئة مهمزوة.

قال في «فتح الباري» نقلاً عن القاضي عياض الذي رويناه عن الأكثر وصححه الجمهور وجزم به الأخفش: طافية بغير همزة، قال: وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة، ومعناه أنها ناتئة نتوء العنبة، وأنكره بعضهم، ولا وجه لإنكاره، ثم جمع القاضي عياض بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همز، وممسوحة أي ذهب ضوءها، وهو معنى حديث أبي داود مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء آي ليست عالية ولا عميقة، كما في حديث ابن عمر في الصحيحين، واليسرى طافئة [بالهمز][3] كما في الرواية الأخرى عنه، وهي الجاحظة التي كأنها كوكب، وكأنها نخاعة في حائط، أي وهي الخضراء، كما جاء كل ذلك في الأحاديث، قال: وعلى هذا فهو أعور العينين معاً، فكلّ واحدة منها عوراء، وذلك إن العور العيب، والأعور من كل شيء المعيب، وكلا عيني الدجال معيبة، إحداهما بذهاب نورها، والأخرى بنتوئها وخضرتها.

---

(١) انظر القاموس المحيط، [مادة: مسح].

(٢) وردت في المطبوعة «أبيك» وهو تحريف.

(٣) وردت في المطبوعة «اهز» وهو تصحيف.

قال النووي: وهو في غاية الحسن اهـ. على عينه ظفرة غليظة، وهي جلدة تغشي العين، وإذا لم تقطع عميت.

وقال البيضاوي: الظفرة لحمة تنبت عند المأق، وقيل: لحمة تخرج في العين في الجانب الذي يلي الأنف، وهما متقاربان.

قال الحافظ ابن حجر: وقد ورد في كلتا عينيه عليها ظفرة، وفي بعض الروايات عن أبي سعيد عن أحمد: عينه اليمنى جاحظة، لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى، كأنها كوكب درّي.

وفي حديث أبي عند أحمد والطبراني: إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء.

قال الحافظ: والذي يتحصل من مجموع الأخبار، أن الصواب في طافية، أنه بغير همز، وصرح في حديث عبدالله بن مغفل وسمرة وأبي بكرة: بأن عينه اليسرى ممسوحة، والطافية هي البارزة، وهي غير الممسوحة، ولها الظفرة، فجائز أن يكون في كل من عينيه، لأنه لا يضاد الطمس ولا النتوء، ويكون التي ذهب ضوؤها هي المطموسة يعني اليسرى، والمعيبة مع بقاء عينها هي البارزة، انتهى.

ومن حليته: أنه قصير، أفْحج بفاء ساكنة وجيم آخره من الفحج، وهو تباعد ما بين الساقين، وقيل تداني صدور القدمين، مع تباعد العقبين، وقيل: هو الذي في رجليه إعوجاج، جُفَال الشعر بضم الجيم وتخفيف الفاء، أي كثيرة هِجَان بكسر أوله وتخفيف الجيم، أي أبيض أقمر، أي شديد البياض ضخم، فَيْلماني بفتح الفاء وسكون التحتانية، أي عظيم الجثة، كأن رأسه أغصان شجرة، أي شعر رأسه كثير متفرق قائم، وفي رواية أن رأسه من ورائه جبك، أي شعره متكسر من الجعودة كالماء والرمل، إذا ضربته الريح، قاله في النهاية.

وهذا معنى ما مر أنه جعد قطط مكتوب بين عينيه «ك ا ف ر» بحروف متقطعة يقرأها كل مسلم كاتب، وغير كاتب ولا يقرأها الكفار، لا يولد له، ولا يدخل المدينة ومكة، تبعه أقوام كأن في وجوههم المجان المطرقة، وسبعون ألفاً من يهود أصبُهان، عليهم الطيالسة، وفي لفظ: عليهم السجان، وكلهم ذو سيف محلى.

تنبيه:

قال في النهاية: السيجان جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، وقيل: هو الطيلسان المقور نسج كذلك، ومنهم من يجعل ألفه منقلبة عن الواو، ومنهم من يجعلها متقلبة عن الياء انتهى.

ومن صفاته أنه تنام عيناه، ولا ينام قلبه أبوه طوال، ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه امرأة فرضاً، خية أي كثيرة اللحم، طويلة الثديين، له حمار أهلب، أي كثير الهلب، وهو الشعر الغليظ، ما بين أذنيه أربعون ذراعاً يضع خطوه عند منتهى طرفه.

عن أبي الطفيل عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ قال: «يخرج الدّجال على حمار رجس على رجس» رواه ابن أبي شيبة.

وعن عليّ كرّم الله وجهه: يخرج الدّجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة، وهي موضع على مقدمته أشعر، أي رجل كثير الشعر، يقول: بر وبر. ورواه الديلمي، أي وهي بالفارسية ومعناه أسع أسع.

وعن أمير المؤمنين عليّ: أن طول الدّجال أربعون ذراع بالذراع الأول تحته حمار أقمر، أي شديد البياض، طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً، ما بين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبيه الحديث بطوله][1].

تنبيه:

لا منافاة بين هذه ورواية أنه قصير، لاحتمال أن قصره بالنظر إلى ضخامته، فإن ضخامته تقضي بأن يكون أطول من ذلك، أو أنه ابتداء قصير، وهو خلقته في نفس الأمر ثم أظهر الكفر، وادعى الإلّهية زاد طوله وضخامته ابتلاء من الله للعباد، وفتنة لهم كسائر فتنه، والله أعلم.

وأما سيرته: فإنه يخرج أولاً فيدعي الإيمان والصلاح، ويدعو إلى الدين، فيتبع

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة، فيظهر الدين، ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك، ثم يدّعي أنه نبيّ فيفزع من ذلك كل ذي لبّ، ويفارقه ثم يمكث بعد ذلك أياماً، ثم يدّعي الإلهية ويقول: أنا الله، فتغشى عينه، وتقطع أذنه، ويكتب بين عينيه «ك ا ف ر» فلا يخفى كل مسلم، فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، هكذا رواه الطبراني عن عبدالله بن معتمر، وكان صحابياً.

وعن كعب الأحبار قال: يتوجه الدّجال فينزل عند باب دمشق الشرقي، أي ابتداء قبل خروجه، ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى عند المياه التي عند نهر الكسوة، ثم يطلب فلا يدرى أين توجه، ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة، ثم يظهر السحر ثم يدّعي النبوة، فيتفرق الناس عنه أي يعني المسلمين، فيأتي النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس، الحديث بطوله. رواه نعيم بن حمّاد، ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، وثلاثة عشر ألف امرأة وعامة من يتبعه اليهود والترك والنساء، ويبعث الله له شياطين فيقولون: استعن بنا على ما تريد فيقول: نعم اذهبوا إلى الناس فقولوا: أنا ربهم فيبثهم في الآفاق إلى غير ذلك.

وأما فتنه: فكثيرة لا تكاد تنحصر، فمنها أنه يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، وأحدهما فيه دخان ونار، فيقول: هذه الجنة وهذه النار. رواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر.

ومنها أن معه جنة وناراً ورجالاً، يقتلهم ثم يحييهم، معه جبل من ثريد ونهر من ماء، رواه نعيم عن حذيفة.

[تنبيه:

لا ينافي هذا ما ورد أنه يسلط على نفس واحدة، ثم لا يقدر عليه ثانياً، وأنه يقول: لا يفعل بعدي بأحد من الناس، لأن هؤلاء الرجال، هم شياطين، وقتله إياهم وإحياؤه، إنما هو في رأي العين لا على الحقيقة، وقيل ذلك حقيقة، أي وهو «الخضر» كما سيأتي][1]. وفي رواية: معه جبال من خبز، والناس في جهد إلا من معه، ومعه

(١) ساقطة من المطبوعة.

نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة. رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم وسعيد بن منصور عن جابر رضي الله عنه.

وفي رواية: لا أعلم بها مع الدّجال منه معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فأما إن إدرك ذلك واحد منكم، فليأتِ النهر الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأطيء رأسه، فليشرب فإنه ماء بارد.

وفي رواية البخاري: عن المغيرة بن شعبة معه جبل خبز، زاد مسلم في روايته: معه جبال خبز ولحم ونهر من ماء، وفي رواية إبراهيم: إن معه الطعام والأنهار.

وفي رواية يزيد بن هارون: إن معه الطعام والشراب، وفي رواية: معه مثل الجنة والنار، وفي رواية نعيم عن أبي مسعود: ومعه جبل من مرق وعراق اللحم حار لا يبرد، ونهر جار وجبل من جنان وخضرة وجبل من نار ودخان، يقول: هذه جنتي وهذه ناري وهذا طعامي وهذا شرابي.

تنبيه:

اختلفوا في هذه الجنة والنار هل هي حقيقة أم تخييل؟

مال ابن حبان، في صحيحه، إلى أنه تخييل، واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين أنه قال: كنت أُكْثر من سؤال النبيّ ﷺ عن الدّجال، فقال لي: «وما يضرك» قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز قال: «هو أهون من ذلك» فمعناه أنه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة، بل يرى كذلك، وليس بحقيقة أي ويدل له الرواية السابقة: أحدهما في رأي العين ماء أبيض، والآخر في رأي العين نار تأجج.

وقال جماعة منهم القاضي ابن العربي: بل هي على ظاهرها، أي فيكون ذلك امتحاناً من الله لعباده، ويكون معنى الحديث: هو أهون من أن يخاف، أو أن يضل الله به من يحبه.

قلت: والتحقيق الأول كما يدل له قوله: فليغمض ثم ليطأطيء رأسه، فيشرب فإنه ماء بارد، وما في رواية: فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه أنها نار، فإنه ماء

عذب بارد، وما في رواية: فالنار روضة خضراء، والجنة غبراء ذات دخان، والفرق بينهما وبين غيرهما من الخوارق، حيث أن لها حقيقة، كما يظهر أن الجنة والنار، لما كانا داريْ جزاء وثواب وعقاب، ينبغي أن لا يكون لغير الله حقيقة، بخلاف غيرهما من الخوارق، والله أعلم.

ومنها: أنه تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، طي فروة الكبش، وأنه يسيح الأرض كلها في أربعين يوماً، وما من بلد إلا وسيطؤها إلا مكة والمدينة، كما سيأتي، وسرعته في السير كالغيث استدبرته الريح.

ومنها: أن له ثلاث صيحات، يسمعها أهل المشرق وأهل المغرب، ويتناول الطير من الجو ويشويه في الشمس [شيّاً][1] رواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر.

ومنها: أنه يخوض البحر في اليوم ثلاث خوضات، لا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيعمد الطويلة في البحر، فيبلغ قعره، فيخرج من الحيتان ما يريد. رواه أبو نعيم عن حذيفة رضي الله عنه.

ومنها: أنه يخرج في خفة من الدين، وإدبار من العلم، فلا يبقى أحد بحاجة في أكثر الأرض، ويذهل الناس عن ذكره، وأن أكثر ما يتبعه الأعراب والنساء، حتى أن الرجل ليراد أمه وبنته وأخته وعمته فيوثقهن رباطاً مخافة أن يخرجن إليه، وأنه يأتي فيقول الأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك، وبعثت لك أمك أتشهد أني ربك فيقول: نعم فيتمثل له شيطان على صورة أبيه، وآخر على صورة أمه فيقولان له: يا بنيّ اتبعه فإنه ربك فيتّبعه، ومن ثم قال حذيفة: لو خرج الدّجال في زمانكم لرمته الصبيان بالخزف، ولكنه يخرج في نقص من العلم وخفة من الدين.

تنبيه:

المراد بالأعراب هنا: كل بعيد عن العلماء ساكن في البادية والجبال، كان من الأعراب والأتراك أو الأكراد أو غير ذلك، لأنهم ليس عندهم ما يميزون به بين الحق والباطل، وأكثر النفوس مائلة إلى تصديق الخوارق.

---

(١) وردت في المطبوعة «شيئاً» وهو تصحيف.

فائدة:

قال الحافظ ابن حجر: أخرج أبو نعيم في ترجمة حبان بن عطية أحد ثقات التابعين من الحلية بسند صحيح إليه قال: لا ينجو من فتنة الدّجال إلا اثني عشر ألف رجل، وسبعة آلاف امرأة قال: وهذا لا يقال من قبل الرأي فيحتمل أن يكون مرفوعاً، أرسله أو أخذه عن بعض أهل الكتاب اهـ.

وينبغي أن يجعل على أن الذين ينجون من الأعراب والنساء هذا القدر لما مر في قصة المهدي، أن معه في الغزو أكثر من هذا بكثير، ويمكن أن يقال إذا رأوه واتبعوه، لكنه بعيد إن شاء الله تعالى، وقد ورد كما مر في قتل عثمان أن كل من في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان اتبع الدّجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره، فعلى هذا كل من بقي من الرافضة على اعتقاده اليوم، ولم يهتدِ بالمهدي للحق، فإنه يتبعه لأن كل رافضي، يحب قتل عثمان وراض به، نسأل الله أن يميتنا على محبة رسول الله وصحابته آمين.

ومنها: أن معه ملكين من الملائكة، يشبهان نبيين من الأنبياء أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فيقول الدّجال: ألست ربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحد الملَكين: كذبت فما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له صاحبه: صدقت، ويسمعه الناس فيحسبون أنه صدق الدّجال، وذلك فتنة في حديث ابن مسعود عند نعيم والحاكم، فإذا قال: أنا رب العالمين قال له الناس: كذبت ويقول اليسع: صدق إلياس، فكان النبيان اللذان يشبههما الملَكان هما «إلياس واليسع».

ومنها: أن الله يبعث له الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها، فيقولون: استعن بنا على من شئت فيقول: نعم انطلقوا، فأخبروا الناس أني ربهم، وأني قد جئتهم بجنتي وناري، فتنطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان، فيتمثلون له بصورة والده ووالدته وإخوته ومواليه ورفيقه، فيقولون: يا فلان أتعرفنا فيقول لهم الرجل: نعم هذا أبي وهذه أمي وهذه أختي وهذا أخي فيقول الرجل: ما أنبأكم فيقول: بل أنت أخبرنا ما نبأك فيقول الرجل: إنّا قد أخبرنا إن عدو الله الدّجال قد خرج، فتقول له الشياطين: مهلاً لا تقل هذا فإنه ربكم يريد القضاء فيكم هذه جنته، قد جاء بها وناره ومعه الأنهار والطعام، فلا طعام إلا ما كان قبله إلا ما شاء، فيقول الرجل: كذبتم ما أنتم إلا شياطين، وهو الكذّاب قد بلغنا أن رسول الله ﷺ قد حدّث

حديثكم، وحذرنا وأنبأنا به فلا مرحباً بكم أنتم الشياطين، وهو عدو الله، وليسوقن الله إليه عيسى بن مريم فيقتله، فيخسئوا فينقلبوا خائبين، ثم قال رسول الله ﷺ: «إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتفقهوه وتعوه، فاعملوا عليه وحدّثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، فإن فتنته أشد الفتن» رواه نعيم.

وروى هو والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود بلفظ، وتأتيه المرأة فتقول: يا رب أحيي ابني وأخي وزوجي، حتى أنها تعانق شيطاناً، وبيوتهم مملوءة شياطين، ويأتيه الأعرابي فيقول: يا رب أحيي لنا إبلنا وغنمنا، فيعطيهم شياطين أمثال إبلهم وغنمهم سواء بالسن والسمة، فيقولون: لو لم يكن هذا ربنا، لم يحيي لنا موتانا، أي وكأن الحديث الأول، وأراد فيمن يكفر به، وهذا فيمن يؤمن به، ويتبعه.

ومنها: أنه يتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها يخوض البحر إلى كعبيه أمامه جبل دخان وخلفه جبل أخضر، ينادي بصوت له يسمع به ما بين الخافقين: إليّ أوليائي أوليائي إليّ أحبابي إليّ أحبابي، فأنا الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدى، وأنا ربكم الأعلى، كذّب عدو الله ليس ربكم كذلك، إلا أن الدّجال أكثر اتباعه اليهود وأولاد الزنا. رواه ابن المنادي عن عليّ كرّم الله وجهه.

ومنها: أنه يأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أي ماشيتهم أطول ما كانت ذوي أي أسنمة وأسبغة أي أطوله ضروعاً، وأمده خواصر، ثم يأتي على القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين أي مقحطين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم. رواه مسلم عن النواس بن سمعان.

ومنها: أنه يمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل. رواه مسلم عن النواس.

واليعاسيب جمع يعسوب، وهو ذكر النحل، والمراد هنا جماعة النحل، لكنه كنّى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته.

ومنها أنه يأتي على النهر فيأمر أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس، رواه نعيم بن حمّاد عن كعب الأحبار.

ومنها: أنه يأمر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا، فينتطحان، ويأمر الريح أن تثير سحاباً من البحر، وتمطر الأرض فتمطر. رواه نعيم عنه أيضاً.

ومنها: أنه يقول: أنا رب العالمين، وهذه الشمس تجري بإذني، أفتريدون أن أحبسها؟ ويقولون: نعم فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، والجمعة كالسنة. ويقول: أتريدون أن أسيّرها؟ فيقولون: نعم فيجعل اليوم كالساعة. رواه نعيم بن حمّاد والحاكم عن ابن مسعود.

ومنها: أن قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله عز وجل السماء في السنة الثالثة فلا تمطر قطرة، ويأمر الأرض فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت، إلا ما شاء الله قيل يا رسول الله: فما يعيش الناس إذا كان ذلك قال: «التسبيح والتكبير يجري ذلك منهم مجرى الطعام» رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه.

ومنها: أنه يسلط على نفس واحدة، فينشرها بالمنشار، حتى يلقيها شقين فيمرّ الدّجال بينهما، ثم يقول: انظروا هذا فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربّاً غيري، ثم يبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله الدّجال، والله ما كنت قط أشد بصيرة فيك مني الآن، فيريد أن يقتله ثانياً فلا يسلطه عليه. رواه ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم وأيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه.

تنبيه:

المنشار بالنون وبالياء المثناة التحتية لغتان فصيحتان من النشر والوشر، وهما بمعنى.

المقام الثالث: في محل خروجه ووقته ومدته وكيفيته وطريق النجاة منه ومن يقتله.

أما محل خروجه فالمشرق جزماً، ثم جاء في رواية: أنه يخرج من خراسان، روى ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر رضي الله عنه وفي أخرى: أنه يخرج من أصبهان، أخرجها مسلم.

وعند الحاكم وابن عساكر من حديث ابن عمر: أنه يخرج من يهودية أصبهان أي محلة خارج أصبهان.

ومثله عند أحمد عن عائشة وعند الطبراني من حديث فاطمة بنت قيس: يخرج من بلدة يقال لها «أصبهان» من قرية من قراها يقال لها «رستاهاد».

وأما وقته فعند فتح قسطنطينية، أي بعده وعند القحط الشديد ثلاث سنين كما مرّ في فتنته، وفي بعض الروايات: أنه بعد فتح القاطع. ووجه الجمع أن ابتداء خروجه ودعواه الخلافة والنبوة، يكون عند فتح القسطنطينية وخروجه الأعظم، ودعواه الإلهية يكون عند فتح القاطع، والمقيد بالأربعين يوماً، هو هذا الخروج.

وأما مدته فأربعون يوماً كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، كذا في حديث النواس بن سمعان عند أحمد ومسلم والترمذي.

وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم والضياء: أن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة، [فلا يبلغ][1] بابها الآخر حتى يمسي.

تنبيه:

اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فمنهم من قاله: هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن، حتى لا يدرون كيف يمضي النهار، فيكون مضي النهار عندهم كمضي الساعة، والشهر كاليوم والسنة كالشهر.

وقال بعضهم: بل هو على ظاهره، فقد ورد من حديث أنس عند أحمد والترمذي في أشراط الساعة: لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار. والجواب عن اختلاف الحديثين إما بالترجيح، وإما بالجمع فإن رجحنا فحديث النواس عند مسلم أقوى لأنه أصح، وإن كان الثاني أيضاً في الصحيح فيقدم

(١) وردت في المطبوعة «يبلغ فلا» وهو خطأ مطبعي.

وإن جمعنا فطريق الجمع من وجوه الأوّل: آن أيامه أربعون سنة، وسمى السنين أياماً مجازاً، ثم أن أول أيام سنته الأولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة، وباقي أيامها كأيامنا، ثم تتناقص أيام السنة الثانية، حتى تكون السنة كنصف سنة، وهكذا إلى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة، حتى يكون آخر أيامه كالشريرة يصبح أحدهم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر، حتى يمسي فتكون السنة الأولى من سنيه مشتملة على مقدار سنين من سنينا، وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنينا، ويقربه رواية نعيم والحاكم المارة عن ابن مسعود أنه يقول: أنا رب العالمين، وهذه الشمس تجري بإذني، أفتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة كالسنة، ويقول: أتريدون أن أسيّرها؟ فيجعل اليوم [كالساعة][1].

فائدة:

سئل النبيﷺ عن الصلاة في اليوم الذي كالسنة، أيكفينا فيه صلاة يوم واحد؟ قال: «لا، ولكن قدّروا له» أي قدّروا مقدار كل يوم، فصلوا فيه خمس صلوات، وقيس به اليومان الآخران.

وسئل عن الأيام القصار، فقالوا: كيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدِّرون فيها الصلاة، كما تقدِّرونها في هذه الأيام الطوال» والظاهر أن التقدير هنا عكس الأول، بأن تصلي الخمس في مقدار يوم من هذه الأيام، ولو اشتمل ذلك على أيام كثيرة، من تلك الأيام والله أعلم.

الوجه الثاني يحتاج إلى مقدمة، هي أن عالم المثال موجود، وأنه ليس خيالاً محضاً، بل حقيقة وهو في الخارج محسوس.

[قال الإمام السيوطي في «المنجلي في تطور الولي» نقلاً عن العلاء القونوي شارح «الحاوي» ما نصه: وقد أثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالم الأجساد وعالم الأرواح، سمّوه عالم «المثال» وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد، وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا على ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة في عالم «المثال»، وقد يستأنس لذلك

---

(١) وردت في المطبوعة «كساعة» خطأ مطبعي.

بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1] انتهى الغرض منه.

وقال في «التفوحات المكية» في الباب الثالث والستين: ظهر الله تعالى هذه الحقيقة يعني حقيقة عالم المثال لعبده، ليعلم أنه إذا عجز وحار في هذا فهو بخالقه أجهل، فإن العقول لا تلحقه بالعدم المحض، ولا بالوجود المحض، ولا بالإمكان المحض، وإلى هذه يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة متجسدة، لا يشك فيها. والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه، وما يراه الميت بعد موته، كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن، والموت يذبح وكلها أعراض ونسب قال، ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس.

إلى أن قال: فإن أدركت العين المتخيل، ولم تغفل عنه لم تختلف عليه التكوينات في الإرادة في مواضع مختلفات، والذات واحدة لا يشك فيها ولا انتقلت ولا تحولت في أكوان مختلفة، فيعلم أنه أدركها ببصره الحس الذي يدرك به المحسوسات، انتهى الغرض منه.

فعلم أنه ليس محض خيال، بل هو مثال محسوس][2]، وقد وقع غير مرة تصديق هذا في الخارج [فها أن رجلاً اغتسل بمصر، فغطس في الماء فكان يوم الجمعة، فلمّا خرج منه، رأىٰ نفسه ببغداد، وتزوج هناك، وجاء بأولاد، وقعد سبع سنين فيها، ثم اغتسل في دجلة، فلما خرج منها رأى نفسه بمصر، بمحل غسله في ذلك اليوم الأول، وتلك الساعة وأهله وأصحابه في انتظاره حتى يرجع، ويلحق الجمعة، ثم بعد مدة قدمت امرأته وأولاده الذين ببغداد عليه ولحقوه بمصر][4]. إذا تمهد هذا فنقول: يحتمل أن يكون هذا من [هذا القبيل][3]، وأنه لبعض الناس أيام، ولبعضهم سنون، والكل موجود محقق، ولهذا ترتب عليه الأحكام، ووجبت الصلاة فيها كما في الحديث المار، وهنا وجه آخر أبعد من هذين فلا نذكره، والله أعلم.

---

(١) سورة مريم، الآية: ١٧.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «التعجيل» وهو تصحيف.

(٤) ساقطة من المطبوعة.

وأما كيفية خروجه فالروايات فيه مختلفة، وأبسط حديث فيه حديث النواس عند مسلم وغيره، وحديث أبي أمامة عند ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم، وحديث ابن مسعود عند نعيم بن حماد والحاكم، وحديث أبي سعيد عند مسلم وعند البخاري معناه، وحديث أبي [سعيد][1] أيضاً [عند][2] الحاكم.

فلنسق هذه الأحاديث مساقاً واحداً، [ولنجمع][3] بين اختلافها بحسب الإمكان والتيسير، ونزيد بعض الزيادات من غيرها. وبالله التوفيق وعليه التكلان.

قال: خطب النبيﷺ فقال: «إنه لم يكن في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال، وأن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة» فخفض فيه، ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلمّا رحنا إليه عرف ذلك منا فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج، وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وأنا حجيج كل مسلم، وأن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وأنه يخرج من «خلّة» أي من طريق بين الشام والعراق، فيعيث أي يفسد يبعث السرايا والجنود يميناً وشمالاً، وإن على مقدمته سبعون ألفاً من يهود أصبهان، عليهم رجل أشعر من فيهم يقول: برو برو أي إسع إسع.

قالﷺ: «يا عباد الله فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة، لم يصفها إياه نبي قبلي، وأنه يبدأ فيقول: إنه نبي ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وأنه أعور، وربكم ليس بأعور، وأنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، أي حروفاً مهجاة هكذا «ك ا ف ر» كما صرّح به في بعض الروايات: «وأن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلى بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً، كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته كذا وكذا» وقد ذكرناها مفصلاً «وأن معه أليسع عليه السلام ينذر الناس

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) وردت في المخطوطة «يجمع» والصواب ما أثبته.

يقول: هذا المسيح الكذّاب فاحذروه، لعنه الله، ويعطيه الله من السرعة ما لا يلحقه الدجال» وفي رواية: «إن بين يديه رجلين، ينذران أهل القرى، كلما دخلا قرية أنذرا أهلها، فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدّجال، ويدخل القرى كلها غير مكة والمدينة، فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعك من حرمه، ويمر بالمدينة فإذا هو بخلقٍ عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل بعثني الله لأمنعك من حرم رسوله» وفي رواية: «وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه، وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما، إلا لقيه الملائكة بالسيوف مصلتة، فيمر بمكة، فإذا رأى ميكائيل ولّى هارباً، ويصيح فيخرج إليه من مكة منافقوها، ويمر بالمدينة كذلك، حتى ينزل عند «الظريب الأحمر» عند منقطع السبخة».

وفي حديث عائشة عند ابن حبان في صحيحه في «كتاب التوحيد»: فيسير حتى ينزل بناحية المدينة، وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان، فيخرج الله شرار أهلها اهـ][1] فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، ويقول لأصحابه: والله لأنطلقن إلى هذا الرجل، فلأنظرن إن هو الذي أنذرنا رسول الله ﷺ أم لا، فيقول له أصحابه: والله لا يدعك تأتيه، ولو أنا نعلم أنه يقتلك، إذا أتيته خلينا سبيلك، ولكنا نخاف أن يفتنك، فيأتي عليهم الرجل المؤمن إلا أن يأتيه فينطلق يمشي، حتى يأتي مسالح الدّجال، أي خفراءه وطلائعه، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الرجل الذي خرج، فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه، فيرسلون إلى الدّجال إنا قد أخذنا من يقول كذا وكذا، أفنقتله أو نرسله؟ قال: أرسلوه إليّ، فينطلقون به إلى الدّجال، فإذا رآه المؤمن عرفه بنعت رسول الله ﷺ، فيقول: [يا أيها الناس][2] هذا الدّجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، فيأمر به الدّجال فيشبح، ثم يقول: لتطيعني فيما أمرتك، وإلا شققتك شقتين، فينادي المؤمن: أيها الناس هذا المسيح

---

(١) ساقط من المخطوطة

(٢) وردت في المخطوطة «أيها الناس» بدون نداء، والأولى ما أثبت.

الكذّاب من أطاعه فهو في النار، فيؤمر به فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، فيقول له الدّجال: والذي أحلف به لتطيعني أو لأشقنك شقتين، فيقول: أنت المسيح الكذّاب فيؤمر به، فيؤشر [بالمنشار][1] من مفرقه، حتى يفرق بين رجليه.

وفي رواية: فمدّ برجله فوضع حديدته على عجب ذنبه فشقه شقين، ويبعد بينهما قدر رمية الغرض، ثم يمشي الدّجال بين القطعتين، ويقول لأوليائه: أرأيتم إن أحييته ألستم تعلمون أني ربكم؟ قالوا: بلى، فيضرب أحد شقيه أو الصعيد عنده، ويقول له: قم، فيستوي قائماً، فلما رآه أولياؤه صدقوه، وأيقنوا أنه ربهم وأجابوه واتبعوه، وقال للمؤمن: ألا تؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة.

وفي رواية يقول: لأنا الآن أشد فيك بصيرة مني، قيل ثم نادى في الناس ألا إن هذا المسيح الكذّاب، وأنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فيقول الدّجال: والذي أحلف به لتطيعني، أو لأذبحنك ولألقينك في النار، فيقول: والله لا أطيعك أبداً، فيأخذه الدّجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً.

وفي رواية: فيوضع على جلده صفائح من نحاس، فلا يحيك فيه سلاحهم، فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به فيحسب الناس، إنما قذفه في النار، وإنما ألقي في الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «هذا أقرب أمره درجة مني، وأعظم الناس شهادة عند رب العالمين».

تنبيه:

هذا الرجل المؤمن هو الخضر عليه السلام على الأصح، كما صرح به في بعض الأحاديث الصحيحة، ودلّ عليه الكشف الصحيح.

[أما الأحاديث فكثيرة، منها ما رواه ابن حبان في «كتاب التوحيد» من صحيحه في ذكر الدّجال، أنه ﷺ قال: «ولعله يدركه بعض من رآني، أو سمع كلامي».

وهذا البعض هو الخضر لأمور، أحدها: أن من عدا الخضر وعيسى عليهما السلام

---

(١) وردت في المطبوعة «الميشار» وهو تصحيف.

لم يبق أحد ممن رآهﷺ بالإجماع، وليس هذا هو عيسى لأن عيسى يقتل الدّجال، وهذا الرجل يقتله الدّجال.

ثانيها: روى الدار قطني في الأفراد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نسيء للخضر في أجله حتى يكذب الدّجال وله شاهد صحيح.

ففي صحيح مسلم عقب رواية عبيد الله بن عبدالله بن عتبة أي عن أبي سعيد الخدري، قال: أبو إسحاق هو إبراهيم بن محمد بن سفيان الزاهد راوي صحيح مسلم عنه يقال: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بعد نقل ذلك: وقال معمر في «جامعه» بعد ذكر هذا الحديث يعني أن الذي يقتله الدّجال هو الخضر، قال الحافظ: وقد يتمسك لمن قاله بما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي عبيدة بن الجراح في ذكر الدّجال رفعه «لعله أن يدركه بعض من رآني، أو سمع كلامي» الحديث اهـ.

فدلَّ هذا الحديث الصحيح على أن بعض الصحابة يدرك الدّجال، ودلَّت رواية الدارقطني على أن هذا المبهم هو الخضر، قال: فصح بالمجموع أن الخضر صحابي، وأنه مؤخر لتكذيب الدّجال، فيصح التمسك بما ذكر في أن الذي يقتله الدّجال، هو الخضر.

ثالثها: في بعض الروايات أن الذي يقتله الدّجال يقول: يا أيها الناس هذا الذي حدثنا عنه رسول الله مكان قوله ذكر رسول الله، والأصل في الكلام الحقيقة، فيكون رسول الله حدثه بلا واسطة، ولا شك أن الحمل على التحديث بوسائط مجازاً، وأما الكشف فقد ذكر ذلك محققو الصوفية، كالشيخ علاء الدولة السمناني وغيره][1].

وقيل: هو أحد أصحاب الكهف لما مر أنهم يكونون من أصحاب المهدي، وهذا القول الثاني ضعيف قاله في «الفتوحات». وترجف المدينة يومئذ ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة، إلا خرج إليه فتنفي المدينة يومئذ خبثها، كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم «يوم الخلاص»، ويكون آخر مدة يخرج إليه النساء حتى أن

(١) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

الرجل ليرجع إلى أمه وبنته وأخته وعمته فيوثقهن رباطاً، مخافة أن تخرج إليه.

وفي رواية: «يوم الخلاص» وما «يوم الخلاص» قاله: ثلاث مرات، يجيء الدّجال فيصدأ حداً، فيطلع فينظر إلى المدينة، ويقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد.

تنبيه:

هذه معجزاتهﷺ، وأخبار منه بأن مسجده يرفع، يبيض بالجص لأنه في زمنه كان مبنياً بالجريد والسعف، وقد وقع ما أخبر به، فإن مسجده الشريف يرى أبيض من مسافة بعيدة، ومنائره تلمع بياضاً، ولعل خروجه قريب، ويرى هذا البناء، والله أعلم.

ثم يأتي إلى المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكاً مصلتاً، فيأتي سبخة الجرف، وفي لفظ: بهذه السبخة ينزل بمرقناة فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فتخلص المدينة وذلك «يوم الخلاص». رواه أحمد والحاكم عن محجن بن الأدرع. فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل، وجلّهم ببيت المقدس، وإمامهم المهدي رجل صالح، فيتوجه إلى الشام فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحصرهم [ويشد] حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً»[1].

وفي رواية: «فيشك الناس فيه أي حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانياً، ويبادر إلى بيت المقدس، فإذا صعد عقبة أفيق وقع ظله عن المسلمين، فيوترون قسيهم لقتاله، فأقواهم من برك أو جلس من الجوع والضعف» وذلك لأن قبل خروج الدّجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد كما مرَّ في فتنته، وإن قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد، حتى إذا طال عليهم الحصار قال رجل: إلى متى هذا الجهد والحصار؟ أخرجوا إلى هذا العدو، حتى يحكم الله بيننا، إما الشهادة، وإما الفتح، هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين بين أن تستشهدوا، أو يظهركم الله عليهم،

---

(١) وردت في المخطوطة «يشتد» والصواب ما أثبته.

فيتبايعون على القتال بيعة، يعلم الله إنها الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه، فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لامة، فيقولون من أنت؟ فيقول: أنا عبدالله وكلمته عيسى، اختاروا إحدى ثلاث أن يبعث الله على الدّجال وجنوده عذاباً جسيماً، أو يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم، فيقولون: هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا، فيومئذ يرى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب، لا تقل يده سيفه من الرعب، فينزلون [إليهم][1]، فيتسلطون عليهم.

وفي رواية: فبينما إمامهم أي المهدي وقد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام للصبح، فرجع المهدي قهقرى ليتقدم عيسى ﷺ يصلي بالناس، ويقال له: يا روح الله تقدم أي يقول له بعض من لم يحرم بالصلاة، فيقول: ليتقدم إمامكم فيصل بكم، ويضع عيسى يده بين كتفيه فيقول له: تقدم، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتح فيفتح، ووراء الدّجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى بوساج، فإذا نظر إليه الدّجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وانطلق هارباً فيقول له عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لُدّ الشرقي فيقتله، ويهزم الله اليهود.

تنبيه:

«لُدّ» بضم اللام وتشديد الدال المهملة بوزن مدّ، بلد بناحية بيت المقدس، بينه وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة دمشق، متصلة نخيله بنخيلها.

وفي رواية لمسلم: فبينما هو أي الدّجال كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرذوتين أي بالذال المعجمة والمهملة، أي مصبوغتين بالهرد وهو شيء أصفر أو بالزعفران أو الورس، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر أي الماء من شعره، وإن رفعه تحدر منه مثل الجُمَان، أي بضم الجيم وتخفيف الميم حبات من الفضة، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار كاللؤلؤ، فلا

(١) ساقطة من المطبوعة.

يحل لكافر يجد من ريح نفسه، إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ، فيقتله.

وفي رواية: ثم ينزل عيسى فينادي من السحر فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذّاب الخبيث، ويسمعون النداء جاءكم الغوث، فيقولون: هذا كلام رجل شبعان، وتشرق الأرض بنور ربها، وينزل عيسى بن مريم، ويقول: يا معشر المسلمين احمدوا ربكم، وسبحوه أي لأنه قوتهم كما مرّ فيفعلون، ويريدون أي أصحاب الدّجال الفرار، فيضيق الله عليهم الأرض، فإذا أتوا باب لُدّ في نصف ساعة، فيوافقون عيسى، فإذا نظر أي الدّجال إلى عيسى يقول أي لبعض أصحابه: أقم الصلاة خوفاً منه فيقول الدّجال: يا نبي الله قد أقيمت الصلاة، فيقول: يا عدو الله زعمت أنك رب العالمين، فلمن تصلي؟ فيضربه بمقرعته فيقتله.

تنبيه:

طريق الجمع بين هذه الروايات أن عيسى صلوات الله عليه، ينزل أولاً بدمشق على المنارة البيضاء، وهي موجودة اليوم لست ساعات من النهار، وقد مر عن الفتوحات أنه يصلي بالناس صلاة العصر، فيحتمل أنه ينزل بعد الظهر، ثم مع اشتغاله بالقرعة بين اليهود والنصارى، يدخل وقت العصر فيصلي بهم العصر، كما في رواية ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثاً للمسلمين، ويلحقهم في صلاة الصبح، وقد أحرم المهدي والناس كلهم أو بعضهم لم يحرموا، فيخرج إليه بعض من لم يحرم بالصلاة، فيأتي والمهدي في الصلاة فيتقهقر، ويقول لعيسى بعض الناس: تقدم لما رأى تقهقر المهدي فيضع يده على كتف المهدي أن تقدم، ويقول للقائل: ليتقدم إمامكم فيجيب المهدي بالفعل، والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله، ثم إذا أصبحوا شرد أصحاب الدّجال، فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لُدّ، فيصادف ذلك صلاة الظهر، فيتحيل اللعين إلى الخلاص منه بإقامة الصلاة، فلما عرف أنه لا يتخلص منه بذلك، ذاب خوفاً منه كما يذوب الملح، فأدركه فقتله، أو أنه ينشيء صلاة في غير وقتها، وهو أدلّ على ضلالته وجهالته بالله.

ويقرب هذا التأويل ما في رواية ابن المنادي عن علي رضي الله عنه: يقتله الله بالشام

على عقبة أفيق لثلاث ساعات يمضين من النهار على يد عيسى بن مريم.

قال في القاموس[1]: أفيق كأمير ومنه عقبة أفيق اهـ.

وهنا وجه آخر أقرب إلى التحقيق، وهو أنه مر أن الصلاة في الأيام القصار، التي هي آخر أيام الدّجال تقدر، فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت، وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار، وبين أنه يصلي بالناس صلاة العصر، وهذا جواب مبني على التحقيق، والله يهدي للحق، وهو يهدي السبيل، ويهزم الله اليهود وأصحاب الدّجال، فلا يبقى شيء مما خلق الله، يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قال: يا عبدالله المسلم هذا يهودي، وفي رواية: هذا دجّال، فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجر اليهود لا ينطق.

قالﷺ: «فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً».

وستأتي قصته مستوفاة إن شاء الله تعالى.

وأما كيفية النجاة منه، فاعلم أن النجاة منه بالعلم والعمل، أما العلم فبأن يعلم أنه يأكل ويشرب، وأن الله منزه عن ذلك وأنه أعور، وأن الله ليس بأعور، وأن أحداً لا يرى ربه حتى يموت، وهذا يراه الناس [أحياء][2] قبل موتهم إلى غير ذلك مما مر، وأما العمل فبأن يلتجىء إلى أحد الحرمين، فإنه لا يدخلها أو إلى المسجد الأقصى أو إلى مسجد طور، ففي بعض الروايات: لا يدخلها أيضاً، وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف[3]، وقد مرت أحاديث ما ذكر فلا نعيدها، و بأن يهرب منه في الجبال والبراري، فإنه أكثر ما يدخل القرى.

فعند عبيد بن عمر: ليصحبن الدّجال أقوام يقولون: إنا لنصحبه وإنا لنعلم أنه كافر، ولكنّا نصحبه نأكل من طعامه، ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل

---

(١) أنظر القاموس المحيط، [مادة بعيق].

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) من قوله تعالى: ﴿الحَمدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبدِهِ الكِتَابَ... إلى قوله تعالى... وَهَيِّىء لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾.

عليهم كلهم. رواه نعيم بن حماد.

وبأن يتفل في وجهه.

فعن أبي أمامة مرفوعاً: فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه رواه الطبراني. وبالتسبيح والتكبير والتهليل فإنه قوت المؤمن في ذلك القحط، وأن من ابتلي به، فليثبت وليصبر وإن رماه في النار فليغمض عينيه، وليستعن بالله تكن عليه برداً وسلاماً، وأما من يقتله فقد علم أنه يقتله عيسى عليه السلام، والحمد لله رب العالمين.

فائدة:

قال ابن ماجة: سمعت الطنافسي يقول: سمعت المحاربي يقول: ينبغي أن يدفع هذا الحديث، يعني حديث الدّجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب اهـ.

وقد ورد أن علامات قرب خروجه نسيان ذكره على المنابر.

خاتمة:

اختلفت الصحابة فمن بعدهم وهكذا هل [الدجال][1] هو ابن الصياد أو غيره على قولين، ولكل أدلة فلنشر إلى الراجح منها بعون الله تعالى، وحسن توفيقه.

وأحسن ما جمع في ذلك كلام الإمام الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في شرح البخاري المسمّى «فتح الباري»: فلنذكر مقاصده ففيه الكفاية إن شاء الله تعالى قال رحمه الله: مما يدلّ على أن ابن الصياد هو الدّجال حديث جابر الذي في البخاري: أنه كان يحلف أن ابن الصياد هو الدّجال، ويقول: سمعت عمر يحلف عند رسول الله ﷺ فلم ينكر عليه، وحديث ابن عمر عند مسلم، وعند الوراق بسند صحيح قال: لقيت ابن الصياد مرتين فذكر المرة الأولى، ثم قال: لقيته أخرى، فإذا عينه قد طفئت، وفي لفظ: قد [نفرت][2] عينه، وهي خارجة مثل عين الجمل، فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري قلت: لا تدري، وهي في

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «نضرت» وهو تصحيف.

رأسك قال: إن شاء الله تعالى جعلها في عصاك هذه، فمسحها ونخر ثلاثاً كأشد نخير حمار سمعت فزعم أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي، حتى أني كسرت وأنا والله ما شعرت، وفي لفظ: وكان معه يهودي فزعم اليهودي أني ضربت بيدي صدره، وقلت: اخسأ فلن تعدو قدرك فذكرت ذلك لحفصة قالت: ما تريد إليه، ألم تسمع أن الدّجال يخرج عند غضبة يغضبها، وفي لفظ: إنما يبعثه على الناس غضب يغضبه، ووقع لابن صياد مع أبي سعيد الخدري قصة تتعلق بأمر الدّجال، فأخرج مسلم من طرق عنه قال: صحبني ابن صياد فقال لي: ألا ترى ما لقيت من الناس، وفي لفظ: لقد هممت أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرة، ثم اختنق به، مما يقول لي الناس: يا أبا سعيد يزعمون أني الدّجال ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه يهودي وقد أسلمت» ويقول: «لا يدخل مكة ولا المدينة وقد ولدت بالمدينة وها أنا أريد مكة» ويقول: «إنه لا يولد له وقد ولد لي» زاد في رواية: «حتى كدت أعذره» ثم قال: «لكني أعرفه وأعرف مولده، وأين هو الآن» وفي رواية: «لو عرض عليَّ أن أكون هو لم أكره» قال فقلت له: تباً لك سائر اليوم».

قال الحافظ: وهذه الأحاديث كلها ليست نصاً، ولا صريحها في أن ابن الصياد هو الدّجال، لأن النبي ﷺ ردد فيه القول فقال: «إن يكون هو» أي، وهذا كان عند أوائل قدومه ﷺ إلى المدينة، ثم لما أخبره تميم الداري جزم بأن الدّجال هو ذلك المحبوس، الذي رآه تميم، وسيأتي حديثه، وأما حلف عمر عند رسول الله فبناء على ظنه وسكوت النبي ﷺ، لأنه كان متردداً فيه إذ ذاك، وأما حلف جابر فبناء على حلف عمر رضي الله عنهما عنده ﷺ، وأما حديث أبي سعيد فغايته أن يكون ابن صياد أحد الدجاجلة، وأحد أتباع الدّجال الكبير، قلت: أو إنه لم يكن سمع النبيّ ﷺ يحدث عن تميم، فقال: بناء على ذلك قال الحافظ: وأما ما أخرجه أبو داود من حديث أبي بكرة مرفوعاً، يمكث أبو الدّجال ثلاثين عاماً لا يولد له، ثم يولد له غلام أعور أضر شيء، وأقله نفعاً، إنه تنام عينه، ولا ينام قلبه، ونعت أباه وأمه، قال: فسمعنا بمولود ولد في اليهود، فذهبت أنا والزبير بن العوام، فدخلنا على أبويه، فإذا النعت الذي نعته النبيّ ﷺ، فقلنا: هل لكما ولد قالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا، ثم ولد لنا غلام أضر شيء وأقله نفعاً، الحديث.

فقال البيهقي في الجواب عنه: تفرد به عليّ بن زيد بن [جذعان][1]، وليس بالقوي.

قال الحافظ: ويوهي حديثه أن أبا بكرة أسلم، حين نزل من الطائف لما حوصرت سنة ثمان من الهجرة.

وفي حديث الصحيحين أنه حين اجتمع به النبيّ ﷺ في [النخل][2] كان كالمحتلم. وفي لفظ: وقد قارب الحلم، فلم يدرك أبو بكرة زمان مولده بالمدينة، وهو لم يسكن المدينة إلا قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين، فكيف يتأتى أن يكون في الزمن النبويّ كالمحتلم؟ فالذي في الصحيحين هو المعتمد، ثم نقل عن البيهقي أنه ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ على حلف عمر، فيحتمل أنه ﷺ كان متوقفاً في أمره، ثم جاء التثبيت من الله تعالى بأنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري.

قال الحافظ: وقد توهم بعضهم أن حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم فرد، وليس كذلك فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر، أما حديث أبي هريرة فأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة وأبو يعلى، وأما حديث عائشة فهو حديث فاطمة المذكور عن الشعبي، قال: ثم لقيت القاسم بن محمد فقال: أشهد على عائشة حدثني كما حدثت فاطمة بنت قيس.

وأما حديث جابر فأخرجه أبو داود بسند حسن، وأما حديث فاطمة بنت قيس فأخرجه مسلم وأبو داود [بمعناه][3] والترمذي وابن ماجة قال الترمذي: حسن صحيح.

ولفظ رواية مسلم قال: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فلمّا قضى صلاته، جلس على المنبر، وهو يضحك فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: «هل تدرون لِمَ جمعتكم» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني والله ما جمعتكم رغبةً ولا رهبةً، ولكن جمعتكم لأن تميماً

---

(١) وردت في المطبوعة «جرعان» والصواب ما أثبت.
(٢) وردت في المطبوعة «البخل» وهو تصحيف.
(٣) وردت في المطبوعة «بحناة» وهو تحريف.

الداري، كان رجلاً نصرانياً فجاء وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدّجال، حدثني أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم [وجذام][1]، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، فارفؤا أي بالهمزة لجأوا إلى جزيرة، حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة أي بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها، وهو سفينة صغيرة، تكون مع الكبيرة، ويكون فيها ركاب السفينة لقضاء الحوائج، فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابة أهلب أي غليظ الشعر كثيره». وفي رواية أبي داود: «فإذا أنا بامرأة تجر شعرها، قالوا: ويلك ما أنتِ؟ قالت: أنا الجَسَّاسة أي [بفتح][2] الجيم وتشديد السين الأولى، سمّيت بذلك لتجسسها الأخبار».

وعن عبدالله بن عمرو أن هذه هي دابة الأرض التي تخرج في آخر الزمان فتكلمهم، فقالت: انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أي خفنا أن تكون شيطانة قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلكَ من أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فاخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، وأخبروه الخبر فقال: أخبروني عن نخل بيسان أي بفتح الموحدة، ولا يقال بالكسر قرية بالشام هل تثمر؟ قلنا: نعم. قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر قال: أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبروني عن عين زُغَر أي؟ بضم الزاي وفتح الغين المعجمتين على وزن صرد، بلدة معروفة من الجانب القبلي للشام هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم قال: كيف صنع بهم: فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: أما أن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم أني أنا المسيح، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، ولا أدع قرية

---

(١) وردت في المطبوعة «خدام» بالخاء، وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «بضم» والصواب ما أثبته.

إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة[1]، هما محرمتان عليّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وأن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها، قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته أي بكسر الميم عصا أو قضيب يكون مع الملك أو الخطيب يشير بها إذا خاطب في المنبر: «هذه طيبة ثلاثاً» يعني المدينة «ألا هل كنت حدثتكم» فقال الناس: نعم «ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق، ما هو» وأومأ بيده إلى المشرق.

قال القاضي عياض: لفظة ما زائدة صلة للكلام ليست نافية، والمراد إثبات أنه من قبل المشرق، وفي بعض طرقه عند البيهقي، أنه شيخ وسنده صحيح، قال البيهقي فيه: أن الدّجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، غير ابن صياد وأحد الدّجالين الكذّابين الذين أخبر النبي ﷺ بخروجهم، وكأن هؤلاء الذين كانوا يقولون: إن ابن صياد هو الدّجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلاّ فالجمع بينهما بعيد جداً، إذ كيف يلتئم من كان في أثناء الحياة النبويّة شبه المحتلم، ويجتمع به النبي ﷺ، ويسأله يكون في آخرها شيخاً مسجوناً في جزيرة من جزائر البحر، موثقاً بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ، هل خرج أو لا فالأولى أن يحمل على عدم الإطلاع قال: وأما إسلام ابن صياد وحجه وجهاده، فليس فيه تصريح بأنه غير الدّجال لاحتمال أنه يختم له بالشر.

فقد أخرج أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» عن حسان بن عبد الرحمن[2] عن أبيه قال: لما افتتحنا أصبهان كان بين [عسكرنا][3] وبين اليهودية فرسخ، فكنا نأتيها، ونمتار منها فأتيتها يوماً، فإذا اليهود يزفنون ويضربون، فسألت صديقاً لي منهم فقال: ملكنا الذي نستفتح به على العرب، يدخل فبتُّ عنده على سطح، فصليت فلمّا طلعت الشمس، إذا الوهج من قبل العسكر، فنظرت فإذا رجل عليه قبة من ريحان، واليهود يزفنون فنظرت فإذا هو ابن صياد، فدخل المدينة فلم يعد حتى الساعة.

قال الحافظ: ما عرفته، والباقون ثقات، قال: وقد أخرج أبو داود بسند صحيح عن جابر قال: فقدنا ابن الصياد يوم الحرّة ورواه غيره بسند حسن وخبر جابر هذا

(١) يقصد بها «المدينة المنورة».

(٢) وردت في المخطوطة «عبد الرحمن بن حسان».

(٣) وردت في المطبوعة «عسكونا» وهو تصحيف.

يضعف خبر أنه مات بالمدينة، وأنهم صلّوا عليه، وكشفوا عن وجهه، ولا يلتئم أيضاً مع خبر جسان بن عبد الرحمن المار، لأن فتح أصبهان كان في خلافة عمر، كما أخرج أبو نعيم في «تاريخها» وبين قتل عمر ووقعة الجرة نحو أربعين سنة، لأن وقعة الحرة كانت في زمن يزيد، وغاية ما يعتذر عنه أن القصة إنما شاهدها والد حسان بعد فتح أصبهان هذه المدة، ويكون جواب لما في قوله: لما افتتحنا أصبهان، محذوفاً تقديره: صرت أتعاهدها وأتردد إليها فجرت قصة ابن صياد.

وقد أخرج الطبراني في الأوسط مرفوعاً من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أنّ الدّجال يخرج من أصبهان، ومن حديث عمران ابن حصين رضي الله عنه.

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه: أنه يخرج من [يهود][1]أصبهان، قال أبو نعيم: كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان، وإنما سمّيت اليهودية، لأنها كانت تختص بسكنى اليهود، ولم تزل كذلك إلى أن مصرها أيوب بن زياد أمير مصر في زمن المهدي وابن المنصور العباسي، فسكنها المسلمون، وبقيت منها[2]لليهود قطعة.

هذا ملخص كلام الحافظ ابن حجر، وحاصله أن الأصح أن الدّجال غير ابن صياد وإن شاركه ابن صياد في كونه أعور، ومن اليهود وأنه ساكن في يهودية أصبهان إلى غير ذلك، وذلك لأن أحاديث ابن صياد كلّها محتملة، وحديث الجَسَّاسة نص فيقدم.

قلت: ومما نرجح أنه غيره أن قصة تميم الداري متأخرة عن قصة ابن صياد فهو كالناسخ له، ولأنه حين إخباره ﷺ بأنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق كان ابن الصياد بالمدينة، فلو كان هو لقال: بل هو المدينة، لا يقال إنما لم يقل خوفاً عليه من أن يقتلوه، فأخبر بما يؤل إليه أمره، لأنا نقول: هذا ليس بشيء إذ كيف يقتلون شخصاً قبل أجله، والمقدر أنه إنما يقتله نبي الله عيسى عليه السلام، ولو كان كذلك لما بين ضئضيء الخوارج، بأن له أصحاباً كذا وكذا. ولما بين قاتل عليّ كرّم الله وجهه، بأنه يخضب لحيته من يافوخه، ولما بين الحكم بن العاصي، بأنه يخرج من صلبه من يغيّر سننه إلى غير ذلك.

---

(١) وردت في المطبوعة «يهودية».

(٢) ساقطة من المخطوطة.

ويؤيده أيضاً ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير بن نفير، وشريح ابن عبيد، وعمر بن الأسود، وكثير بن مرة قالوا جميعاً: الدّجال ليس هو إنسان، وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، لا يعلم من أوثقه سليمان أو النبي ﷺ أو غيره، فإذا آن ظهوره فكَّ الله عنه كل عام حلقة، فإذا برز أتاه أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعاً، فيضع على ظهرها منبراً من نحاس، ويقعد عليه، وتتبعه قبائل الجن يُخرجون له خزائن الأرض.

قال الحافظ: وهذا لا يمكن مع كون ابن صياد هو الدّجال، ولعل هؤلاء مع كونهم ثقاة تلقوا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب. انتهى.

ولا ينافي ذلك قوله: في بعض جزائر اليمن، لأنه يحتمل أن قوله ﷺ في قصة تميم الداري من قبل المشرق باعتبار آخر وقته حين يخرج.

وذكر ابن وصيف المؤرخ: أن الدّجال من ولد شق الكاهن المشهور قال: ويقال بل هو شق نفسه أنظره الله تعالى، وكانت أمه جنّية عشقت أباه، [فأولدها][1]، وكان الشيطان يعمل له العجائب، فأخذه سليمان فحبسه في جزيرة من الجزائر.

لكن قال الحافظ: هذا واه جداً قال: وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن الصياد هو الدّجال أن الذي شاهده تميم موثقاً هو الدّجال بعينه، وأن ابن صياد شيطانه ظهر في صورة الدّجال في تلك المدة التي قدّر الله تعالى [لخروجه]، والله أعلم اهـ.

فإن قيل كيف يحكم بكفر ابن صياد فضلاً عن كونه دجّالاً بعد أن ثبت إسلامه وحجه وجهاده، والأصل بقاؤه على الإسلام إلى الموت قلت: قوله في حديث أبي سعيد لا يكره أن يكون دجالاً، ولو عرض عليه ذلك لقبله دلّ على عدم إسلامه في [الباطن] إذ كيف يرضى المسلم أن يدّعي الربوبية أو النبوة، فهذا الذي جوّز الحكم بذلك، والله أعلم وبالله التوفيق.

---

(١) وردت في المطبوعة «فإنه ولدها».

تذنيب:

اشتملت قصة الدّجال على جملة من الأشراط:

منها القحط الشديد ثلاث سنين، وقد مرَّ حديثه وإليه الإشارة بقولهﷺ: «تكون بين يدي الساعة سنوات خداعات، يصدق فيها الكذّاب، ويكذب الصادق» الحديث.

ومنها تقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار.

ومنها إخراج كنوزها، وكأن هذا يقع في زمن كل من المهدي وعيسى والدّجال، فيخرج لكل منهم شيء منها لكنه في زمنهما رحمة، وفي زمن الدّجال بلاء وامتحان.

ومنها خروج الشياطين وإتيانهم [بالأخبار][1] الكاذبة، وقراءتهم قرآناً على الناس وقد مرَّ أحاديث جميع ذلك.

ومنها كفر أقوام بعد إيمانهم ورجوعهم إلى عبادة الأوثان.

أخرج الطيالسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يرجع ناس من أمتي إلى عبادة الأوثان، يعبدونها» وأحاديث كثيرة.

ومن الأشراط القريبة نزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال تعالى: **﴿وإِنَّ مِن أَهْلِ الكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِننَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾**[2] وقال تعالى: **﴿وإنه لعلم الساعة فلا تمترن بها﴾**[3] وقرىء في الشواذ: العَلَم بفتح العين واللام بمعنى العلامة.

وعن أبي هريرة أنه قال: قال رسول اللهﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[4] الحديث رواه الشيخان.

---

(١) وردت في المطبوعة «الأخيار» والصواب ما أثبت.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦١.

(٤) البخاري، كتاب البيوع، باب: قتل الخنزير، رقم: ٢١٠٩. مسلم في الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبيناﷺ، رقم: ١٥٥.

وفي رواية مسلم عنه: «والله لينزل ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب» بنحوه.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» رواه مسلم.

والكلام عليه في مقامات في حليته وسيرته ووقت نزوله ومحله وما يجري على يديه من الملاحم ومدته وموته، وأما اسمه ونسبه ومولده فكل ذلك معلوم مما مر آنفاً.

المقام الأول ـ في حليته وسيرته:

أما حليته فعند البخاري من حديث عقيل بن خالد: أنه أحمر جعد، عريض الصدر.

وفي رواية: آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال، سبط الشعر، ينطِف أي بكسر الطاء المهملة، أي يقطر، زاد في رواية: له لِمّة بكسر اللام وتشدد وتشديد الميم كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجّلها أي بتشديد الميم سرحها، وفي رواية: لمة بين منكبيه رجل الشعر، يقطر رأسه ماء.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة، والبياض سبط الرأس زاد في حديث أبي هريرة بنحوه، كأنما خرج من ديماس يعني الحمام، ولا منافاة بين الحمرة والأدمة لجواز أن تكون أمته صافية، كما مر في الدّجال، لا يجد ريح نفَسه بفتح الفاء كافر إلا مات، عليه مهرودتان إلى غير ذلك كما مرَّ أكثرها.

وأما سيرته: فإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير والقردة، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله، ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه، ولا يرغب في اقتناء المال أي للعلم بقرب الساعة، ويرفع الشحناء والتباغض، أي لفقد أسبابها غالباً، وينزع سم كل ذي سم، حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب، فلا تضرهم، ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها، ويملأ الأرض سلماً، وينعدم القتال، وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم، حتى يجتمع النفر على

القطف من العنب، فيشبعهم وكذا الرمانة، وترخص الخيل لعدم القتال، ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها، ويكون مقرراً للشريعة النبوية لا رسولاً إلى الأمة، ويكون قد علم بأمر الله في السماء قبل أن ينزل وهو نبي، ومع ذلك فهو من أمة محمدﷺ، وصحابي لأنه اجتمع بهﷺ ليلة الإسراء، وحينئذ فهو أفضل الصحابة، وقد ألغز التاج السبكي في ذلك حيث يقول:

مـن باتفـاق جميـع الخلق أفضل من ... خير الصحاب أبي بكـر ومـن عمـر
ومن علـيّ ومـن عثمان وهـو فتـى ... من أمة المصطفى المختار مـن مضـر

وتسلب [قريش][1] ملكها.

قال ابن حجر الفقيه في «القول المختصر» وسبقه إليه السخاوي في «القناعة»: معناه لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته، فلا يعارض ذلك خبر: لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي من الناس اثنان. انتهى.

قلت: ويدلّ لما قاله حديث جابر عند مسلم: فيقول أميرهم: أي لعيسى، تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة، وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدي هو الأمير حتى في زمن عيسى، ويكون مراجعته في الأمور لعيسى عليهما السلام، وهذا وجه آخر في الجمع بين اختلاف الروايات في مدة ملك المهدي، بأن التسع ونحوه محمول على ما بعد نزول عيسى والأربعين ونحوه باعتبار أن جميع المدة حتى في زمن عيسى، وقد مرت الإشارة إلى ذلك والله أعلم.

فإن قيل: كيف يصح معنى حديث لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان، مع أنا نشاهد أن قريشاً لم تملك منذ قرون، قلنا: معنى هذا الحديث استحقاق الخلافة لقريش، وإن ظلمها ظالم ولا شك أن عيسى عليه السلام يظهر كمال العدل، فلا يجوز أن يأخذ حقهم، وبالله التوفيق.

المقام الثاني ـ في وقت نزوله ومحله وما يجري على يديه من الملاحم:

وقد سبق اختلاف الروايات في محل نزوله والجمع بين الروايات، وفي وقته. ونشير إلى

(١) وردت في المطبوعة «قريض» وهو تصحيف.

حاصل الجمع ههنا إجمالاً وهو أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، أي وهي موجودة اليوم واضعاً كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار، حتى يأتي مسجد دمشق يقعد على المنبر، فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود، وكلهم يرجونه حتى لو ألقيت شيئاً لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم، ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى، فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين، وحينئذ يؤذن مؤذنهم، وتخرج اليهود والنصارى من المسجد، ويصلي بالمسلمين صلاة العصر، ومرَّ الجمع بين نزوله لست ساعات، وكونه يصلي العصر فراجعه، ثم يخرج عيسى عليه السلام بمن معه من أهل دمشق في طلب الدّجال، ويمشي وعليه السكينة والأرض تقبض له، وما أدرك نفسه من كافر قتله، ويدرك نفسه حيث أدرك بصره حتى يدركهم بصره في حصونهم وقرياتهم إلى أن يأتي بيت المقدس، فنجده مغلقاً قد حصر الدّجال، فيصادف ذلك صلاة الصبح كما مرَّ ومر قتله الدّجال اللعين، وسيأتي هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه، فهذا المقام الثاني لا نحتاج إلى ذكره.

المقام الثالث ـ في مدته ووفاته:

أما مدته، فقد ورد في حديث عند الطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة»، وفي لفظ للطبراني: «يخرج الدّجال فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً» [وعند ابن أبي شيبة وأحمد وأبي داود وابن جرير وابن حبان عنه: أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون، ويدفنونه عند نبيناﷺ].

وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود: وينزل عيسى فيقتله أي الدّجال لعنه الله فيتمتعون أربعين سنة، لا يموت أحد ويقول الرجل لغنمه ولدوابه: اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرع لا تأكل منه سنبلة والحيات والعقارب، لا تؤذي أحداً والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحداً، ويأخذ الرجل المُدّ من القمح فيبذره بلا حرث، فيجيء منه سبعمائة مُدّ فيمكثون في ذلك حتى يكثر سد يأجوج ومأجوج الحديث.

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدّجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً».

وأخرج أحمد في الزهد عن أبي هريرة قال: يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء: سيلي عسلاً لسالت، وفي رواية: خمسة وأربعين سنة، والقليل لا ينافي الكثير، ولعل روايات الأربعين وردت بإلقاء الكسر، وفي رواية: سبع سنين وجمع بعضهم بأنه كان حين رفع ابن ثلاث وثلاثين، وينزل سبعاً فهذه أربعون، وقد علمت أن القليل لا ينافي الكثير فلا حاجة إلى هذا الجمع.

وعند أحمد وابن جرير وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير، ويمحي الصليب، وتجمع له الصلاة، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء، فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما، وفي رواية مسلم وابن أبي شيبة عنه: ليهلن عيسى بن مريم [بفج][1] الروحاء بالحج أو العمرة، أو لينشئهما جميعاً. الفج الطريق، والروحاء: مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة.

وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر عنه: ليهبطن ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، وليسلكن [فحاجّاً][2] أو معتمراً، أو ليأتين قبري حتى يسلّم عليَّ، ولأردن عليه، قاله أبو هريرة: أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام.

وأخرج الحاكم عن أنس قال: قال ﷺ: «من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرئه مني السلام» وورد أنه يتزوج بعد ما ينزل، ويولد له ثم يموت بالمدينة، ولعل موته عند حجه وزيارته النبي ﷺ، وإلا فهو إنما يكون ببيت المقدس.

وأخرج الترمذي وحسنه وابن عساكر عن عبد الله بن سلام قال: مكتوب في التوراة صفة محمد ﷺ وعيسى ابن مريم يدفن معه.

---

(١) وردت في المطبوعة «بفخ» بالخاء، وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «فجاحاً» بالحاء، ولعله خطأ مطبعي.

وأخرج البخاري في تاريخه، والطبراني وابن عساكر عنه قال: «يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ، وصاحبيه فيكون قبره رابعاً».

وذكر البقاعي في «سر الروح» أن ابن المراغي قال في «تاريخ المدينة» وفي «المنتظم» لابن الجوزي عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له فيمكث خمساً وأربعين سنة، ثم يموت فيه فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر. وعزاه القرطبي في آخر «تذكرته» إلى أبي حفص الميانشي أهـ.

تذنيب:

وقع لبعض جهلة عوام الحنفية أنه ادعى أن كلاً من عيسى والمهدي يقلدان مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وذكره بعض مشايخ الطريقة ببلاد الهند في تصنيف له بالفارسية شاع في تلك الديار، وكان بعض من يتوسم بالعلم من الحنفية، ويتصدر للتدريس يشهر هذا القول، ويفتخر به ويقرره في مجلس درسه بالروضة النبوية، فذكر لي ذلك فأنكرته، فلما بلغه إنكاري نسبني إلى التنقيص في حق الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وحاشاه من ذلك، ولو سمعه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لأفتى بتعزير أو تكفير قائله، ثم بعد مدة وقفت للشيخ علي القاري الهروي نزيل مكة المشرفة رحمه الله على تأليف سماه «المشروب الوردي في مذهب المهدي» نقل فيه هذا القول ورد عليه رداً شنيعاً، وجهله فأرسلت بالكتاب لمجلس درسه، فقرىء عليه، وافتضح بين تلامذته فلننقل كلام الشيخ علي هنا مختصراً، فإنه أعون على قبول عوام الحنفية، فإنهم جامدون على نقول أهل مذهبهم، وإن لم يتعلق بالفقه. قال رحمه الله: ولقد عارضني في هذه القضية يعني مسألة التقليد المذكورة من هو عار من الفضيلة بالكلية، وأبرز نقلاً مما كتب في قفا الدفاتر يقطع ببطلانه، حتى ذو العقل القاصر، ومع هذا فهو منقول من كتاب مجهول، وقد صرّح الإمام ابن الهمام بعدم جواز النقل من غير الكتب المتداولة سواء العلوم الأصلية والفرعية، ثم إن ركاكة ألفاظه ومبانيه تدل على بطلان معانيه، وها أنا أذكره بلفظه لتحيط به علماً حيث قال، ولم يخش ما علمه من الوبال، وغضب الملك المتعال: اعلم أن الله قد خصّ أبا حنيفة بالشريعة والكرامة، ومن كراماته أن الخضر عليه السلام كان يجيء إليه كل يوم وقت الصبح، وتعلّم منه أحكام الشريعة إلى خمس

سنين، فلمّا توفي أبو حنيفة ناجى الخضر ربه قال: إلهي إن كان لي عندك منزلة فأذن لأبي حنيفة حتى يعلمني من القبر على حسب عادته، حتى أعلم شرع محمدﷺ على الكمال، ليحصل لي الطريقة والحقيقة فنودي أن أذهب إلى قبره، وتعلم منه ما شئت، فجاءه الخضر، وتعلّم منه ما شاء كذلك إلى خمس وعشرين سنة أخرى، حتى أتم الدلائل والأقاويل ثم ناجى الخضر ربه وقال: إلهي ماذا أصنع فنودي أن أذهب إلى صعانك واشتغل بالعبادة إلى أن يأتيك أمري إلى أن قال له: اذهب إلى البقعة الفلانية، وعلّم فلاناً علم الشريعة، ففعل الخضر عليه السلام ما أمر، ثم بعد مدة ظهر في مدينة [ما وراء الهند][1] شاب، وكان اسمه أبا القاسم القشيري، وكان يخدم أمه يحترمها، ثم إنه قال وقتاً من الأوقات لأمه: يا أماه قد حصل لي الحرص على طلب العلم، وقد قال عليّ كرّم الله وجهه: من كان في طلب العلم كانت الجنة في طلبه فأذني لي حتى أذهب إلى بخارى، وأتعلّم العلم فتفكّرت والدته، وقالت: إن لم أعطه الأذن أكون مانعة للخير، وإن أذنت له لم أصبر على فراقه، فلم يكن لها بد حتى أذنت له فودّع القشيري أمه، وعزم على السفر مع شاب صاحب له يطلبان العلم، فقعدت أمه على الباب باكية حزينة، وقالت: إلهي اشهد أني حرمت على نفسي الطعام والمنزل، ولا أقوم من مقامي، حتى أرى ولدي. فمضى القشيري وصاحبه حتى نزلا في منزل ليأكلا فيه طعاماً، فقام القشيري ليقضي حاجته فتلوثت ثيابه ببوله، وقال لصاحبه: اذهب أنت فإني أريد أن أرجع إلى المنزل، وأخاف أن تصيب النجاسة جسمي في المنزل الثاني، ويصيب روحي في الثالث فقعودي عند والدتي أولى، ورجع إلى أمه وكانت قاعدة على مكانها التي ودعت ابنها فيه، فقامت وتصافحت مع ولدها، وقالت: الحمد لله فأمر الله تعالى الخضر أن اذهب إلى القشيري وعلّمه ما تعلّمت من أبي حنيفة رضي الله عنه، لأنه أرضى أمه فجاء الخضر إلى أبي قاسم، وقال: أنت أردت السفر لأجل طلب العلم، وقد تركته لرضا أمك، وقد أمرني الله تعالى أن أجيء إليك كل يوم على الدوام، وأعلّمك. فكل يوم يجيء إليه الخضر حتى ثلاث سنين، وعلّمه العلوم التي تعلّم من أبي حنيفة في ثلاثين سنة حتى علّمه علم الحقائق والدقائق، ودلائل العلم وصار مشهور دهره، وفريد عصره، حتى صنّف ألف كتاب، وصار كرامة وكثر مريدوه

---

(١) وردت في المطبوعة «ما رواه الهو» وهو خطأ مطبعي.

وتلاميذه، فكان له مريد كبير متدين لا يفارق الشيخ، فعد له الشيخ ألف كتابْ من مصنفاته، ووضعه في الصندوق، وأعطى لذلك المريد وقال: قد بدا لي أمر، فاذهب وأرم هذا الصندوق في جيحون[1] فحمل المريد الصندوق وخرج من عند الشيخ وقال في نفسه: كيف أرمي مصنفات الشيخ في الماء، لكن أذهب وأحفظ الكتب وأقول للشيخ: رميتها، وحفظ الكتب، وجاء وقال للشيخ: رميت الصندوق في الماء قال الشيخ: وما رأيت في تلك الساعة من العلامات؟ قال: ما رأيت شيئاً، قال الشيخ: اذهب وارم الصندوق، فذهب المريد إلى الصندوق، وأراد أن يرميه، فلم يهن عليه ورجع إلى الشيخ مثل الأول، وقال: رميته؟ قال: نعم. قال: وما رأيت؟ قال: لم أرَ شيئاً قال الشيخ: ما رميته فاذهب وارمه، فإن لي فيها سراً مع الله، ولا ترد أمري فذهب المريد، ورمى الصندوق فخرج من الماء يد، وأخذ الصندوق، قال المريد له: من أنت؟ فنادى في الماء: أني وكلت أن أحفظ أمانة الشيخ، فرجع المريد، وجاء إلى الشيخ فقال: رميت؟ قال: نعم. قال: وما رأيت؟ قال رأيت الماء قد انشق، وخرج منه يد وأخذ الصندوق، وقد صرت متحيراً، وما السر في ذلك؟ قال الشيخ: السر في ذلك أنه إذا قربت القيامة، وخرج الدّجال، ونزل عيسى ببيت المقدس، فيضع الإنجيل بجنبه ويقول: أين الكتاب المحمدي؟ وقد أمرني الله أن أحكم بينكم بكتابه، ولا أحكم بالإنجيل، فيطلبون الدنيا، ويطوفون بالبلاد، فلم يوجد كتاب من كتب الشرع المحمدي، فيتحيّر عيسى ويقول: إلهي بما أحكم بين عبادك، ولم يوجد غير الإنجيل، فينزل جبريل، ويقول: قد أمر الله أن تذهب إلى نهر جيحون، وتصلي ركعتين بجنبه، وتنادي: يا أمين صندوق أبي القاسم القشيري سلِّم إليّ الصندوق، وأنا عيسى بن مريم، وقد قتلت الدّجال، فيذهب عيسى إلى جيحون، ويصلي ركعتين، ويقول مثل ما أمره جبريل، فينشق الماء ويخرج الصندوق، ويأخذه ويفتح، ويجد فيه ختمه وألف كتاب فيحيي الشرع بذلك الكتاب، ثم سأل عيسى جبريل بم نال أبو القاسم هذه المرتبة؟ قال: برضاء والدته. نقل من كتاب «أنيس الجلساء» اهـ.

قال الشيخ علي: ولا يخفى أنْ هذا مع ركاكته ولحنه، كلام بعض الملحدين الساعين

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجمه [٢/ ١٩٦]: «اسم وادي بخراسان على وسط مدينة يقال لها «جيهان» فنسبه الناس إليها.

في إفساد الدين إذ حاصله أن الخضر، الذي قال تعالى في حقه: ﴿عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمناه من لدنا علماً﴾[1] وقد تعلَّم منه موسى عليه السلام، من جملة تلاميذ أبي حنيفة، ثم عيسى وهو من أولي العزم يأخذ أحكام الإسلام من تلميذ تلميذ أبي حنيفة، و ما أسرع فهم التلميذ حيث أخذ عن الخضر في ثلاث سنين ما تعلَّمه الخضر من أبي حنيفة حيّاً وميتاً في ثلاثين سنة، وأعجب منه أن أبا القاسم القشيري ليس معدوداً في طبقات الحنفية، ثم العجب من الخضر أنه أدرك النبيﷺ، ولم يتعلَّم منه الإسلام ولا من علماء الصحابة الكرام كعليّ باب مدينة العلم وأقضى الصحابة وزيد أفرضهم، وأبي أقرئهم، ومعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام، ولا من عظماء التابعين كالفقهاء السبعة وسعيد بن المسيب بالمدينة، وعطاء بمكة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام، وقد رضي بجهله بالشريعة حتى تعلَّم مسائلها في أواخر عمر أبي حنيفة. قال: فهذا مما لا يخفى بطلانه حتى على العقول السخيفة، حتى أن علماء المذهب أخذوا هذه المقالة على وجه السخرية، وجعلوها دليلاً على قلة عقل الطائفة الحنفية، حيث لم يعلموا أن أحداً منهم لم يرضَ بهذه القضية بالكلية، ثم لو تعرضت لما في منقوله من الخطأ في مبانيه ومعانيه الدالة على نقصان معقوله، لصار كتاباً مستقلاً إلا أني أعرضت عنه صفحاً لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2] فبطل قول القائل بل وكفر فيما ظهر لا سيما فيما أبرز بالنسبة إلى نبي الله عيسى المجمع على نبوته سابقاً ولاحقاً، فمن قال بسلب نبوته كفر حقاً كما صرَّح به الإمام السّيوطي فإن النبي لا يذهب عنه وصف النبوة، ولا بعد موته. وأما حديث لا وحي بعدي، باطل لا أصل له نعم ورد لا نبي بعدي ومعناه عند العلماء أنه لا يحدث بعده نبي بشرع ينسخ شرعه، وقد صرح الإمام السبكي في تصنيف له: أن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة نبينا بالقرآن والسنة، وحينئذ يترجح أن أخذه للسنة من النبيﷺ بطريق المشافهة من غير الواسطة أو بطريق الوحي والإلهام، وقد روي عن أبي هريرة: أنه لما أكثر الحديث، وأنكر عليه الناس قال: لئن نزل عيسى بن مريم قبل أن أموت لأحدثنه عن رسول اللهﷺ، فيصدقني. فقوله: فيصدقني دليل على أن عيسى عليه

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

السلام، عالم بجميع سنة النبيﷺ من غير احتياج، إلى أن يأخذها عن أحد من الأمة، حتى أن أبا هريرة الذي سمع من النبيﷺ احتاج إلى أن يلجأ إليه لصدقه فيما رواه، ويزكيه فإن قلت: هل ثبت أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يأتيه الوحي؟ فالجواب: نعم ثبت في حديث النواس بن سمعان عند مسلم وغيره، فإن فيه: فيقتل عيسى الدجال عند باب لُدّ الشرقي فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم، أني قد أخرجت عباداً من عبادي، لا يدان لك بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور الحديث، ثم الظاهر أن الجائي إليه بالوحي هو جبريل، بل هو الذي نقطع به، ولا نتردد فيه لأن ذلك وظيفته، وهو السفير بين الله وبين أنبيائه، لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة.

وقد أخرج أبو حاتم في تفسيره: أنه وكل جبريل بالكتب والوحي إلى الأنبياء.

وأما ما اشتهر على ألسنة العامة: أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبيﷺ، فلا أصل له، وقد ورد في غير ما حديث نزوله إلى الأرض كحضور موت من يموت على طهارة، ونزوله ليلة القدر، و منعه الدجال من دخول مكة والمدينة إلى غير ذلك، ثم وقفت على سؤال رفع إلى شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني: هل ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حافظاً للقرآن العظيم ولسنة نبينا الكريم؟ أو يتلقى الكتاب والسنة عن علماء ذلك الزمان؟ فأجاب: لم ينقل في ذلك شيء صريح، والذي يليق بمقام عيسى عليه السلام أنه يتلقى ذلك عن رسول اللهﷺ، فيحكم في أمته كما تلقاه عنه، لأنه في الحقيقة خليفة عنه اهـ.

ما أردنا نقله من كلام العلامة الشيخ علي القاري الحنفي عامله الله باللطف الخفي، وهو في غاية النفاسة، ثم رد أيضاً قول القائل: أن المهدي يقلد الإمام أبا حنيفة رحمه الله بالأدلة الشافية، لكنه قرر أنه مجتهد مطلق، وهو يخالف ما مر عن الشيخ محيي الدين في «الفتوحات» أن المهدي لا يعلم القياس ليحكم به وإنما يعلمه ليجتنبه، فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله الذي بعثه الله إليه يسدده، وذلك هو الشرع الحنيفي المحمدي الذي لو كان محمدﷺ حيّاً، ورفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إن بحكم المهدي، فيعلم أن ذلك هو الشرع المحمدي، فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها، ولذا قالﷺ في صفته: «يقفو أثري، لا يخطىء»

فعرفنا أنه متبع لا مشرع. انتهى كلام الفتوحات.

فعلى هذا المهدي ليس بمجتهد، لأن المجتهد يحكم بالقياس، وهو يحرم عليه الحكم بالقياس، ولأن المجتهد قد يخطيء وهو لا يخطيء قط، فإنه معصوم في أحكامه لشهادة النبيﷺ له، وهذا مبني على عدم جواز الاجتهاد في حق الأنبياء، وهو التحقيق وبالله التوفيق.

ثم نقول: إن كلام القائل المذكور باطل من وجوه كثيرة، منها: ما أشار إليه الشيخ علي القاري، ومنها أن أبا القاسم القشيري من الفقهاء الشافعية ومشايخه في الفقه والكلام والتصوف معلومة، كما تنطق به رسالته المتداولة في أيدي المسلمين شرقاً وغرباً، ومنها أنه لا يعرف له من التأليف غير كتاب الرسالة والتفسير، وكتب أخر معدودة لا تبلغ ألف ورقة فضلاً عن ألف كتاب، ومنها أن في زمن المهدي النازل عيسى في زمانه الفقهاء في سائر المذاهب باقية، وإنهم أكبر أعداء المهدي لذهاب جاههم وعلمهم، والقرآن باق إذ ذاك، لم يرفع بعد، ومنها إنه كيف يجوز أن يتحيّز عيسى، ويعطل أحكام المسلمين إلى أن يذهب إلى نهر جيحون، ويخرج الكتب وكم من حدود وخصومات ووقائع تقع في تلك المدة، ومنها أن جبريل إذا نزل عليه، وأمره بأن يذهب إلى جيحون فنزوله عليه بالوحي، ما المانع منه فليعلمه شرع النبيﷺ، ولا يحوجه إلى كتب أبي القاسم، ومنها أن الخضر المعلِّم لأبي القاسم حي عند نزول عيسى، فإنه الذي يقتله الدّجال ثم يحييه، فلمَ لا يعلِّم عيسى، كما علَّم أبا القاسم حتى يكون بين عيسى وبين الإمام أبي حنيفة واسطة واحدة، ومنها أن المسلمين في الصلاة حين نزول عيسى، وإن المؤذن يؤذن وإنه يقول للمهدي: تقدم فإنها لك أقيمت فإن لم يكن القرآن باقياً والمذاهب باقية، كيف يصلون؟ وكيف تصح صلاتهم؟ وقد قالﷺ في حقهم: «إنهم ملحقون بالقرون الثلاثة التي هي خير القرون» ومنها أن الخضر الذي يخاطب ربه ويناجيه ويحييه ربه، وينادي لم يسأل ربه أن يعلِّمه الإسلام من غير واسطة أحد، حتى يتعلَّم من قبر أبي حنيفة رضي الله عنه، ومنها أن الخضر إما أن يكون مأموراً بتعلّم شرع النبيﷺ أو لا. فإن كان مأموراً به فتركه التعلّم إلى زمن أبي حنيفة رضي الله عنه، بل إلى بعد موته، وهو إنما مات في سنة مائة وخمسين، ترك للواجب وكيف يجوز للمعصوم أن يترك الواجب مائة وخمسين سنة، إذ الأصح أنه نبي وإن لم يكن مأموراً بذلك وإنما هو

زيادة تحصيل للكمال، فلمَ لم يأخذه من النبيﷺ غضاً طرياً، وإن لم يعلم أنه كمال إلا بعد موت أبي حنيفة رضي الله عنه، فقد جوّز الجهل بالكمال على الأنبياء، ومنها أن عيسى عليه السلام معصوم مطلقاً، والمهدي معصوم في الأحكام، والإمام أبو حنيفة مجتهد، والمجتهد قد يصيب وقد يخطىء، ولذا خالفه صاحباه في أكثر من ثلث قوله فكيف يقلد من لا يخطىء قط من يخطىء ويصيب، ومنها أن جميع فقه أبي حنيفة يمكن أن تجمع أصوله وفروعه في كتاب واحد أو كتابين، فما الذي في ألف كتاب؟ إن كان معرفة الله أو الحقائق أو السلوك أو غير ذلك يلزم أن يكون عيسى ما كان عرف الله قبل ذلك، واعتقاد ذلك كفر وإن كان غير ذلك فليبين ما فيها، ومنها إن من مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن يقبل الجزية من الكفار، ويخرج الزكاة، ويبقي الصليب والخنزير في يدهم، وأن لا يجمع بين الصلاتين. وعيسى عليه السلام، لا يقبل الجزية، ولا يخرج الزكاة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وتجمع له الصلاة إلى غير ذلك، فإن كانت هذه الأحكام في كتب أبي القاسم القشيري، فقد خالف أبا حنيفة، فيلزم أن يكون مجتهداً مطلقاً، وحينئذ فيكون الفضل له لا لأبي حنيفة، وإن لم يكن في كتبه يلزم أن يكون عيسى لم يعمل بها في مذهب أبي حنيفة، ومنها مفاسد كثيرة لا تنحصر ولا تسعها هذه الأوراق تظهر لمن تتبع الأحاديث المارة في هذا الكتاب، ثم إن مثل هؤلاء لفرط تعصبهم وعنادهم ليس مطمح نظرهم إلا تفضيل أبي حنيفة [ولربما][1] يؤدي إلى الكفر، وليس عندهم علم بفضائله الجمّة التي ألفت فيها الكتب، فيرضون بالأكاذيب والافتراءات التي لا يرضاها الله ورسوله ولا أبو حنيفة نفسه، ولو سمعها أبو حنيفة رضي الله عنه لأفتى بكفر قائلها، وفي فضائل أبي حنيفة المقررة المحررة كفاية لمحبيه، ولا يحتاج في إثبات فضله إلى الأقوال الكاذبة المفتراة المؤدية إلى تنقص الأنبياء.

ومن العجائب أنه وقع للقهستاني، مع فضله وجلالته، شيء من ذلك فقال في «شرح خطبة النقاية» أن عيسى إذا نزل، عَمِل بمذهب أبي حنيفة كما ذكره في الفصول الستة، وليت شعري ما الفصول الستة، وما الدليل على القول فإنا لله وإنا إليه

---

(١) وردت في المطبوعة «ولو بها» فعله سهو من الناسخ.

راجعون. فعليك باتباع السنة الغراء، فإنها حرز وحصن من الأهواء والآراء، وجنة من سهام الشيطان المريد لعنه الله، وإياك والاغترار بأمثال هذه الترهات الباطلة، ودع التعصب فإنه باب عظيم من أبواب الشيطان الرجيم [اللّهم][1] إنا نعوذ بك من شر الشيطان ونفثه ونفخه، ونسألك التوفيق لما تحب وترضى، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين آمين.

ومن الأشراط العظيمة القريبة خروج يأجوج ومأجوج:

وهي من الفتن العظام، وقد أشير إليهم في غير آية فقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾[3]، وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن أبين» الحديث رواه ابن ماجة عن حذيفة بن أسيد.

والأحاديث الواردة فيهم كثيرة، والكلام عليهم في مقامات في نسبهم وحليتهم وسيرتهم وخروجهم وإفسادهم وهلاكهم.

المقام الأول ـ في نسبهم:

وفي ذلك أقوال: أحدها أنهم من بني آدم بني [يافث][4] بن نوح، وبه جزم وهب وغيره، واعتمده كثير من المتأخرين، وقيل: إنهم من الترك.

قال الضحاك: وقيل يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم.

وعن كعب الأحبار: هم من ولد آدم من حواء، وذلك أن آدم نام فاحتلم، فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله منها يأجوج ومأجوج، ورد بأن النبي لا يحتلم،

---

(١) وردت في المطبوعة «الهم» وهو تصحيف.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٤.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.
(٤) وردت في المطبوعة «يابث» وهو تصحيف.

وأجيب بأن المنفي أن يرى في منامه في أنه يجامع، فيحتمل أن يكون دفق الماء فقط، وهو جائز كما يجوز أن يبول.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: والأول هو المعتمد وإلا فأين كانوا حين الطوفان؟

وقال النووي في «الفتاوى»: يأجوج ومأجوج من أولاد آدم من غير حواء عند جماهير العلماء، فيكونون إخوتنا لأب.

قال الحافظ: ولم يرد هذا عن أحد السلف إلا عن كعب الأحبار، قال: ويرده الحديث المرفوع: إنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعاً.

وعن أبي هريرة رفعه: ولد لنوح سام وحام ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم، وولد لحام القبط والبربر والسودان، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة.

قال الحافظ: وفي سنده ضعف.

المقام الثاني - في حليتهم وسيرتهم:

أما حليتهم: فأخرج ابن أبي حاتم من طريق شريح بن عبيد عن كعب قال: هم ثلاثة أصناف صنف أجسادهم [كالأرز][1]، وهو بفتح الهمزة وسكون الراء ثم زاي معجمة، وهو شجر كبير جداً.

قال في النهاية: هو شجر الأرز، وهو خشب معروف، وقيل: شجر الصنوبر، وصنف منهم أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون إحدى آذانهم، ويلتحفون الأخرى، ووقع في حديث حذيفة نحوه.

وأخرج هو والحاكم من طريق أبي [الجوزاء][2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يأجوج ومأجوج شبراً شبراً، وشبرين شبرين وأطولهم ثلاثة أشبار.

---

(١) وردت في المخطوطة «الأرزاي».

(٢) وردت في المطبوعة «الحوراء» وهو تصحيف

وأخرج عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بني ذو القرنين على إحدى وعشرين، وكانت منهم قبيلة غائبة في الغزو وهم الأتراك، فبقوا دون السد.

وأخرج ابن مردويه من طريق السدي قال: الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج، تغيبت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجاً.

وأخرج أحمد والطبراني عن خالد بن عبدالله بن حرملة عن [خالته][1] مرفوعاً: إنكم تقولون لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب [الشعور][2]، من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة.

قلت: وهذا [يؤيد][3] أن الترك قبيلة منهم والصهبة بين الحمرة والسواد، ورجل أصهب وامرأة صهباء.

وأما سيرتهم: أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رفعه قال: إن يأجوج ومأجوج قل ما يترك أحدهم من صلبه ألفاً من الذرية.

[وللنسائي][4] من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: أن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاؤوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه: إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاؤوا، وشجر يلقحون ما شاؤوا الحديث.

وأخرج الحاكم وابن مردويه من طريق عبدالله بن عمران: يأجوج ومأجوج من ذرية آدم، ووراءهم ثلاث أمم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً.

وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي وعبد بن حميد عن ابن عمر بنحوه، وزاد فسمّى الأمم الثلاث. «تأويل، وتأريس، ومنسك».

---

(١) وردت في المخطوطة «خالية» وهو تحريف.

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) وردت في المطبوعة «يؤذي».

(٤) وردت في المخطوطة «والنسائي».

وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبدالله بن سلام مثله .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبدالله بن عمرو قال : الجن والإنس عشرة أجزاء ، فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس .

وقد جاء في خبر مرفوع : أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم . وهو فيما أخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححاه . عن أبي هريرة رفعه في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم : ارجعوا فتخرقونه غداً فيعيده الله كأشد ما كان ، حتى إذا بلغ مدتهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم : ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله تعالى ، واستثنى قال : فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه ، فيخرقونه فيخرجون على الناس . الحديث .

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ، ورجال بعضهم رجال الصحيح .

قال ابن العربي : في هذا الحديث ثلاث آيات : الأولى : أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً ، الثانية : منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بالسلم أو الآلة ، فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه أي مع أنه ورد في خبرهم عند وهب أن لهم أشجاراً وزروعاً وغير ذلك من الآلات ، الثالثة : أنه صدهم أن يقولوا : إن شاء الله تعالى حتى يجيء الوقت المحدود .

قال الحافظ : وفيه أن فيهم أهل صناعات وأهل ولاية وسلاطة ورعية ، تطيع من فوقها وأن فيهم من يعرف الله ويقدر بقدرته ومشيئته ، ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها ، فيحصل المقصود ببركتها ، ثم روى لكل من الاحتمالين حديثاً فقال : وعند عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة وقال فيه : فإذا جاء الأمر ألقى على بعض ألسنتهم [فنأتي][1] إن شاء

---

(١) وردت في المطبوعة «فأتى» .

الله تعالى، فنفرغ منه.

وعند ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه: فيصبحون وهو أقوى منه بالأمس، حتى يسلم رجل منهم حين يريد الله أن يبلغ أمره، فيقول المؤمن: غداً نفتحه إن شاء الله تعالى، فيصبحون ثم يغدون عليه، فيفتح. الحديث وسنده ضعيف. انتهى كلام الحافظ.

وحاصله يحتمل أن يلقي إن شاء الله تعالى على لسان أحدهم، وهو أقوى، ويحتمل أن يسلم واحد منهم كما يدل على كل رواية ولا يرد الأول ما رواه نعيم بن حماد في الفتن عن ابن عباس مرفوعاً قال: «بعثني الله حين أسريَ بي إلى يأجوج ومأجوج، فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس كما هو واضح».

المقام الثالث ـ في خروجهم وإفسادهم وهلاكهم:

فقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدّجال وهلاكه على يد عيسى عليه السلام وغيره قال: ثم يأتيه يعني عيسى قوم قد عصمهم الله من الدّجال، فيمسح وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر، فيشربون ما فيه حتى يتركونه يبساً حتى أن من يمر من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرة، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة، ويمرون ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خيراً من مائة دينار.

ـ وفي رواية لمسلم وغيره: فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلمّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فردّها الله عليهم مخضوبة دماً.

وفي رواية: ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي إلى السماء، فترجع إليه مخضبة دماً للبلاء، فيرغب نبي الله وأصحابه إلى الله، فيرسل عليهم النغف في رقابهم، وفي رواية: دوداً كالنَّغَف في أعناقهم وهو بفتح النون والغين المعجمة دود يكون في أنوف الإبل والغنم، فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون الا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو، فيتجرد رجل منهم محتسباً نفسه قد وطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي يا معشر المسلمين إلا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم، فتشكَّر عنه بفتح الكاف، أي تسمن بأحسن ما شكَرت عن شيء، وحتى إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم، ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأ زهمهم، أي شحمهم ونتنهم أي ريحهم من الجيف، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيستغيثون بالله فيبعث ريحاً يمانية غبراء، فتصير على الناس غماً ودخاناً، وتقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاث، وقد قذفت جيفهم في البحر، وفي رواية: فيرغب نبي اللهعيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، وفي رواية: في النار. ولا منافاة فإن البحر يسجر فيصير ناراً يوم القيامة، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، أي المرآة بحيث يرى الإنسان فيها وجهه من صفائها، ثم يقال للأرض: انبتي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين.

فائدة:

اختلفوا في اشتقاق يأجوج ومأجوج، فقيل: من أجج النار، وهو التهابها، وقيل: من الأجّة بالتشديد وهي الاختلاط أو شدة الحر، وقيل: من الأجّ، وهو سرعة العدو وقيل: من [الأجاج][1]، وهو الماء الشديد الملوحة، وعلى التقادير كلها وزنها يفعول

(١) وردت في المطبوعة «الأجاجة».

ومفعول، وهو ظاهر قراءة عاصم فإنه وحده قرأه بالهمزة، وكذا قرأه الباقين إن كانت الألف مسهلة من الهمزة، وقيل: فاعول من يج ومج، وقيل: مأجوج من [ماج][1] إذا اضطرب ووزنه أيضاً مفعول قاله أبو حاتم، قال: والأصل مؤجوج وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم، ويؤيد الاشتقاق، وقول من جعله من ماج قوله تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾[2] وذلك حين يخرجون من السد.

خاتمة:

اشتملت قصة عيسى عليه السلام على جملة من الأشراط فلنشر إليها:

منها قتال اليهود، أخرج مسلم عن أبي هريرة[3]: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود.

ومنها قتال يأجوج ومأجوج، أخرج أحمد والطبراني عن خاله خالد بن عبدالله بن حرملة: إنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور، من كل حدب ينسلون.

ومنها مطر لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، أخرج أحمد عن أبي هريرة لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً لا تكن منه بيوت المدر ولا بيوت الوبر.

ومنها انقطاع الجهاد ورجوع الناس حرّاثين، أخرج الطبراني عن أبي أمامة: لا تقوم الساعة حتى ترجعوا حرّاثين.

ومنها نزول الخلافة في الأرض المقدسة، أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن حوالة: إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل، والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك، وكان وضع يده على رأسه وهذا إن أُريد مطلق الخلافة فقد وقع في زمن بني أمية، فيكون من القسم الأول

---

(١) وردت في المطبوعة «ملج».

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٩.

(٣) مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنىٰ أن يكون مكان الميت من البلاء. . . ، رقم: ٨٢.

وقد ذكرنا هناك بعض الأمور العظام، وإن أريد الخلافة الكاملة فسيكون في زمن المهدي وعيسى، والأمور العظام هي الدابة والشمس والنار والريح إلى غير ذلك، ويدل للثاني وآخر الحديث: الساعة يومئذ أقرب إلى آخره.

ومنها كثرة المال، أخرج الشيخان[1] عن أبي هريرة: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وفي رواية: حتى يكثر المال فيكم وقد ذكر هذا في القسم الأول، ولا مانع أن تكون الرواية الثانية: إشارة إلى ما وقع في زمن عثمان وعمر بن عبد العزيز لقرينة قوله فيكم يعني الصحابة. والرواية الأولى، لما سيقع في زمن المهدي وعيسى عليهما السلام ولذا ذكرناه في القسمين.

ومنها أن يكون رأس الثور بالأوقية، أخرج ابن أبي شيبة عن قيس: لا تقوم الساعة حتى يقوم رأس البقرة بالأوقية، أي وذلك في حصار يأجوج ومأجوج لعيسى وأصحابه، كما مر.

ومنها نشوف بحيرة طبرية كما مرَّ، أنها يشربها يأجوج ومأجوج.

ومنها رخص الخيل وغلاء الثور، أخرج ابن ماجة وابن خزيمة وغيرهما عن أبي أمامة: أن من أشراطها أن يكون الفرس بالدريهميات، ويكون الثور بكذا وكذا مائة دينار قيل وما يرخص الخيل يا رسول الله قال: «عدم الجهاد» قيل: فما يغلي الثور قال: «إن الأرض تحرث كلها».

ومنها نزول البركات ونزع سم كل صاحب سم إلى غير ذلك.

ومن الأشراط القريبة خراب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة، وخروج أهلها منها، أخرج أبو داود عن معاذ مرفوعاً: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدّجال.

---

(١) البخاري، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، رقم: ١٣٤٦، مسلم، كتاب الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم: ١٥٧.

وروى الطبراني: سيبلغ البناء سلعاً، ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها، فيقول: قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان، وعفو الأثر.

وروى أحمد نحوه بإسناد حسن.

وروى أيضاً برجال ثقات: المدينة يتركها أهلها، وهي مرتبطة قالوا: فمن يأكلها؟ قال: السباع والعوافي.

وفي الصحيحين[1]: لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافي الطير والسباع - وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة. الحديث.

وروى ابن زبالة وتبعه ابن النجار: لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدي هذا الكلاب والذئاب والضباع، فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه، فما يقدر عليه.

وروى ابن شبة بسند صحيح حديث: أما والله لتدعنها مذللة أربعين عاماً للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطير والسباع.

ورواه ابن زبالة بنحوه.

وروى الديلمي في مسند الفردوس عن عوف بن مالك قال: تخرب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة.

وروى عن أبي هريرة: لا تقوم الساعة حتى يجيء الثعلب، فيربض على منبر رسول الله ﷺ، فلا ينهضه أحد.

وروى ابن أبي شيبة حديث: ليخرجن أهل المدينة منها، ثم يعودون إليها، ليخرجن منها ثم لا يعودن إليها أبدا، وليدعنها خير ما تكون مونقة.

وروى أيضاً عن عمر نحوه مرفوعاً، وقد مرَّ في القسم الأول الترك الأول، وهذا هو الترك الثاني، وسبب خرابها والله أعلم بهم يخرجون مع المهدي إلى الجهاد، ثم ترجف بمنافقيها وترميهم إلى الدّجال، ثم يبقى فيها المؤمنون الخلص، فيهاجرون إلى بيت

---

(1) البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب: من رغب عن المدينة، رقم: ١٧٧٥، مسلم، كتاب الحج، باب: في المدينة حين يتركها أهلها، رقم: ١٣٨٩.

المقدس، فقد ورد ستكون هجرة بعد هجرة، وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر إبراهيم الحديث، ومن بقي منهم تقبض الروح الطيبة، التي يأتي ذكرها أرواحهم فتبقى خاوية، وهذا سر خرابها قبل غيرها.

تنبيه:

روى المرجاني في «أخبار المدينة» عن جابر مرفوعاً: ليعودن هذا الأمر أي الدين إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمان إلا بها. الحديث.

وروى النسائي عن أبي هريرة: آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة [ورواه الترمذي بنحوه، وقال: حسن غريب][1].

ورواه ابن حبان بلفظ: آخر قرية من الإسلام خراباً المدينة، وصح أن الدين ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها، وهذه الروايات بحسب الظاهر تنافي الروايات السابقة، وطريق الجمع بينها أن الفتن تعم الدنيا كلها كما مرَّ في خروج المهدي، ويبقى أهل المدينة مع المهدي فيأرز الدين إلى المدينة حينئذ، لأنهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق، فإنه إذا كان الإمام الحق موجوداً فمن لم يعرفه، ولم يبايعه مات ميتة جاهلية، فهذا محط أن الدين ليأرز إلى المدينة، ثم إنها تنفي خبثها في زمن الدّجال، وتخرج منافقيها ويبقى فيها الإيمان الخالص بخلاف بيت المقدس وغيرها من البلدان، فإنه يبقى فيهم أهل الذمة والمنافقون لأنهم إنما يؤمنون بعد نزول عيسى، وهذا محط حديث جابر، حتى لا يكون إيمان إلا بها أي إيمان خالص لا يشوبه نفاق، ثم إنه تجيء الريح الباردة الآتية فيها بعد فتقبض كل مؤمن ومؤمنة، وإنها تأتي من الشام أو اليمن، أو من كليهما كما جمع به بين الروايتين، ولا شك أن التي تأتي من الشام تبدأ بأهل الشام، وإن التي تأتي من اليمن تبدأ بأهل اليمن، فلا تنتهيان إلى المدينة إلا بعد هلاك أهل الأقليمين من المؤمنين فيكون آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة، وهذا محط حديث أبي هريرة الذي عند النسائي والترمذي وابن حبان ثم إنها حينئذ لا يكون بها غير المؤمنين لأنها تخلصت في زمن الدّجال، فبمجرد موتهم تخرب، وتبقى بقية الدنيا

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

عامرة بسرار الناس، وعليهم تقوم الساعة كما يأتي فيها بعد إن شاء الله تعالى، وهذا مما ظهر لي عند كتابتي لهذا المحل، ولعله ليس بعيداً عن الصواب، ولم أقف في كلام أحد عليه، فإن يكن خطأ فهو مني لا من أحد، ونسأل الله السداد وإنما ذكرته هنا، وإن كان يصلح أن يذكر بعد طلوع الشمس والدابة أيضاً لأن ابتداء خرابها بالخروج عنها كما دلّت عليه الأحاديث، والخروج يكون في زمن عيسى فلهذا ذكرناه هنا والله أعلم.

ومنها خروج القحطاني والجهجاه والهيثم والمقعد، وغيرهم بعد عيسى والمهدي عليهما السلام، أخرج أبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعاً: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدّجال، ويمكث أربعين عاماً يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنتي، ويموت فيستخلفون بأمر عيسى رجلاً من بني تميم يقال له: «المقعد» فإذا مات المقعد لم يأتِ على الناس ثلاث سنين، حتى يرفع القرآن من صدور بعضهم، ويبدو النقص فيهم ليوافق ما يأتي من بقاء الدين مدة مديدة بعد عيسى.

وأخرج الطبراني عن علياء السلمي قال: لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من الموالي يقال له «جهجاه».

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له «جهجاه».

وأخرج الشيخان[1] عنه: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

وأخرج الطبراني في [«الكبير»][2] وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن النبيﷺ قال: «ستكون من بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه».

وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال: بلغني أن المهدي يملك أربع

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب: ذكر القحطان، رقم: ٣٣٢٩، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل. . .، رقم: ٢٩١٠.

(٢) وردت في المطبوعة «الكثير» وهو تحريف.

عشرة سنة ببيت المقدس، ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له «المنصور» أي وهو القحطاني يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة، ثم يقتل ثم يملك الموالي ويمكث ثلاث سنين، ثم يقتل ثم يملك بعده هيثم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام.

وأخرج نعيم بن حماد عن كعب قال: يموت المهدي ثم يلي الناس بعده رجل من أهل بيته فيه خير وشر، شره أكثر من خيره يغضب الناس يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة بقاؤه قليل يثور به رجل من أهل بيته فيقتله.

وأخرج أيضاً عن [الزهري][1] قال: يموت المهدي موتاً ثم يصير الناس بعده في فتنة، ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم فيبايع له فيمكث زماناً، ثم ينادي منادٍ من السماء ليس بإنس ولا جان، بايعوا فلاناً ولا ترجعوا على أعقابكم بعد الهجرة، فينظرون فلا يعرفون الرجل، ثم ينادي ثلاثاً ثم يبايع المنصور فيسير إلى المخزومي فينصره الله عليه، فيقتله ومن معه.

وأخرج أيضاً عن كعب قال: يتولى رجل من بني مخزوم ثم رجل من الموالي، ثم يسير الرجل من العرب جسيم طويل عريض ما بين المنكبين، فيقتل من لقيه حتى يدخل بيت المقدس فيموت موتاً، ثم تكون الدنيا شراً مما كانت ثم يلي بعده رجل من مضر، يقتل أهل الصلاح ظلوم غشوم ثم يلي من بعد المضري اليماني القحطاني يسير بسيرة المهدي، وعلى يديه تفتح مدينة الروم.

وأخرج أيضاً عن الوليد عن معمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما القحطاني بدون المهدي».

وأخرج أيضاً عن عبدالله بن عمر قال: يعد الجبابرة الجابر ثم المهدي ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العصب. وأخرج أيضاً عن ابن عمر وقال ثلاث أمراء يتوالون [يفتح الله][2] الأرض كلها عليهم صالح الجابر، ثم المفرج ثم ذو العصب، يمكثون أربعين

---

(١) وردت في المطبوعة «الدهري» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «تفتح» هكذا بدون لفظ الجلالة وبالتاء، ولعله سهو من الناسخ.

سنة، ثم لا خير في الدنيا بعدهم.

وأخرج أيضاً عن كعب قال: يكون بعد المهدي خليفة من أهل اليمن من قحطان أخو المهدي في دينه يعمل بعمله، وهو الذي يفتح مدينة الروم، ويصيب غنائمها.

وأخرج أيضاً عن أرطاة قال: بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاماً، ثم يموت على [فراشه][1]، ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرين سنة، ثم يموت قتيلاً بالسلاح، ثم يخرج من بيت النبي ﷺ مهدي حسن السيرة، يغزو مدينة قيصر، وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ، ثم يخرج في زمانه الدّجال.

تنبيه:

هذه الأحاديث أكثرها متعارضة، وقد قال الفقيه ابن حجر في «القول المختصر»: الذي يتعيّن اعتقاده ما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظَر الذي يخرج الدّجال وعيسى في زمانه، ويصلي عيسى خلفه، وأنه المراد حيث أطلق المهدي والمذكورون قبله لم يصح فيهم شيء، والذين بعده أمراء صالحون أيضاً لكن ليسوا مثله فهو الأخير في الحقيقة انتهى.

أقول: غاية ما يمكن في الجمع أن المهدي الكبير هو الذي يفتح الروم، ويَخرج الدجال في زمنه، ويصلي عيسى خلفه، وأن الخلافة تكون له ولقريش من بعده وأن عيسى لا يسلب قريشاً ملكها رأساً، وإنما يكون إليه المشورة وهو الحكم فيهم يعلمهم الدين، ومن إشارة إلى ذلك ثم يلي بعد المهدي رجل من أهل بيته في سيرته، ويكون القحطاني مع المهدي في زمانه ومعنى فتحه لمدينة الروم، كما ورد عن كعب أنه يكون أميراً على السرية التي يرسلها المهدي إلى فتح مدينة الروم، فيفتحها في حال تابعيته لا في حال خلافته ومتبوعيته [ثم يموت عيسى][2]، ثم بعد عيسى يتولى باستخلافه المقعد، وهو أيضاً من قريش فإذا مات تولى من قريش من لا يحسن سيرته، فيخرج عليه المخزومي ولعله «الجهجاه» ويدعو إلى الفرقة فيخرج إليه القحطاني بسيرة المهدي وهو

---

(١) وردت في المطبوعة «فرسه» وهو تصحيف.

(٢) ساقطة من المطبوعة.

الملقب «بالمنصور» وهو المراد برجل من تبع وبرجل من اليمن، ويمكث إحدى وعشرين سنة، والذي قال عشرين ألغى الكسر، ثم تنتقص الدنيا ويملك الموالي ويغلب الشر إلى أن تطلع الشمس من المغرب. والله أعلم.

ومن الأشراط [العظيمة][(1)] هدم الكعبة وسلب حليها وإخراج كنزها:

أخرج الشيخان[(2)] والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة».

وأخرج أحمد عن ابن عمرو نحوه، وزاد: يسلبها حليها ويجردها من كسوتها، فكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله.

[وأخرج الأزرقي عنه: يجيش البحر بمن فيه من السودان، ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا إلى الكعبة، فيخربونها والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى صفته في كتاب الله تعالى، أفيحج أصيلع أفيدع، قائماً يهدمها بمسحاته.

وأخرج الحاكم عن الحارث بن سويد قال: سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: حجّوا قبل أن لا تحجوا فكأني أنظر إلى حبشي أصمع وأفدع بيده معول يهدمها حجراً حجراً، فقلت له شيء تقوله برأيك أو سمعته من النبيﷺ فقال: لا والذي فلق الحبة، وبرأالنسمة ولكني سمعته من نبيكم][(3)].

وفي الصحيحين كأني به أسود أفحج يهدمها حجراً حجراً، وفي حديث عليّ كرَّم الله وجهه عند أبي عبيد في غريب الحديث من طريق أبي العالية قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصلع، أو قال: أصمع أحمش الساقين قاعد عليها، وهي تهدم.

---

(1) وردت في المطبوعة «العظام».

(2) البخاري، كتاب الحج، باب: قوله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس...﴾ رقم: ١٥١٤. مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم: ٢٩٠٩.

(3) ساقط من المخطوطة.

ورواه الفاكهني من هذا الوجه ولفظه: أصعل بدل أصلع وقال: قائماً عليها يهدمها بمسحاته.

ورواه يحيى الحماني في مسنده من وجه آخر عن عليّ مرفوعاً، ورواه الأزرقي عنه بنحوه.

تنبيه:

السويقتان: تصغير الساقين أي دقيق الساقين كما هو غالب في سوق الحبشة، والأصلع من ذهب شعر مقدم رأسه، والأصيلع تصغيره، [والأفيدع][1] تصغير الأفدع، وهو من في يديه اعوجاج، والأصعل الصغير الرأس، والأصمع الصغير الأذنين، وتبلى: الكبير الأذن والأسود واضح [والأفحج][2]: المتباعد الفخذين.

قال في «فتح الباري»: ووقع في هذا الحديث عند أحمد من طريق سعيد بن سمعان عن أبي هريرة بأتم من هذا السياق، ولفظه: يبايع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم يجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه، [ورواه بهذا اللفظ الأزرقي في «تاريخ مكة» والحاكم وصححه][3] وفي رواية عنه مرفوعاً: لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة.

تنبيه آخر:

[قيل][4] هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾[5] ولأن الله ردَّ عن مكة الفيل، ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين، وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في

---

(١) وردت في المطبوعة «وإلاّ فيدع» وهو خطأ مطبعي.
(٢) وردت في المطبوعة «وإلاّ فج».
(٣) ساقطة من المخطوطة.
(٤) وردت في المطبوعة «قبل» بالباء.
(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

آخر الزمان، قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله، وفيه أنه يخالف ما يأتي عن كعب أنه يقع في زمن عيسى والأولى [ما أشار][1] إليه في «فتح الباري» وهو أن يقال قد أشارﷺ إلى الجواب في الحديث بقوله: «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله» ففي زمن أصحاب الفيل ما كان أهله استحلوه، فمنعه الله منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه إلا بعد استحلال أهله له مراراً، فقد استباحها أهل الشام في زمن يزيد بأمره ثم الحجاج في زمن عبد الملك بأمره، ثم القرامطة بعد الثلاثمائة، فقتلوا من المسلمين في المطاف ما لا يحصى وقلعوا الحجر، ونقلوه لبلادهم وقد مرَّ جميع ذلك في القسم الأول، فلمّا وقع استحلاله من أهله مراراً أمكن الله غيرهم من ذلك أيضاً على أنه ليس في الآية استمرار إلاّ من المذكور فيه.

خاتمة:

اختلفوا في هدم الكعبة هل هو في زمن عيسى أو عند قيام الساعة حين لا يبقى أحد يقول: الله الله؟

فعن كعب أنه في زمن عيسى وكذا قال الحليمي: وأن الصريخ يأتي عيسى عليه السلام بذلك فيبعث إليه طائفة ما بين الثمانية إلى التسعة، وقيل: هدمها في زمانه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج يحج الناس ويعتمرون كما ثبت، وإن عيسى يحج أو يعتمر أو يجمعهما، ولا ينافيه ما ورد: لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت، وفي لفظ: استكثروا من الطواف بهذا البيت قيل: إن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة.

قال الحافظ ابن حجر: وجدت في كتاب «التيجان» لابن هشام أن عمر بن عامر كان مَلَكاً متوجاً وكان كاهناً معمراً، وإنه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف «بمُزَيْقِيَا» لمّا حضرته الوفاة: إن بلادكم ستخرب، وإن لله في أهل [اليمن][2] سخطتين ورحمتين، فالسخطة الأولى، هدم سد مأرب خراب البلاد بسببه، والثانية: غلبة الحبشة على اليمن والرحمة الأولى بعثه نبي من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك

---

(١) وردت في المطبوعة «ما شاء» وهو تصحيف

(٢) وردت في المطبوعة «اليمين» وهو تصحيف.

والثانية: إذا خرب بيت الله يبعث الله رجلاً يقال له: شعيب بن صالح فيهلك من خربه، ويخرجهم حتى لا يكون في الدنيا إيمان إلا بأرض اليمن.

قال الحافظ: إن ثبت هذا علم منه اسم القحطاني وسيرته وزمانه اهـ.

قلت: ليس فيما ذكر إن ذلك هو القحطاني، ولم لا يجوز أن يكون شعيب بن صالح التميمي القادم بالرايات السود إلى المهدي، وإنه يرسله عيسى إليه حين يأتيه الصريخ، ويؤيده كون لقبه «المنصور» وبتقدير أن يكون هو إياه فجائز أن يكون قبل خلافته، ويكون فيمن أرسله عيسى أميراً عليهم، وكونه رحمة لأهل اليمن لا يلزم أن يكون منهم، ويكفي في كونه رحمة لهم كونه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى إيمان إلا باليمن، ثم إن الحجاز من اليمن، ولذا يقال للكعبة: يمانية، ومنه يعلم أن ليس في هذا دليل على تأخر إيمان أهل اليمن عن أهل المدينة، حتى يتعارض الحديثان، ويؤيد ذلك وأن المراد باليمن الحجاز أن الخلافة حينئذ تكون بالأرض المقدسة، لا باليمن والله أعلم.

وأيما كان فهذا أيضاً يدل على تقدم هدمها على موت المؤمنين، ولكن يبقى احتمال أن يكون بعد الدابة، لما مرَّ أنها تخرج ليلة المزدلفة، وأنها تطوف على الناس بمنى إلا أن يقال: إنها تحج بعد خرابها أو هدمها، وإن مكة تبقى [معمورة][1] بعدها وقيل: إن هدمها بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة، حتى ينقطع الحج ولا يبقى في الأرض من يقول: الله الله، ويؤيد هذا أن زمن عيسى كله زمن سلم وخير وبركة وأمن، وإنها قبلة المسلمين. والحج إليها أحد أركان الدين فينبغي أن تبقى ببقاء المسلمين، وإنها تهدم مع رفع القرآن، وسنشير إليه ثم أيضاً إن شاء الله تعالى.

فائدة:

قال الفقهاء: إذا هدمت الكعبة والعياذ بالله فعرصتها بمنزلتها، فمن صلّى خارجها جاز استقبالها مطلقاً، ولو كان أعلا منها كمن صلّى على أبي قبيس[2] ومن صلى فيها لا

---

(١) وردت في المطبوعة «مغمورة» بالغين، وهو تصحيف.

(٢) قال ياقوت الحموي في معجمه [١/ ٨٠]: «اسم الجبل المشرف على مكة، سُمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قيس، لأنه أول مَن بنى فيه قبة».

بد وأن يستقبل شاخصاً قدر ثلثي ذراع إلى ذراع من بنائها أو ما لحق بذلك كعصا مسمرة أو شجرة نابتة ولو يابسة أو تراب منها مجتمع أو حجر منها أو حفرة، ينزل فيها مقدار ما ذكر وإلا فلا تصح صلاته، وكذا الطواف يجب أن يكون خارجها وبالله التوفيق.

تذنيب:

يناسب ذكره المقام نورده تتميماً للفائدة في مسند الروياني عن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سيكون رجل من قريش أخنس يلي سلطاناً ثم يغلب عليه أو ينزع منه فيفر إلى الروم، فيأتي بهم إلى الإسكندرية فيقاتل أهل الإسلام بها، فذلك أول الملاحم». وفي رواية عنه: «سيكون بمصر رجل من بني أمية أخنس بنحوه».

وروى نعيم بن حماد عن عبدالله بن عمرو قال: يقاتلكم أهل الأندلس بوسيم فيأتيكم مددكم من الشام، فيهزمهم الله. ثم يأتيكم الحبشة في ثلاثمائة ألف فتقاتلونهم أنتم وأهل الشام فيهزمهم الله.

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال رجل من أهل مصر: ليأتيكم أهل الأندلس فيقاتلونكم بوسيم حتى تركض الخيل في الدم يهزمهم الله، ثم تأتيكم الحبشة في العام الثاني.

وأخرج أيضاً عن أبي قبيل قال: خرج يوماً وردان من عند مسلمة بن مخلد، وهو أمير على مصر فمرَّ على عبدالله بن عمرو مستعجلاً فناداه فقال: أين تريد؟ فقال: أرسلني الأمير إلى منف فاحفر له كنز فرعون، قال: فارجع إليه وأقرئه مني السلام وقل له: إن كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك إنما هو للحبشة، يأتون في سفنهم يريدون الفسطاط، فيسيرون حتى ينزلوا منفاً، فيظهر الله كنز فرعون فيأخذون منه ما شاؤوا فيقولون: ما نبغي غنيمة أفضل من هذه فيرجعون، و يخرج المسلمون في آثارهم حتى يدركوهم فيهزم الله الجيش، فيقتلهم المسلمون ويأسرونهم. أخرجها الحافظ السيوطي في جزء له.

وقال في «أزهار العروش في أخبار الحبوش»: أخرج الحاكم في المستدرك من طريق

عبدالله بن صالح حدثني الليث حدثني أبو قبيل عن عبدالله بن عمرو أن رجلاً من أعداء المسلمين بالأندلس يقال له «ذو العرق» يجمع من قبائل الشرك جمعاً عظيماً يعرف من بالأندلس أن لا طاقة لهم، فيهرب أهل القوة من المسلمين في السفن يجتازون عليها، فيبعث الله وعلاً وينشره لهم في البحر فيجيز الوعل لا يغطي الماء أظلافه، فيراه الناس فيقولون: الوعل الوعل اتبعوه فيجيز الناس على أثره كلهم، ثم يصير البحر على ما كان عليه، ويجيز العدو في المراكب فإذا حستهم أهل أفريقية، هربوا كلهم من أفريقية، ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين حتى يدخلوا الفسطاط، ويقبل ذلك العدو حتى ينزلوا فيما بين ترنوط إلى الأهرام مسيرة خمسة بُرد[1]، فيملؤون ما هناك شراً فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر، فينصرهم الله عليهم فيهزمونهم ويقتلونهم إلى لوعة مسيرة عشر ليال، ويستوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأوانيهم سبع سنين، وينفلت ذو العرف من القتل ومعه كتاب لا ينظر فيه إلا وهو منهزم، فيجد فيه ذكر الإسلام وأنه يؤمر فيه بالدخول في السلم، فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام من قومه فيسلم، ثم يأتي في العام الثاني رجل من الحبشة يقال له «أسيس» وقد جمع جمعاً عظيماً فيهرب المسلمون منهم من أسوان حتى لا يبقى فيها ولا فيما دونها أحد من المسلمين إلا دخل الفسطاط، فينزل «أسيس» بجيشه منف، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر، فينصرهم الله عليهم فيقاتلونهم ويأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة.

قال الحاكم: موقوف صحيح الإسناد اهـ.

وفي هذا الحديث إشكال وأن هو واقعة ذي العرف المذكور لم تقع إلى الآن، وإلا لكان ذكر في التواريخ، وإن قلنا أنها ستقع فيما سيأتي يشكل عليه أن الأندلس ليس بها إذ ذاك بل ولا اليوم مسلم، فكيف يهربون في السفن وغيرها وقد يقال يمكن أن يكون هناك مسلمون قد أقروا على الجزية؟ وإذا آن الأوان هربوا ويقربه أن في هذه الأعصر قدمت طائفة من المسلمين من الأندلس في المراكب إلى بلاد الإسلام، يسمون المتجل فيمكن أن يكون لهم هناك بقايا ضعفة إذا أراد الله تعالى أجازهم إليه، ويمكن أن

---

(١) مقياس للمسافات كان يستعمل قديماً.

يقال: إن هذا إنما يقع بعد موت المهدي وتناكص الدين ورجوع الناس إلى الشرك، وأن مصر إذ ذاك لكون الخلفاء ببيت المقدس تكون عامرة بالإسلام، فيكون قبيل هدم البيت أو بعده على ما سبق من الخلاف في وقته وبالله التوفيق.

لكن في «التذكرة» للقرطبي: أن أولئك المهدي وأتباعه وأن المحل الذي يمشي فيه الوعل جسر بناه ذو القرنين لهذا الأمر، وإنه إذا جاء أوانه مروا عليه والله أعلم بحقيقة الحال][1].

ومن الأشراط العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض:

وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على أثره فإن طلعت الشمس قبل خرجت الدابة ضحى يومها أو قريباً من ذلك، وإن خرجت الدابة قبل طلعت الشمس من الغد.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي كلهم عن عبدالله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ: أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قال عبدالله، وكان يقرأ الكتب: وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها.

[وقال أبو عبدالله الحاكم: والذي يظهر أن طلوع الشمس من مغربها قبل خروج الدابة][2].

قال الحافظ ابن حجر معتمداً لما قاله الحاكم: ولعلَّ الحكمة في ذلك أن بطلوع الشمس من مغربها ينسد باب التوبة، فتجيء الدابة فتميّز بين المؤمن والكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة اهـ.

فلنبدأ بطلوع الشمس من المغرب ونقول: أما طلوع الشمس من مغربها فقد قال الله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت

---

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) ساقط من المخطوطة.

في إيمانها خيراً﴾[1] أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنه طلوع الشمس من مغربها. وقال تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[2].

وروى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ قال: طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين، ثم قرأ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

وروى عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والستة غير الترمذي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها»، ثم قرأ الآية.

وروى ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين».

وروى هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه ﷺ قال: «آية تلكم الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال» والقليل لا ينافي الكثير.

وفي رواية البيهقي عن عبدالله بن عمرو بلفظ: قدر ليلتين أو ثلاث، فيستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرى قد قامت النجوم مكانها، ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم، والليل كأنه لم ينقص فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، ففزع الناس وهاج بعضهم في بعض، فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق إذا هي طلعت عليهم من مغربها، فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت، فطلعت من مطلعها.

وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٩.

«صبيحة تطلع الشمس من مغربها، يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً».

وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر قال: فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الأحمر فلا يقبل منهم، ويقال: لو كان بالأمس.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعل الله لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع؟ ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما، فتحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم بقية أهل الأرض وحملة القرآن يقرأ كل رجل في تلك الليلة منهم ورده حتى إذا فرغ منه نظر فإذا الليلة على حالها فلا يعرف طول تلك الليلة إلا حملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول: إن الرّب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منهم، فإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر من خوف يوم القيامة، وخوف الموت، وترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل، والغافلون في غفلاتهم، إذ نادى منادٍ ألا إن باب التوبة قد أُغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس، وإذا بهما أسودان كالعكمين ولا ضوء لهما ولا نور، فذلك قوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[1].

تنبيه:

العكمة الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين، ومنه يقال لمن يشد الغرائر على الجمل: العكام.

وفي حديث أم زرع عكومها رداح][2] فيرتفعان مثل البعيرين المقرونين، ينازع كل

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٩.   (٢) ساقطة من المخطوطة.

منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها[1]، فأما الصالحون والأبرار فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجّار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر سرّة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردّهما إلى المغرب، فلا يغربهما في مغاربها [أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم، وهي جهة المشرق ولكن يغربهما في مغاربهما الذي في باب التوبة][2].

فقال عمر بن الخطاب للنبيّ ﷺ: وما باب التوبة؟ فقال: «يا عمر خلق الله باباً للتوبة خلف المغرب، فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدُّر والجواهر ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم، إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب، ثم ترفع إلى الله» فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله وما التوبة النصوح؟ قال: «أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب، فيهرب إلى الله منه ثم لا يعود إليه حتى يعود اللبن في الضرع» قال: «فيغربهما جبريل في ذلك الباب، ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة، ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك أي يفعله قبل ذلك فإنه يجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع . . .﴾[3] الآيات» فقال أبي بن كعب: يا رسول الله فداك أبي وأمي فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك؟ وكيف بالناس والدنيا؟ قال: «يا أبي إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور، ثم يطلعان على الناس، ويغربان كما كانا قبل ذلك، وأما الناس فإنهم حين رأوا ما رأوا من تلك الآية وعظمها، يلحون على الدنيا فيعمرونها، ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا. . .﴾ [الحج: ٢].

(٢) ساقط من المخطوطة.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

ويبنون فيها البنيان، فأما الدنيا فإنه لو نتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور».

فائدة:

قال الفقهاء: تلك الليلة عن ليلتين ويوم، فيقضي خمس صلوات لأن الليلة الأولى ما فيها صلاة لأن الفرض أنهم ناموا بعد فعل العشاءين والليلة الثانية مع اليوم فيها خمس، فتقضى قياساً على أيام الدّجال بجامع الطول كما قاسوا يوميه الأخيرين على [يومه][1] الأول، وعلى هذا فمن نام عن صلاته فعليه مع قضاء الخمس قضاء ما نام عنه، وهو واضح، ويدخل وقت صلاة الصبح يوم طلوعها من مغربها بطلوع الفجر وصلاة الظهر برجوعها عن وسط السماء، فإنه بمنزلة الزوال والعصر والمغرب والعشاء كبقية الأيام وبالله التوفيق.

تنبيه:

روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال: الأشرار بعد الأخيار عشرين ومائة سنة [كذا في الأصل المنقول عنه، فيحتمل أن الناصب سقط وأن يقدر بدليل الروايتين بعدها كتمكث أو تبقى][2].

روي عن ابن عمر قال: يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة.

وروى عبد بن حميد عنه أيضاً قال: يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة.

وروى نعيم عن ابن عمر قال: لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة عام بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدّجال.

وروى عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم

---

(١) وردت في المطبوعة «نومه» وهو تصحيف.

(٢) ساقط من المخطوطة.

الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران فيقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: زمن طلعت الشمس من مغربها».

وروى هو وابن أبي شيبة وابن المنذر عنه قال: الآيات كلّها في ثمانية أشهر. وأخرجوا غير ابن أبي شيبة عن أبي العالية قال: الآيات كلّها في ستة أشهر. ومرّ «لو أن رجلاً نتج مهراً لم يركبه حتى ينفخ في الصور». ·

قال في «فتح الباري» وتبعه في: «القناعة» وطريق الجمع بين الروايات أن المدة كما في الروايات الأول عشرون ومائة سنة، لكنها تمر مراً سريعاً كمقدار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه: لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر. الحديث. وفيه اليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة أهـ.

وعلى هذا فيكون تقارب الزمان، وتقاصر الأيام مرتين مرة في زمن الدّجال ثم ترجع بركة الأرض، وطول الأيام إلى حالها الأولى، ثم تتناقص بعد موت عيسى إلى أن تصير في آخر الدنيا إلى ما ذكر وهذا تنبيه حسن، لم أرَ من نبّه عليه. وبالله التوفيق.

[وأقول: ما قالاه يقتضي أن تكون المدة مقدار اثني عشرة سنة من سنيننا فالإشكال بحاله لأن المهر قد يركب في سنتين وبتسليم ذلك وتمحل أن المراد الركوب للكر والفر في الحرب وذلك في الخيل الأصيل لا يكون إلا في العُشر وما بعدها لا يمكن الجمع بينها وبين رواية ثمانية وستة أشهر، وأيضاً ينافيه حديث أبي هريرة المار عند عبد بن حميد مرفوعاً: لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران الحديث، إلا أن يقال إن كبر أهل ذلك الزمان على حسب سنيهم، وعليه فيقدر انتاج المهر وركوبه في السنين المعتادة والأولى أن يجمع بأن المدة القليلة بالنظر لبقاء المؤمنين والمائة والعشرون للكفار والأشرار كما تصرح به الروايات السابقة الأشرار بعد الأخيار، ومع هذا لا بد من القول بتقاصر الزمان، ليكون أربعون سنة الواقعة في حديث ابن مسعود السابق في بقاء المؤمنين مقدار أربعين شهراً، فيكون التقدير بانتاج المهر وركوبه واضحاً. ومعنى تقوم الساعة على هذا أنها تقوم على المؤمنين بموتهم، ونظيره ما في البخاري أن رجلاً سألهﷺ عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سنّاً فقال: إن يستنفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة، قال العلماء أراد ساعة الحاضرين لا ساعة عامة الخلق، ولكن رواية الثمانية أشهر والستة

أشهر فيجب إن صحتا تأويلهما قطعاً][1].

تنبيه:

اختلفوا هل إذا كان كذلك وامتدت الدنيا بعد ذلك إلى أن ينسى هذا الأمر، أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه آحاداً، فمن أسلم حينئذ وتاب تقبل منه أم لا.

ذكر أبو الليث السمرقندي في تفسيره: عن عمران بن حصين قال: إنما لا يقبل الإيمان والتوبة وقت الطلوع فمن أسلم أو تاب بعد ذلك قبلت توبته.

قال الحافظ في «فتح الباري»: ما حاصله إن الذي دلّت عليه الأحاديث الثانية الصحاح والحسان أن قبول التوبة معنياً بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها أن بعد ذلك لا تقبل، وفي بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند أحمد والطبراني عن مالك بن [جابر][2] ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو رفعوه: لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل.

وفي حديث ابن عباس عند ابن مردويه السابق: فإذا أغلق ذلك الباب لم يقبل بعد ذلك توبة، ولا ينفع حسن.

وعند نعيم بن حماد عن ابن عمرو: فيناديهم منادٍ: يا أيها الذين آمنوا قد قُبِل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أُغلق عنكم التوبة، وجفّت الأقلام وطويت الصحف.

ومن طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة: إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها، وترتفع الحفظة، وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملاً.

وأخرج عبد بن حميد والطبري بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها: إذا خرجت أول الآيات يعني طلوع الشمس من المغرب طرحت الأقلام وطويت الصحف، وخلصت الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «مخادر».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها، قال: فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد إلى يوم القيامة.

قلت: ويؤيد هذا ما يأتي في الخاتمة، أن إبليس يخر عند طلوعها ساجداً، وإن الدابة تقتله فإنه لا يموت إبليس إلا وقد فرغ من العمل.

تنبيه:

ورد في بعض الروايات أن أول الآيات: خروج الدّجال، وفي بعضها أن أولها طلوع الشمس من مغربها، وفي بعضها الدابة، وفي بعضها نار تحشر الناس إلى محشرهم.

قال الحافظ ابن حجر: وطريق الجمع أن الدّجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العامة في الأرض، أي فلا ينافي تقدم المهدي عليه قال: وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم ومن بعده القحطاني وغيره وإن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة أي والدابة معها فهي والشمس كشيء واحد، وإن النار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، انتهى.

وهذا جمع حسن رحمه الله تعالى، ويدل على ذلك ما في بعض الروايات وآخر ذلك يعني الآيات نار تحشر الناس إلى محشرهم.

وروى نعيم بن وهب بن منبه قال: أول الآيات: الروم، ثم الدّجال، والثالثة: يأجوج ومأجوج، والرابعة: عيسى أي وكون عيسى رابعة باعتبار تأخره عن يأجوج ومأجوج، وإن كان باعتبار وقت نزوله مقدماً عليهما فهو باعتبار ثالث، وباعتبار آخر رابع، والخامسة: [الدخان][1]، وسيأتي بيانه وتفصيله والسادسة: الدابة، أي وعده هذا باعتبار الآيات الأرضية، ومن ثم لم يعد طلوع الشمس فهو أيضاً يؤيد ما ذكره الحافظ لكن [لو قال: وينتهي ذلك بخروج الدابة بدل قوله بموت عيسى لكان أولى

---

(١) وردت في المطبوعة «الدجال».

وأوضح][1] وكون الروم أولاً حقيقي، وكون الدّجال أولاً إضافي، لأنه أعظم من الروم، وكان الروم بالنظر إليه ليس :شيء.

[تبصرة قوله تعالى: ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في أو إيمانها خيراً**﴾ فيه بحسب الظاهر إشكال، تقريره أن قوله لم تكن آمنت من قبل صفة لـ﴿**نفساً**﴾ فصل بينها وبين موصوفها بالفاعل، قوله: كسبت عطف على الصفة فيكون المعنى إذا جاء بعض الآيات لا ينفع الإيمان نفساً موصوفة بأحد الأمرين عدم الإيمان، ويلزمه عدم كسب الخير فيه، وعدم كسب الخير في الإيمان، ولو وجد الإيمان واتصفت به هذا إنما يتأتى على مذهب الاعتزال وأهل السنة لا يقولون بذلك.

ومن ثم قال صاحب «الكشاف»: لم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكتسب خيراً ليعلم أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين، لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى، حتى يفوز صاحبها ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك. انتهى كلام الكشاف.

وأشار البيضاوي لظهور دلالة الآية لهذا المعنى فقال: والمعنى إنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها، أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً وهو دليل لمن لا يعتبر الإيمان المجرد عن العمل، أي بل يجعل العمل جزءاً من أصل الإيمان وحقيقته كالمعتزلة لا من يجعله جزءاً من كماله وزيادته كجمهور أهل السنة وعامة أهل الحديث، وأكثر الأئمة، ثم أشار البيضاوي إلى الجواب عن ذلك بثلاثة أجوبة اختصاراً فقال: وللمعتبر أي لمن يعتبر الإيمان المجرد عن العمل تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم، وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفساً خلت عنها إيمانها، والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته حينئذ، وإن كسبت فيه خيراً انتهى.

وتقرير كلامه إنا نجيب أولاً بأنا نسلّم إن المعنى كذلك لكن يخص الحكم بذلك اليوم، ولا نعممه لجميع الأزمنة فمن مات مؤمناً قبل ذلك اليوم نفعه إيمانه، وإن يكن

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

كسب فيه خيراً ولم يعمله ومن أدرك ذلك اليوم إن قدم الإيمان عليه وكسب فيه خيراً نفعه، وإلا بان لم يقدمه أو قدمه من غير كسب خير فيه، فلا هذا حاصل الجواب الأول وفيه إن العمومات دلت على أن الإيمان المجرد نافع في جميع الأحوال والأوقات، وحاصل الجواب الثاني أن أو تكون تارة [لعموم][1] النفي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾[2] أي واحداً منهم، وأخرى لنفي العموم وذلك إذا قدر عطف النفي على النفي، ثم جيء بأو، والآية من الأول فالمعنى لا ينفع نفساً لم تقدم إيماناً ولا كسبت فيه خيراً أي نفساً خالية من الأمرين جميعاً عارية عنهما، وعليه اقتصر أبو السعود في تفسيره واعترضَ هذا الوجه بأن انتفاء الإيمان مستلزم لانتفاء كسب الخير فيه، فلا وجه للترديد بينهما وأجاب عنه أبو السعود بأجوبة وأطال فيها الكلام وكلّها مخدوشة وهي بالنكات البيانية الخطابية أشبه منها بالأجوبة، وأقربها قوله ولك أن تقول المقصود من وصف نفساً بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطاً بالآخر كما في قوله عز وجل: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾[3] تسجيلاً على كمال طغيانهم وإيذاناً بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة، كما ينبىء عنه قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[4] اهـ.

وهذا الذي قاله قريب لكنه خلاف مذهبه فإن الكفار عندهم غير مكلفين بالفروع. والله أعلم.

وحاصل الجواب الثالث من أجوبة البيضاوي: إنا لا نعطف أو كسبت على آمنت كما في الوجهين الأولين، حين يلزم دخول الأمرين في حيز النفي بل نعطفه على النفي نفسه، أعني لم تكن فيكون الترديد بين النفي وإثبات لا بين المنفيين فالمعنى لا ينفع نفساً لم تقدم إيماناً على ذلك اليوم إيمانها سواء لم تؤمن أصلاً لأنه يصدق على من لا

---

(١) وردت في المطبوعة «العم» وهو تصحيف.

(٢) سورة الدهر، الآية: ٢٤.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٣١.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٦، ٧.

يؤمن أنه لا ينفعه الإيمان لأن النفع فرع الوجود فإذا انتفى انتفى نفعه أيضاً أو أحدثته ذلك اليوم، وكسبت فيه خيراً أيضاً، لأن الإيمان شرطه أن يكون بالغيب، فإذا صار الأمر معاينة لم ينفعها، وهذا هو معنى قول البيضاوي: بمعنى لا ينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته وإن كسبت فيه خيراً فانظر إلى هذا السحر الحلال كيف أدرج رحمه الله ثلاثة أجوبة في مقدار سطرين وغيره سود وجه ورقة كاملة بجواب واحد، ولم يقدر على بيانه حق البيان ولا شك أن التأييد والهداية من الرحمن فإنه الذي ﴿عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾[1] ثم لمّا كان من الجوابين الأولين فيه ما مر والثالث فيه خفاء وفي دلالة الكلام عليه بعد اختار جمع من المحققين كالعلاّمة التفتازاني وابن الحاجب وصاحب الانتصاف وابن هشام وعليه اقتصر المحقق الكوراني في تفسيره: جواباً آخر غير الثلاثة وهو أن الآية من قبيل اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً والمعنى أن الناس في التوبة قسمان: قسم تائب عن الكفر، وقسم من المعاصي، فالكافر إن قدم الإيمان على ذلك اليوم قُبِل منه، ونفعه إيمانه بعد ذلك اليوم أيضاً وإلا فلا، والعاصي إن تاب عن المعصية قبل ذلك قبلت منه، ونفعته بعد ذلك اليوم أيضاً وإلا فلا قبول ولا نفع، وهذا هو معنى ما مر في الحديث أنهم يجرى لهم وعليهم بعد ذلك اليوم ما كانوا يعملون قبل ذلك اليوم.

قال صاحب الانتصاف: هذا الفن من الكلام في البلاغة يلقب باللف التقديري، وأصله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن مؤمنة من قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكتسب في إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد، فلف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً اختصاراً إيجازاً وبلاغة قال: فظهر بذلك إنه لا يخالف مذهب أهل الحق، ولا ينقطع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير، أي في النوع الذي كان يعمله قبل، لا في مطلق الخير لئلا يخالف ما مرَّ وإن نفع الإيمان المتقدم باق في السلامة من الخلود في النار قال فهو بالرد على مذهب الاعتزال أولى من أن يدل له.

وقال ابن هشام: بهذا التقدير تندفع هذه الشبهة. قال وقد ذكر هذا التأويل ابن

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٢، ٣، ٤.

عطية وابن الحاجب اهـ.

واعترض أبو السعود على هذا الجواب بأن مبنى اللف التقديري أن يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام ، وقد ترك ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه ، واقتضائه إياه ، ولا ريب في أن ما هنا ليس مما يستدعيه قوله : ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ ولا هو من مقتضيات المقام اهـ.

أقول: إنكار دلالة الكلام عليه، واقتضاء المقام يشبه مكابرة المحسوس في المرام، أما دلالة الكلام فلأنه بدون التقدير يؤدي لاختلال النظام أو لتناقض الأحكام، وأما اقتضاء المقام فلأنه في بيان حكم عام لكافة الأيام، فيعم الكفر والإسلام والطاعة والآثام، وبالله التوفيق ولي الإنعام، وقد أجابوا بأجوبة أخر، فلنشر إليها.

أحدها: أن الآية، من قبيل القلب أي لم تكن كسبت خيراً أو آمنت من قبل، وذكر نفي الإيمان بعد نفي الكسب مفيد، لأنه ترق وليس كعكسه السابق في عدم إفادة الترديد، ونكتة القلب التنبيه بتقديم الإيمان على أنه الأصل، الذي نيط به النجاة.

ثانيها: حمل الإيمان على اللغوي السابق على نزول القرآن، وهو المعرفة أي وهو من قبيل التصور، لا من قبيل التصديق وقد فسر به الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾[1].

قال البيضاوي: معناه منهم من يصدق به، ويعلم أنه حق ولكن يعاند. وسبقه إليه الكشاف، ويحمل الكسب على الإذعان والقبول.

ثالثها: أن يحمل الإيمان على التصديق القلبي والكسب على الإقرار اللساني، أي وهو كسب لأنه بالجارحة وهذا ظاهر، لأن الإسلام غير الإيمان، فيصح أن يقال إن الإيمان النافع في الدارين ما يكون جامعاً بينهما، فيكون الظاهر معنا لا مع المخالف.

أشار إلى الجوابين الأخيرين شيخ مشايخنا العلامة المحقق الشريف صبغة الله الحسيني رحمه الله فيما كتب على هامش «تفسير الكوراني» بخطه لكن قوله: إن الإيمان النافع في الدارين ما يكون جامعاً بينهما مبني على القول، بأن الشهادتين شطر من

(١) سورة يونس، الآية: ٤٠.

الإيمان لا شرط، والأصح خلافه كما هو مبين في محله. ولبعض متأخري محققي العجم على هذه الآية رسالة مبسوطة بلسان المناطقة، أتى فيه بالعجب العجاب وكشف عن وجه المقصود الحجاب، لكن لبعدها عن أفهام العامة سيما المبتدئين، لم ننقل منها شيئاً هنا ولبعض المحشين على البيضاوي هنا خبط واضطراب فاجتنبه، فإنه جعل الأجوبة الثلاثة واحداً وإنما نبهنا عليه لئلا يغير به فيظن أن كلام البيضاوي متناقض والله أعلم][1].

خاتمة:

أخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرك عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يلبثون يعني الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها، وجفت الأقلام، وطويت الصحف، ولا يقبل من أحد توبة، ويخر إبليس ساجداً، ينادي إلٰهي مرني أن أسجد لمن شئت، وتجتمع إليه الشياطين فتقول: يا سيدنا إلى من تفزع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى يوم البعث المعلوم، وتصير الشياطين ظاهرة في الأرض حتى يقول الرجل: هذا قريني الذي كان يغويني، فالحمد لله الذي أخزاه، ولا يزال إبليس ساجداً باكياً حتى تخرج الدابة فتقتله، وهو ساجد.

قلت: وهذا يدل على تأخر الدابة عن الشمس، ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة، لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه حتى يتم أربعون سنة بعد الدابة، ثم يعود فيهم الموت، ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم، حتى ينكح الرجل أمه في وسط الطريق، يقوم واحد عنها، وينزل واحد وأفضلهم من يقول: لو تنحيتم عن الطريق كان أحسن، فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس، عليهم تقوم الساعة.

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمرو بن العاص قال: إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً، ينادي ويجهر إلٰهي مرني أسجد لمن شئت، فتجتمع إليه

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

زبانية، فيقولون يا [سيدنا][1] ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم قال: وتخرج دابة الأرض من صدع في الصفا، فأول خطوة تصنعها بأنطاكية، فتأتي إبليس فتخطمه.

تنبيه:

في طلوعها من المغرب رد على أهل الهيئة ومن وافقهم أن الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة لا تختلف مقتضياتها، ولا يتطرق إليها تغير عما هي عليه.

قال الكرماني: وقواعدهم منقوضة، ومقدماتهم ممنوعة، وعلى تقدير تسليمها فلا امتناع من اطلاق منطقة البروج على المعدل، بحيث يصير المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً اهـ.

وأما دابة الأرض فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾[2] الآية.

قال أهل التفسير: إذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر.

[وقال البيضاوي: إذا دنا وقوع معناه، وهو ما وعدوا من البعث والعذاب.

وعن ابن مسعود: إذا مات العلماء، وذهب العلم، ورفع القرآن، أخرجنا لهم دابة من الأرض، تكلمهم من الكلام.

ويؤيده أنه قرىء تنبئهم، وقرىء تحدثهم، وقرىء حمل على التفسير تكلمهم ببطلان سائر الأديان سوى الإسلام، وقيل من الكلم الجرح، والتفعيل للتكثير، ويؤيده أنه قرىء تكْلمهم بفتح فسكون، وقرىء تجرحهم.

وسأل أبو الحواري ابن عباس: تكلمهم أو تكلم؟ فقال: كلا ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر، وقد مر أنه قيل أنها الجسّاسة، وجزم به البيضاوي وغيره، وقرأ الكوفيون ويعقوب أنَّ الناس بفتح الهمزة، والباقون بكسرها على أنه حكاية معنى قولها، أو حكايتها لقول الله، ويؤيدهما ما يأتي أنها تنادي بأعلى صوتها، إنّ الناس كانوا بآياتنا

---

(١) وردت في المخطوطة «يا سيدهم».

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.

لا يوقنون، أو استئناف علّة لخروجها، أو علة لتكلمها على قراءة الكسر، أو علة فحذف الجار على قراءة الفتح، أي إنها أخرجناها لأن الناس كانوا أو إنها تكلمهم، لأنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون][1].

وعن أبي العالية أن وقوع القول سد باب الإيمان والتوبة.

قلت: وعلى هذا التفسير يكون في القرآن أيضاً الإشارة إلى تأخرها عن طلوع الشمس من مغربها، لأنه به يقع القول والكلام في حليتها وسيرتها وخروجها.

أما حليتها: فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن لها عنقاً مشرفاً أي طويلاً يراها من بالمشرق، كما يراها من بالمغرب، ولها وجه كوجه الإنسان، ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب.

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنها ذات عصب وريش][2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها ذات وبر وريش، مؤلفة، وفيها من كل لون، لها أربع قوائم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: زغباء ذات وبر وريش.

وعن حذيفة: أنها ملمعة ذات وبر وريش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب.

وعن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وقد قيل له أن ناساً يزعمون أنك دابة الأرض فقال: والله إن لدابة الأرض ريشاً وزغباً، وما لي ريش ولا زغب، وإن لها حافراً وما لي حافر، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً، وما أخرج ثلثاها.

وعن عمرو بن العاص: أن رأسها يمس السماء، وما خرجت رجلها من الأرض.

وعن ابن عمرو: أنها تخرج كجري الفرس ثلاثة أيام، لم يخرج ثلثها، وهذا يقرب من رواية عليّ كرّم الله وجهه المارة.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

وعن أبي هريرة: أن فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها مؤلفة ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها، وفيها من كل أمة سيما وسيماهم من هذه الأمة، أنها تكلم الناس بلسان عربي مبين تكلمهم بكلامهم.

تنبيه:

«الزغب» صغار الريش أول ما يطلع قاله في «النهاية».

وعن أبي الزبير: أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، أي وقد مر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن وجهها وجه إنسان، ومنقارها منقار طير، وبين كل مفصلين منها اثني عشر ذراعاً.

تنبيه:

«الأيل» بفتح الهمزة وكسر التحتانية مشددة وبالعكس، وبضم وفتح الوعل، وهو من تيس الجبل.

وعن عاصم بن حبيب بن أصبهان قال: سمعت علياً على المنبر يقول: إن دابة الأرض تأكل بفيها، وتكلم من استها.

وعن الحسن أن موسى سأل ربه أن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن، تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفيها. قال: فرأى منظراً فظيعاً فقال: رب ردّها فردّها.

وأما سيرتها: فإن معها عصا موسى، وخاتم سليمان بن داود، تنادي بأعلى صوتها إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وإنها تسم الناس المؤمن والكافر، فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب درّي، و يكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فيكتب بين عينيه نكتة سوداء كافر.

تنبيه:

يجوز في إعراب هذا أن يكون نكتة مرفوعاً، على أنه نائب فاعل يكتب وسوداء صفتها، وكافر بدلاً منه، وأن يكون كافر نائب الفاعل، ونكتة منصوباً على أنه حال منه. تقدمت عليه وسوداء نعتها][1].

وفي رواية: فتلقي المؤمن لتسمه في وجه واكته، فيبيضُّ لها وجهه، وتسم الكافر واكته يسودُّ وجهه، وفي رواية: فارفض أي تفرق الناس عنها شتى ومعاً، وثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرّي، وولّت في الأرض، لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى أن الرجل ليتعوَّذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي فيقبل عليهم فتسمه في وجهه، ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار [يعرف][2] المؤمن الكافر وبالعكس، حتى أن المؤمن يقول: يا كافر اقضِ حقي، وحتى أن الكافر ليقول: يا مؤمن اقضِ حقي.

وفي رواية: تخرج فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين.

وفي لفظ: تستقبل المشرق، فتصرخ صرخة تنفذها، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذها.

وفي رواية: لا يبقى مؤمن إلا نكتت في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ويبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسوَدّ لها وجهه، حتى أن الناس يتبايعون في الأسواق بكم ذا يا مؤمن؟ وبكم ذا يا كافر؟ ويقول هذا: خذ يا مؤمن ويقول هذا: خذ يا كافر.

وفي رواية: تأتي الرجل، وهو يصلي في المسجد فتقول: ما الصلاة من حاجتك؟ ما هذا إلا تعوذ ورياء، فتحطمه وتكتب بين عينيه كذّاب، وقد مر أنها تقتل إبليس أو تخطمه.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) في المطبوعة «يصرف».

وأما خروجها: فقد ورد أن لها ثلاث خرجات في الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية، وفي رواية: من أقصى اليمن، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني «مكة» ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة وأخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها في القرية يعني «مكة» قالﷺ: «ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام، لم ترعهم إلا هي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب، فارفض الناس عنها شتى».

هكذا ورد عن ابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم، وبعض طريق حديث حذيفة صحيح.

وعن ابن عباس أيضاً أنها تخرج من بعض أودية تهامة، أي وهذا في بعض خرجاتها، والأول في خرجاتها الأخيرة.

وعن أبي هريرة وابن عمر وابن عمرو وعائشة رضي الله عنهم: أنها تخرج بأجياد.

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول اللهﷺ أراه المكان الذي تخرج منه الدابة، وأنه قبل الشق الذي في الصفا.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: يكون خروجها من الصفا ليلة منى، فيصبحون بين ذنبها ورأسها، لا يدحض داحض، ولا يخرج خارج حتى إذا فرغت مما أمر الله، فهلك من هلك ونجا من نجا، كان أول خطوة تضعها بأنطاكية [وفي بعضها أنها تخرج من المروة][1]، وفي بعضها من مدينة قوم لوط، وفي بعضها من وراء مكة.

تنبيه:

وجه الجمع بين هذه الروايات من وجهين:

أحدهما: أن لها ثلاث خرجات ففي بعضها تخرج من مدينة قوم لوط، ويصدق عليها أنها من أقصى البادية وفي بعضها تخرج من بعض أودية تهامة، ويصدق عليها أنه من وراء مكة ومن اليمن لأن الحجاز يمانية، ومن ثم قبل الكعبة اليمانية، وفي المرة

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

الأخيرة تخرج من مكة، وهي من عظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بن المروة والصفا وأجياد فإنها تمسك مقدار ثلاثة أيام وأكثر، وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد وبالله التوفيق.

الوجه الثاني: أنها تخرج من جميع تلك الأماكن في آن واحد خرقاً للعادة في صور مثالية، وهذا أيضاً مبني على تحقيق المثال المحسوس، وقد أفتى السيوطي في رجلين حلفا بالطلاق كل حلف، على أن الشيخ عبد القادر الطحطوطي بات عنده في ليلة واحدة معينة، بأنه لا يقع طلاق واحد منهما بناء على هذا قال: وقد وقعت هذه المسألة قديماً، وأفتى فيه العلماء بعدم الحنث انتهى، ثم رأيت ابن علان قال في تفسيره «ضياء السبيل» ما لفظه: وقيل تخرج في كل بلد دابة مما هو مثبوت نوعها في الأرض، وليست واحدة فدابة على هذا القول اسم جنس انتهى.

وإذا قلنا بتعدد الصورالمثالية أغنى عن القول بالجنسية، وبالله التوفيق.

ومن الأشراط الدخان:

عن حذيفة بن أسيد قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «ما تذكرون»؟ قالوا: الساعة يا رسول الله قال: «إنها لن تقوم حتى يروا قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدّجال الحديث. رواه مسلم والترمذي وابن ماجة ورواه حذيفة عن النبي ﷺ «وأنه يمكث في الأرض أربعين عاماً» وفي رواية: «أنه يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام» وقد مرَّ أنه يكون دخان عند هلاك يأجوج ومأجوج وأنه يمكث ثلاثاً، فيحتمل أن يكون هذا هو، ويحتمل غيره لكنه لا بد أن يكون قبل الريح الآتية لأن بعد الريح لا يبقى مؤمن، وعند الدخان يوجد المؤمنون كما هو صريح العبارة.

[ومنها](1) ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن، ورجوع الناس إلى عبادة الأوثان ودين آبائهم.

أخرج مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها: لا تذهب الأيام والليالي حتى تعبد

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

اللات والعزى من دون الله الحديث.

وفيه فيبعث الله ريحاً طيبة فيتوفى بها كل مؤمن في قلبه مثقال حبة من [إيمان][١]، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم، وله شاهد من حديث حذيفة بن أسيد.

وأخرج أحمد ومسلم عن ابن عمرو قال: ثم يرسل الله يعني بعد موت عيسى ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دار رزقهم، وحسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور.

تنبيه:

هذا ينافي ما مرَّ من قتل الدابة إبليس بحسب الظاهر، ويمكن أن يقال على بعد أن هذا الشيطان غير إبليس.

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن النواس بن سمعان: فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها، أي يتسافدون تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة.

وقد مرَّ عن ابن مسعود: أن المؤمنين يتمتعون بعدالدابة أربعين سنة، ثم يعود فيهم الموت، ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم الحديث.

وفيه فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، [ويكونون][٢] كلهم أولاد زنا شرار الناس، عليهم تقوم الساعة.

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة: أن الله يبعث ريحاً من اليمن السين من الحرير، فلا

---

(١) وردت في المطبوعة «الإيمان».

(٢) وردت في المطبوعة «يكون».

تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته.

تنبيه:

قال المناوي في «تخريج أحاديث المصابيح»: ويجاب عن اختلاف الروايتين، يعني كون الريح من قبل الشام ومن اليمن بأنهما ريحان شامية ويمانية.

وأخرج ابن ماجة عن حذيفة بن اليمان قال: يدرس الإسلام كما يدرس [وشي][1] الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، فنحن نقولها، فقال رجل لحذيفة: فما تغني عنهم الكلمة؟ فأعرض عنه حذيفة، فأعاد عليه السؤال ثانياً وثالثاً فقال في الثالثة: تنجيهم من النار.

وأخرج أحمد بسند قوي عن أنس رضي الله عنه قال: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله. وهو عند مسلم لكن بلفظ: الله الله.

فدلَّت الأحاديث المذكورة على أن المراد بالشرار في الحديث، هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله، والله الله وأنه ما دام في النوع الإنساني من يقول هذه الكلمة لا تقوم الساعة، وإنما تقوم على الكفار الذين لا يعرفون نكاحاً، ولا يولدون من نكاح، فيكونون بهائم في صورة الإنسان، وليسوا بإنسان حقيقة أولئك كالأنعام بل هم أضل.

تكملة في فائدة: ذكرها الشيخ الكبير محي الدين بن العربي رحمه الله في «الفصوص» في الفص الشيثي فلنذكر كلامه مع شرحه للعلامة المحقق نور الدين عبد الرحمن الجامي قدس الله أسرارهما قال رحمه الله: وعلى قدم شيث عليه السلام، بل على قلبه في التهيؤ للتجليات الذاتية والعطايا الوهبية، يكون آخر مولود يولد في النوع الإنساني، لأن مراتب الوجود دورية، فكما أن شيثاً عليه السلام كان أول مولود من سلسلة أولاد آدم المنتهية إلينا، ينبغي أن يكون آخر مولود أيضاً كذلك ليتم الدائرة بانطباق آخرها على أولها، وهو حامل أسراره من علومه وتجلياته لما ذكرنا، وليس يولد بعده ولد آخر في هذا

(١) ساقطة من المخطوطة.

النوع الإنساني، فهو خاتم الأولاد يولد معه في بطن واحد أخت له، كما أن شيثاً عليه السلام أيضاً، كان كذلك فإن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن ذكر وأنثى، فتخرج أخته قبله، ويخرج هو بعدها لأنه لو لم يتأخر عنها في الولادة، لم يكن خاتم الأولاد، ويشبه أن يكون شيث عليه السلام مع أخته بعكس ذلك، ليكون أول مولود يكون رأسه عند رجليها، ويكون مولوده بالصين أقصى البلاد، ولغته لغة بلده ويسري بعد ولادته العقم في الرجال والنساء، فيكثر النكاح من غير ولادة، ويدعوهم إلى الله فلا يجاب في هذه الدعوة، فإذا قبضه الله، وقبض مؤمني زمانه، بقي من بقي مثل البهائم، فهم حيوانات في صور الإنسان لإظهار كمال الحقائق الحيوانية الطبيعية البهيمية السبعية في الصورة الإنسانية تماماً على ما تقتضيه الطبيعة من حيث هي هي من غير وازع عقلي أو مانع شرعي، لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراماً يتصرفون بحكم الطبيعة بشهوة مجردة عن العقل والشرع، فعليهم تقوم الساعة، وتخرب الدنيا، وانتقل الأمر إلى الآخرة انتهى.

تنبيه:

مراد الشيخ رضي الله عنه بقوله: ليس يولد بعده ولد في هذا النوع الإنساني، فهو خاتم الأولاد انتهى.

[فهو خاتم أولاد المؤمنين أو خاتم أولاد النكاح فيكون العقم مرتين مرة في المنكوحات ومرة في مطلق النساء، كما يشير له قول الشارح، فيكثر النكاح من غير ولادة فإن النكاح يطلق على العقد كما يطلق على الجماع][1]، فلا ينافي أن يولد بعده بهائم في صورة الإنسان كما يشير إليه كلامه، أو من الزنا كما صرح به حديث ابن مسعود المار: فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس، عليهم تقوم الساعة فلا منافاة بين الحديث وكلام الشيخ، والحديث وإن ضعّفه الحاكم فالكشف الصحيح يدل على صحة هذا المقدار منه، ولبقيته بل ولمجموعه شواهد وقد مرت.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

تنبيه آخر:

حكمة عقم النساء ثلاثين سنة والعلم عند الله تعالى، أنهم لو توالدوا لزم تعذيب الصبيان قبل البلوغ، وقد قالﷺ: «رفع القلم عن ثلاث: ومنهم الصبي حتى يبلغ» والبلوغ وإن كان يحصل بخمسة عشر، لكنه تعالى يمهلهم حتى يبلغوا أشدهم إلزاماً للحجة، لا يقال: هم أهل الفترة فكيف يعذبهم لأنه قد مر عن شرح الفصوص أن المولود المذكور يدعوهم إلى الله، فلا يجاب، ولا مانع أن يبقي الله ذلك المولود بعد هلاك جميع المؤمنين إلزاماً للحجة، وبالله التوفيق.

[وهذا إنما يوافق القول بأن الشيطان لا تقتله الدابة وأن الأعمال تكتب بعد طلوع الشمس من مغربها][1].

تنبيه آخر:

ينافي ما ذكر بحسب الظاهر قولهﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين» الحديث.

فإن ظاهر الروايات السابقة أنه لا يبقى أحد من المؤمنين فضلاً عن القائم بالحق، وظاهر هذا البقاء.

قال الحافظ في «فتح الباري»: يمكن أن يكون المراد بقوله: أمر الله هبوب تلك الريح، فيكون ظهور تلك الطائفة قبل هبوبها قال: فبهذا الجمع يزول الإشكال بتوفيق الله تعالى انتهى.

ولا يأبى هذا كل الإباء ما ورد في بعض الروايات مكان أمر الله يوم القيامة، لأن ما قارب الشيء يعطي حكمه، فهذا الوقت يقربه من [القيامة][2]، يطلق عليه القيامة وجمعه هذا أحسن من جمع غيره بأن يكفر بعض الناس، ويبقى بعضهم لمنافاته للكليات الواردة، كما لا يخفى ويوضحه ما رواه الحاكم وصححه عن عقبة بن عامر

---

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «القيمة» وهو تصحيف.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين على العدو، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة» فقال عبدالله بن عمرو: أجل، ويبعث ريحاً ريحها المسك، ومسها مس الحرير، فلا يترك نفساً في قلبه من مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرارالناس، عليهم تقوم الساعة. فإن قول ابن عمرو هذا في مقابلة ما رواه عقبة كالصريح فيما قلناه والله أعلم.

ومنها رفع القرآن من المصاحف ومن الصدور

روى الديلمي عن حذيفة وأبي هريرة معاً قالا: يسرى على كتاب الله ليلاً، فيصبح الناس، وليس منه آية ولا حرف في جوف إلا نسخت.

وروى عن ابن عمر: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء، فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب عزل وجل: ما لك؟ فيقول: منك خرجت، وإليك عدت أتلى فلا يعمل بي، فعند ذلك رفع القرآن.

وأخرج السجزي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا تقوم [الساعة][1] حتى يرفع الركن والمقام ورؤيا النبي في المنام.

وروى ابن ماجة بسند قوي والحاكم والبيهقي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه: يدرس الإسلام، كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إلّه إلا الله، فنحن نقولها.

ومنها هدم الكعبة: وقد مرَّ بأحاديثه وتوجيهها وإنما ذكرته هنا، لأن بعضهم قال ذلك بعد موت المؤمنين قرب [القيامة][2] عند انقطاع الحج.

ومنها رجوع الناس إلى عبادة الأوثان: وقد مرت أحاديثها، وإن بعضهم يؤمن

---

(١) وردت في المخطوطة «القيامة».

(٢) وردت في المطبوعة «القيمة» وهو تصحيف.

بالدِّجال فهذا محط حديث تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، ويكفرون جميعاً قبل يوم القيامة، وهذا محط الأحاديث المصرحة بالعموم، وكلاهما من الأشراط والله أعلم.

ومنها ريح تلقي الناس في البحر: أخرج الستة إلا البخاري عن حذيفة بن أسيد مرفوعاً: لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، وقال في العاشرة: وريح تلقي الناس في البحر، وفي لفظ الترمذي: والعاشرة إما ريح تطرحهم في البحر، وإما نزول عيسى بن مريم بالشك من الراوي، والمراد يكون عيسى عاشراً في العد لا في الوقوع، وظاهره أن هذه غير الريح التي تلقي يأجوج ومأجوج في البحر، كما مر وإن هذه تكون عند خروج النار الآتي ذكرها، ويحتمل أن تكون إياها. الله أعلم.

ومنها تقارب الزمان وقصر الأيام بحيث تكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار، واللفظ للترمذي، وقد مر في بحث الدّجال أن هذا يصير في زمانه أيضاً، ولا مانع من تكرره مرتين، مرة في زمنه، ومرة في آخر الزمان، فالقدرة صالحة لكل شيء.

ومن الأشراط العظام وهي آخرها، نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم.

أخرج أحمد والبخاري[1] عن أنس رضي الله عنه: أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق، فتحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت الحديث.

وأخرج الستة غير البخاري عن حذيفة بن أسيد مرفوعاً: لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الحديث، وفي وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم، ويروى نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، وفي لفظ: من قعر عدن أبين وأبين بوزن أحمر اسم الملك الذي بناها قال في «النهاية».

وقد مرَّ وجه الجمع بين أوليتها وآخريتها.

---

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ رقم: ٣١٥١.

وأخرج أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما وهو وأبو داود والحاكم وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازيرِ، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف.

تنبيه:

قوله: «تقذرهم نفس الله» من المتشابهات فيجب الإيمان بها على مراد الله ومراد رسوله، ولا حاجة إلى تأويله، فإن الحديث كالقرآن لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، لأنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، فينتج لهم إيمانهم به العلم بتأويله.

وأخرج أحمد والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر: ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام» وهذا هو المراد بمهاجر إبراهيم في الرواية السابقة.

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة ابن اليمان قال: لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له: «برهوت» تغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال، تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب، حرّها بالليل أشد من حرها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دوي كدوي الرعد القاصف، وهي من رؤس الخلائق أدنى من العرش. قيل: يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: «وأين المؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ هم شر من الحمر يتسافدون كما يتسافد البهائم، وليس فيهم رجل يقول مه مه»[1].

وأخرج أحمد والبغوي والبارودي وابن قانع وابن حبان والطبراني والحاكم وأبو نعيم عن رافع بن بشر السلمي قال: يوشك أن تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل، تسير بالنهار، وتقيم بالليل، تغدو وتروح، يقال: غدت النار أيها الناس فاغدوا قالت النار أيها الناس فقيلوا راحت النار أيها الناس فروحوا، من أدركته أكلته.

---

(١) إسم فعل أمر بمعنى «اكفف».

تنبيه:

هذه النار المذكورة في هذه الأحاديث الخارجة من قعر عدن غير نار المدينة المار ذكرها في القسم الأول، ولا ينافي هذه الرواية أن هذه تخرج من حبس سيل أيضاً، لأن أصل خروجها من «برهوت» ويقال له: «وادي النار» وهو في قعر عدن، وعدن بناحية حضرموت وعلى ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد، وتمر بحبس سيل أيضاً. والخطاب مع أهل المدينة وحبس سيل شرقي المدينة، فوصول النار إليها يكون قبل وصولها المدينة، فيصح أن يقال لهم: تخرج نار من حبس سيل.

فائدة:

نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي: أن الحشر أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، فالذي في الدنيا المذكور في سورة الحشر، وهو حشر اليهود إلى الشام، والثاني: الحشر المذكور في أشراط الساعة.

وفي حديث أنس في مساءلة عبدالله بن سلام النبيﷺ لمّا أسلم: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب.

وفي حديث عبدالله بن عمر عند الحاكم رفعه: تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلف، وتسوقهم سوق الجمل الكبير.

قال الحافظ ابن حجر: وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب لأن ابتداء خروجها من عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، أي كما في رواية الطبْراني وابن عساكر عن حذيفة المارة، أنها تدور الدنيا كلها في ثمانيةأيام، أو أن المراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أي يكون المعنى تحشر من بين المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق.

تنبيه:

يجمع بين قوله: «تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام» وبين «أنها تسير سير بطيئة الإبل، والجمل الكبير، وتبيت وتقيل بأن انتشارها في ثمانية أيام» ثم تسير على سير الناس بعد

ذلك والثالث: حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعاً قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[1] والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار اهـ.

قال الحافظ: الحشر الأول ليس حشراً مستقلاً، فإن مراد حشر كل موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة، وهذا وقع كثيراً كما وقع لبني أمية أن ابن الزبير أخرجهم من المدينة إلى جهة الشام اهـ.

قلت: المراد ما سمي حشراً على لسان الشارع، وقد سمّى الله الأول حشراً بخلاف غيره فظهر الفرق.

خاتمة:

اختلف الناس هل هذا الحشر قبل يوم القيامة أو هو يوم القيامة؟ وعلى الأول هل النار حقيقة أو مجاز؟ والمراد بها الفتن. مال إلى الثاني الحليمي، وجزم به الغزالي قالوا: ويدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين[2] وغيرهما: يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم قالوا: وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا، أي فالحديث كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً﴾[3].

قال الحافظ ابن حجر: ويؤيده حديث أبي ذر عند أحمد والنسائي والبيهقي حدثني الصادق المصدوق: أن الناس يحشرون يوم القيامة ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم الحديث، ثم اختلفوا على هذا القول في الجمع بين حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا، وحديث ابن عباس

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٧.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، رقم: ٦١٥٧. مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٦١.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٧.

رضي الله عنهما في الصحيحين[1] وغيرهما مرفوعاً: إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً الحديث.

فقال الإسماعيلي: الحشر يعبّر به عن النشر أيضاً لاتصاله به وهو إخراج الخلق من القبور، فيخرجون من القبور حفاة عراة فيساقون، ويجمعون إلى الموقف للحساب، ثم يحشر المتقون ركباناً على الإبل، أي والمجرمون على وجوههم.

وقال غيره: يخرجون من القبور على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ثم يحشرون إلى الموقف على ما في حديث أبي هريرة.

وقال بعض شرّاح المصابيح وهو التوربشتي حمل الحشر على هذا أقوى من وجوه أحدها: إذا أطلق الحشر يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصصه دليل، ثانيها: أن التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في المحشر إلى أرض الشام، لأن المهاجر لا بد أن يكون راغباً أو راهباً أو جامعاً بين الصفتين، فأما أن يكون راغباً راهباً فقط، وتكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها، ثالثها: حشر البقية على ما ذكر وإلجاء النار إليهم إلى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم قول لم يرد به التوقيف، وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف، رابعها: أن الحديث يفسر بعضه بعضاً، وقد وقع من حديث أبي هريرة بلفظ: ثلثاً على الدواب، وثلثاً ينسلون على أقدامهم، وثلثاً على وجوههم.

قال: ونرى أن هذا التقسيم نظير التقسيم الذي في سورة الواقعة ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً﴾ الآيات.

فقوله في الحديث: «راغبين راهبين» يريد عموم المؤمنين المخلطين عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم أصحاب الميمنة، وقوله: «اثنان على بعير» إلى آخره يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركباناً، وقوله: «ويحشر بقيتهم النار» يريد أصحاب المشأمة، فيحتمل أن البعير يحمل عشرة دفعة واحدة، لأنه يكون من بديع قدرة الله، فيقوى على ما

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب. قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ رقم: ٣١٧١، ٦١٦٢.
مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم. ٢٨٥٩.

لايقوى عشرة من بعران الدنيا، ويحتمل أن يتعاقبوه اهـ ملخصاً.

وقال الخطابي والقرطبي وصوَّبه القاضي عياض، وقواه بحديث حذيفة بن أسيد: إن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة، يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور فهو على ما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقوله: «اثنان على بعير إلى عشرة» ويريد أنهم يعتقبون البعير الواحد، يركب بعض ويمشي بعض، أي وذلك لقلة الظهر، كما في بعض الأحاديث.

قال القاضي عياض: ويقويه آخر حديث أبي هريرة: تقيل معهم، وتبيت وتصبح وتمسي، وأن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا.

ورجحه الطيبي، وتعقبت على الشارح المذكور، وأجاب عن أول [وجوه][1] ترجيحه، بأن الدليل المخصص ثابت، فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكر حديث حذيفة بن أسيد السابق ذكره، وحديث معاوية بن جيدة رفعه: إنكم محشورون، ونحّى بيده نحو الشام رجالاً وركباناً، وتجرون على وجوهكم. أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي، وحديث: ستكون هجرة بعد هجرة، وينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، ولا يبقى في الأرض إلا شرارها، تلفظهم أرضوهم تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا. أخرجه أحمد بسند لا بأس به، وحديث: ستخرج نار من حضرموت تحشر الناس قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام» قال: فليس المراد بالنار في هذه الأحاديث نار الآخرة كما زعمه المعترض وإلا لقيل تحشر بقيتهم إلى النار، وقد قال تحشر بقيتهم النار، فأضاف الحشر إليها.

قال: والجواب عن الثاني: أن التقسيم المذكور في سورة الواقعة، لا يستلزم أن يكون هو التقسيم المذكور في الحديث، فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر، و يسرة في الزاد راغباً فيما يستقبل راهباً مما يستدبره، وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث فمن توانى حتى قل

---

(١) وردت في المطبوعة «وجره» والصواب ما أثبت.

الظهر، وضاق أن يسعهم لركوبهم اشتركوا أو ركبوا عقبه فيحصل اشتراك الاثنين في البعير الواحد، وكذا الثلاثة يمكنهم كل من الأمرين، وأما الأربعة فالظاهر من حالهم التعاقب، وقد يمكن الاشتراك إذا كانوا خفافاً أو أطفالاً، وأما العشرة فبالتعاقب لا غير، وسكت عما فوقها إشارة إلى أنها المنتهى في ذلك، وعما بينها وبين الأربعة إيجازاً واختصاراً، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث، وأما الصنف الثالث: فعبر عنه بقوله: «تحشر بقيتهم النار» إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فراراً من النار، ويؤيد ذلك ما وقع في آخر حديث أبي ذر الذي تقدمت الإشارة إليه في كلام المعترض، وفيه أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فقال: يلقى الآفة على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر، حتى أن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف أي الناقة المسن ذات القتب أي يشتريها بالبستان الكريم، لهوان العقار، الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يوصله إلى مقصوده، وهذا لائق بحال الدنيا دون الآخرة، ومؤكد لما ذهب إليه الخطابي وغيره، ويتنزل على وفق حديث الباب يعني حديث المصابيح، وهو أن [قوله][1]: «فوج طاعمين كاسين راكبين» موافق لقوله: «راغبين راهبين» وقوله: «وفوج يمشون» موافق للصنف الذين يتعاقبون على البعير، فإن صفة المشي لازمة لهم، وأما الصنف الذين تحشرهم النار فهم الذين تسحبهم الملائكة.

قال: والجواب عن الثالث أنه تبين بشواهد الحديث، أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نار تخرج من الدنيا أنذر النبيﷺ بخروجها، وذكر كيفية ما تفعل في الأحاديث المذكورة. والجواب عن الرابع أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد أي الذي استدل به المعترض مع ضعفه، لا يخالف حديث الباب لأنه موافق لحديث أبي ذر في لفظه، وقد تبين من حديث أبي ذر ما دلَّ على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف إذ لا حديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر، ووقع في حديث عليّ بن زيد المذكور عند أحمد: أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك، وأرض الموقف مستوية لا عوج فيها ولا أمتاً ولا حدب ولا شوك.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

قال: هذا ما سنح لي على سبيل الاجتهاد ثم رأيت في صحيح البخاري في باب المحشر: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق، فعلمت من ذلك أن الذي ذهب إليه الإمام التوربشتي هو الحق الذي لا محيد عنه. اهـ كلام الطيبي مع المخيص.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» بعدما نقل ذلك عنه ما نصه. قلت: ولم أقف في شيء من طرق الحديث الذي أخرجه البخاري على لفظ يوم القيامة لا في صحيحه ولا في غيره، وكذا هو عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة، نعم ثبت لفظ يوم القيامة في حديث أبي ذر المنبه عليه قبل، وهو مؤول بأن المراد بذلك أن يوم القيامة يعقب ذلك فيكون مجاز المجاورة، ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل بما يلقى عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذلك ظاهر جداً في أنه من أحوال الدنيا لا بعد البعث. اهـ كلام الحافظ بلفظه.

وحاصله أن حمل لفظة من الحديث على المجاز أهون من إلغاء جملة من ألفاظه وإبطال معنى الحديث فيتعين، وعلى هذا فلو ثبت لفظ يوم القيامة في البخاري أيضاً لوجب تأويله بذلك كذلك، لذلك [وأقول قد مر في حديث ابن عمر عند أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح «ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة، تحشر الناس الحديث» فقد صرح بكونه قبل يوم القيامة، وحديث حذيفة ابن أسيد عند غير البخاري: لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها الحديث. فقد تعارض مع حديث البخاري المذكور على تقدير ثبوت لفظة يوم القيامة، ولا يمكن تأويلهما بخلافه، فوجب المصير إليه دفعاً للتعارض][1]، فثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة وبالله التوفيق. فإن قلت: كون النار آخر الآيات يستلزم أن يكون في الأرض خيار، وقد صرح بذلك في حديث حذيفة عند الطبراني وابن عساكر المار، فإن فيه قيل يا رسول الله أهي سليمة على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: «وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ»؟ الحديث.

وفي حديث ابن عمر عند أحمد وأبي عبيدة وعند أبي داود والحاكم وأبي نعيم، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، وفي بعض الأحاديث راغبين راهبين وطاعمين كاسين، فيلزم أن يوجد الخيار يومئذ، وهذا تناقض أو كتناقض.

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

قلت: ليس في الحديث إلا أن خير الناس يهاجرون باختيارهم إلى الشام في رفاهية ورخاء، ولا يلزم من ذلك أن يبقوا إلى خروج النار، بل الثابت أن الريح تقبضهم، ولا يبقى إلا الشرار، وأن المراد خيارهم في حال الدنيا من يذهب بنفسه، وهم الطاعمون والكاسون الذين يجدون الظهر والسعة، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا خياراً عند الله، وكونهم راغبين في الوصول إلى السلامة راهبين من النار كما فسره به الطيبي لا يلزم منه أن يكونوا مؤمنين، وهذا واضح وبالله التوفيق لسلوك أوضح طريق إنه بالإجابة حقيق وبعباده رفيق.

تذنيب:

ورد في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن آخر من يحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة ينعقان بغنمهما، فيجدانها وحوشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما.

وثنية الوداع: قرب المدينة إلى جهة الشام على الأصح، وفي رواية ابن شيبة عنه: رجلان رجل من جهينة، وآخر من مزينة فيقولان: أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يجدان إلا الثعلب، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما، حتى يلحقانهما بالناس.

وروى ابن شيبة أيضاً عن حذيفة بن أسيد قال: آخر الناس محشراً رجلان من مزينة يفقدان الناس، فيقول أحدهما لصاحبه: قد فقدنا الناس منذ حين انطلق بنا شخص من بني فلان، فينطلقان فلا يجدان أحداً، ثم يقول انطلق بنا إلى المدينة، فينطلقان فلا يجدان بها أحداً، فيقول: انطلق بنا إلى منزل قريش ببقيع الغرقد، فينطلقان فلا يريان إلا السباع والثعالب، فيتوجهان نحو البيت الحرام.

قال السمهودي في الجمع بينهما: وكأنه إذا توجها نحو البيت الحرام، ينزل إليهما الملكان قبل ذهابهما، فلا يخالف ما تقدم انتهى.

قلت: وكونهما من مزينة تغليب لأن أحدهما من جهينة كما في رواية ابن شيبة والله

---

(١) البخاري كتاب فضائل المدينة، باب: من رغب عن المدينة، رقم: ١٧٧٥. مسلم في الحج، باب: في المدينة حين يتركها أهلها، رقم: ١٣٨٩.

أعلم، وهذا الحشر لهما من نفخ الصور، فإن بعد النار المذكورة ينفخ في الصور [وتقوم][1] الساعة.

روى الشيخان[2] عن أبي هريرة مرفوعاً: لتقومن الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما يتبايعانه فلا يطويانه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه أي يلطخه بالطين يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه إذا لطخه بالطين وأصلحه، فلا يسقى فيه أي إبله ودوابه، ولتقومن الساعة وقد رفع أُكلته بضم الهمزة يعني لقمته إلى فيه فلا يطعمها، أي لا يأكلها.

وفي حديث عبدالله بن عمر عند مسلم والنسائي: يخرج الدّجال فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً الحديث، وفيه يبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع إلى أن قال: ثم ينفخ في الصور، فلا يسمع أحد إلا أصغى ليتاً، ورفع ليتاً قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس. قال في «النهاية»: الليت أي بكسراللام صفحة العنق، وهما ليتان وأصغى أمال انتهى.

والمعنى أنه يرفع إحدى أذنيه نحو السماء كما يسمع النداء من فوق.

وفي الصحيحين[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما بين النفختين أربعون عاماً.

ونحوه عند أبي داود وابن مردويه عنه.

وروى ابن المبارك عن الحسن مثله وعند مسلم والنسائي: ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل، فينبت منه أجساد بني آدم، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلمّ إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، الحديث.

ونسأل الله العفو والعافية التامة، والمغفرة العامة في الدارين، لنا ولوالدينا ولجميع

---

(١) وردت في المطبوعة «وتقدم» وهو تصحيف.

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، رقم: ٦١٤١. مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: أقرب الساعة، رقم: ٢٩٥٤.

(٣) البخاري، كتاب التفسير، باب: ونفخ في الصور فصعق...، رقم: ٤٥٣٦. مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥.

المسلمين ولمشايخنا في الدين، ولإخواننا ديناً وطيناً، ولأمة محمد أجمعين، إنه أرحم الراحمين، آمين.

خاتمة:

تختم بها الكتاب إن شاء الله تعالى تتميماً للفائدة فنقول:

قال الإمام الحافظ الحجة جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي في رسالته المسماة «بالكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف»: الذي دلّت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، وذلك لأنه ورد من طرق، أن مدة الدنيا أي من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة سبعة آلاف سنة، وأن النبيﷺ بعث في آخر الألف السادس، قال: وورد أن الدّجال يخرج على رأس مائة سنة، [وينزل عيسى عليه السلام فيقتله، فيمكث في الأرض أربعين سنة][1] وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، وأن بين النفختين أربعين سنة، فهذه مائتا سنة لا بد منها، قال: ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمسمائة سنة أصلاً، ثم ساق بسنده الأحاديث الدّالة على ما ذكره مستوفياً لطرقها.

أقول: الذي فهم مما مر من الأحاديث التي ذكرناها في القسم الثالث أن المهدي يمكث في الأرض أربعين سنة وأن عيسى يمكث بعد الدّجال أربعين سنة، كما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأن عيسى ينزل فيقتل الدّجال فيتمتعون أربعين سنة، لا يموت أحد ولا يمرض أحد، ويقول الرجل لغنمه ولدابته: إذهبوا فارعوا، وتمر الماشية بين الزرعين، لا تأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً والسبع على أبواب الدور، ويأخذ الرجل المُدّ من القمح فيبذره بلا حرث فيجيء منه سبعمائة مد، الحديث، فإنه ظاهر في أن الأربعين بعد الدّجال وأن بعد عيسى يتولى أمراء منهم القحطاني يتولى إحدى وعشرين سنة، ولنفرض لبقيتهم إلى طلوع الشمس من المغرب عشرين سنة أيضاً، إن لم تكن أكثر، فهذه مائة وعشرون سنة. ومرّ أن

---

(١) ساقطة من المخطوطة.

الدّجال يمكث أربعين سنة، فإن لم تكن سنين فلا أقل من مقدار سنين، لأن أيامه طوال وأن بعد طلوع الشمس من مغربها يمكث الناس مائة وعشرين سنة، وفي رواية: إن الشرار بعد الخيار عشرين ومائة سنة، ومرّ أيضاً أن المؤمنين يتمتعون بعد طلوعها أربعين سنة، ثم يسرع فيهم الموت فهذه ثلاثمائة وعشرون سنة، وقد مضى بعد الألف قريب من ثمانين، فهذه أربعمائة وإلى تمام هذه المائة تبلغ أربعمائة وثلاثين، وقد مر عن السيوطي أنه لا تبلغ خمسمائة بل أخذ بعضهم من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهِمْ بَغْتَةً﴾[1] وقوله: «لا تأتيهم إلا بغتة» أن الساعة تقوم سنة سبع بعد أربعمائة، فإن عدد حروف بغتة ألف وأربعمائة وسبع، والعلم عند الله تعالى، فيحتمل خروج المهدي على رأس هذه المائة احتمالاً قوياً، بل قبل المائة إذ الدّجال يخرج في خلافته، وهو كما مر يخرج على رأس المائة، ويحتمل أن يتأخر للمائة الثانية، ولا يفوتها قطعاً وإذا تأخر فلا بدّ أن يبعث الله على رأس هذه المائة من يُحيي للأمة أمر دينها، كما ورد في حديث مشهور.

قال الحافظ السيوطي في منظومته:

والشرط في ذلك أن تمضي المائة ... وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه ... وينصر السنة في كلامه
وأن يكون في حديث قد روي ... من أهل المصطفى وهو قوي

ويرجح الاحتمال الثاني ما أخرج نعيم بن حماد عن محمد بن الحنفية قال: يقوم المهدي سنة مائتين.

وأخرج عن جعفر الصادق قال: [يقوم][2] المهدي سنة مائتين.

وأخرج أيضاً عن أبي قبيل قال: اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٢) وردت في المطبوعة «يقول» وهو تصحيف.

تنبيه :

وجه الجمع بين الروايات أن كمال ظهوره وذلك إنما يكون بفتح القسطنطينية يكون سنة مائتين، وتجمع عليه الناس أجمعون سنة أربع ومائتين، وذلك بعد فتح الرومية والقاطع، وهذا لا ينافي خروج الدّجال على رأس مائة لأنه باعتبار أول خروجه بالمشرق وادعائه الخلافة، أو لأن الأربع والخمس بل والعشر من أول المائة يعد من رأس المائة عرفاً، وعلى هذا فيكون خروج المهدي بسبع أو بتسع أو بثلاثين أو بأربعين قبل المائة، لا يخرجه عن كونه يخرج على رأس المائة، وكذلك إن تأخر آخر مدته عن رأس المائة، وهذه كلها مظنونات وردت بأخبار الآحاد بعضها صحاح، وبعضها حِسان، وبعضها ضِعاف مع شواهد، وبعضها بغير شواهد وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة الشهيرة، التي بلغت التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها بلا أولها خروج المهدي، وإنه يأتي في [آخر][1] الزمان من ولد فاطمة، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت ظلماً، أنه يقاتل الروم في الملحمة، ويفتح القسطنطينية، ويخرج الدّجال في زمنه، وينزل عيسى ويصلي خلفه وما سوى ذلك كله أمور مظنونة أو مشكوكة والله أعلم بحقيقة الحال.

ونعوذ بالله من الزيغ والضلال والغلو في المقال، والحمد لله على كل حال، والصلاة على حائز قصب الكمال في الغدو والآصال، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل، وغفر الله لنا ولوالدينا وآبائنا و إخواننا طيناً وديناً وصلباً وقلباً، ولجميع أمة محمد آمين.

قال مؤلفه الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد العلوي الحسيني الموسوي الشهرزوري البرزنجي ثم المدني عفى الله عنه: [اتفق][2] ختمها يوم الأربعاء بين الصلاتين حادي عشر شهر الله الحرام ذي القعدة، ومن شهور سنة ١٠٧٦ بالمدينة النبوية بمنزلي بالزقاق المعروف بالسويقة، حامداً ومصلياً مستغفراً محسبلاً محوقلاً داعياً بالمغفرة للمسلمين والمسلمات، جعلها الله ذريعة ليوم المعاد بجاه سيد العباد، آمين.

---

(١) وردت في المطبوعة «اخر» بدون همزة ولعله خطا مطبعي.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

[وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة إن شاء الله تعالى نهار السبت، عشرون شوال من شهور سنة ألف وتسعة وسبعين، على يد العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي رحمة ربه اللطيف الخبير، وشفاعة نبيه محمدﷺ، البشير النذير، أحمد بن أحمد الحرستي أصلاً والشامي مولداً والحنفي مذهباً والخلوق طريقاً. غفر الله له وللمسلمين. آمين][1].

---

(١) ساقطة من المطبوعة.

أقول: الحمد لله، الذي قال في كتابه: ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٨]. والصلاة والسلام على نبينا المقدام محمد بن عبد الله. نحمده الذي تفضل بآلاء، وسارعنا بالنكران، على ما منَّ عليَّ من الوقت لإتمام تحقيق هذا السِّفر والتعليق عليه. وهو حسبنا ونعم النصير.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، مطبعة كوستا توماس ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م، طبعة ثانية .

٣ ـ تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين السيوطي ، منشورات دار العلم العربي، حلب ، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٤ ـ تاريخ السليمانية ، لمحمد أمين زكي ، طبع بغداد، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .

٥ ـ حسن المحاضرة ، لجلال الدين السيوطي ، طبع بمصر، ١٢٩٩هـ .

٦ ـ الحلية ، لأبي نعيم الأصفهاني، طبع بمصر سنة ١٣٥١هـ .

٧ ـ دلائل النبوة ، طبع القاهرة .

٨ ـ سلك الدرر، المرادي ، طبع بمصر ١٣٠١هـ .

٩ ـ سنن الترمذي ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، طبعة حمص ١٣٨٥هـ .

١٠ ـ شعب الإيمان ، للبيهقي ، مصر ١٩٥٥م .

١١ ـ صحيح البخاري ، دار اليمامة ودار ابن كثير، بعناية د . مصطفى البغا ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠م .

١٢ ـ صحيح مسلم ، دار الكاتب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٨٧م .

١٣ ـ فهرس المصنفين ، طبع بيروت ١٩٤٧م .

١٤ ـ القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، طبعة المكتبة التجارية ، سنة ١٩١٣م .

١٥ ـ مخطوطات الدار الظاهرية .

١٦ ـ المستدرك، للحاكم النيسابوري، مصورة بيروت، عن طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٣٤هـ.

١٧ ـ مسند أحمد، طبعة مصورة صادرة عن دار صادر، بيروت ـ لبنان.

١٨ ـ مشاهير الكرد، تراجم مشاهير الشرق.

١٩ ـ المصباح المنير، للعلامة أحمد بن محمد الفيومي، مكتبة لبنان. سنة ١٩٩٠م. بيروت.

٢٠ ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة سنة ١٩٠٦م.

أعمال علمية للمحقق

التأليف العلمي :

*** الدراسات الأدبية والنقدية :**

١ ـ النزعة الاجتماعية في شعر الصعاليك .
٢ ـ المدرسة البصريّة في النحو (نشأتها ـ تطورها ـ أعلامها) .
٣ ـ نظرات في أثر المذاهب الأدبية في الشعر العربي الحديث .
٤ ـ الأماكن والمواضع في شعر المعلقات .

*** الدراسات الإسلامية :**

١ ـ قبسات من وحي التشريع الإسلامي .
٢ ـ المعجم المفهرس لمسند الإمام الشافعي .

التحقيق العلمي :

*** مخطوطات أدبية ولغوية :**

١ ـ كتاب التشبيهات لأبي إسحاق بن أبي عون .
٢ ـ النهاية في فن الكناية لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ) .
٣ ـ شرح مثلثة قطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ) .
٤ ـ المقصور والممدود لابن دريد الأزدي .
٥ ـ ملحمة الإعراب لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (ت ٥١٦هـ) .
٦ ـ كتاب ما ألغز في الأبيات العويصة من الصواب لمسعود بن أحمد الشافعي .

* مخطوطات إسلامية :

١ ـ إسعاف المبطأ برجال الموطأ، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

٢ ـ مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة الأزدي (ت ٦٩٩هـ).

٣ ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ).

٤ ـ الاستعداد ليوم الميعاد، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

٥ ـ المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

٦ ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن لهبة الله بن سلامة (ت ٤١٠هـ).

٧ ـ مختصر رياض الصالحين ليوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠ هـ).

٨ ـ الأدلة الراجحة لفرضية قراءة الفاتحة للغماري.

٩ ـ الإصابة في الدعوات المستجابة لمحمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ).

١٠ ـ الإشاعة في أشراط الساعة للإمام محمد بن عبد الرسول الشهرزوري (ت ١١٠٣هـ).

١١ ـ أسباب النزول، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

١٢ ـ الأربعين من رواية سيد المرسلين عن رب العالمين لشرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الزبيدي الشهير بالجبري.

١٣ ـ فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، لمحمد عبد الباري الأهدل.

فهرس المحتويات